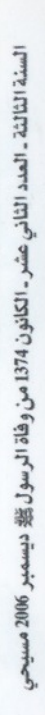
12



AT-TAWASUL
فصلية ثقافية شاملة



كويشيرو ماتسورا / مدير عام اليونيسكو

تبادل المعرفة: هل سيظل مؤجلاً إلى الغد؟

آندرو هيغينز / أمريكا

الإنجيليون الأمريكيون وعين على هرمجدون

داروين يموت مرة أخرى؟

د. عبد الماجد القاضي / الهند

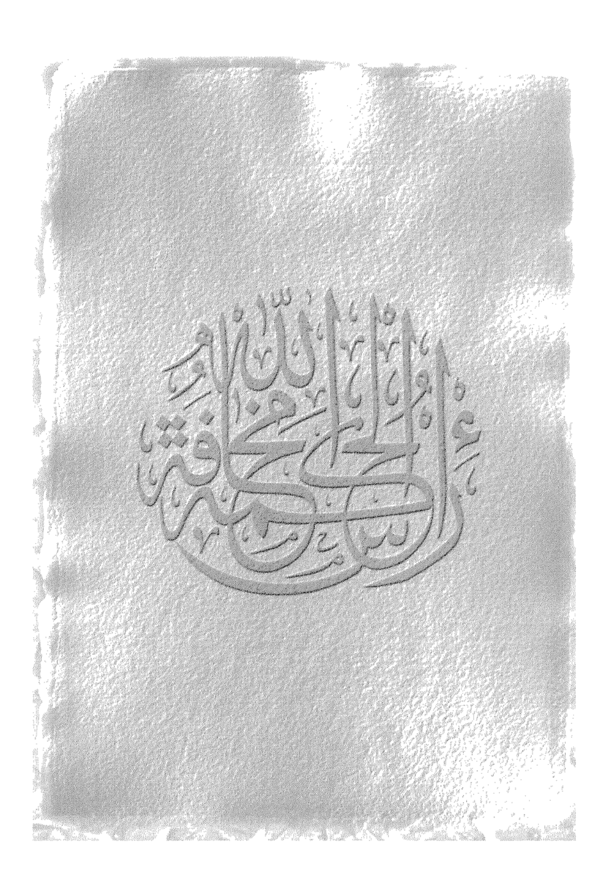
الإرهاب بين الدلالة والإطلاق

د. عبدالعاطي م. عبدالجليل / ليبيا

كيف يكتب الألمان تاريخ الأمريكان؟



بنين مزيج من العقائد والأعراق





أمين هيئة التحرير

غزو أم تهجير أم تدجين؟!

منذ سنوات اشتهرت جملة كنا نعتقد أنها لن تغادر عالمنا ببساطة ويسر وسهولة، وسيكون التحرر منها إثر معارك فكرية شرسة، أو قوية إن شئتم، ولعلكم تذكرون ما كان يعرف بـ (الغزو الثقافي)...

جملة ملأت الدنيا وشغلت الناس، سواء منهم من كان يعتبرها حالة سلبية أم من كان لا يرى فيها خطرا حري بأن تصطف الأقلام وتتراص الكلمات وتتوحد الجمل بهدف الحيلولة دون أن يصل ذلك (الغزو الثقافي) إلى الاستقرار ولو إلى حين في المناطق التي يستطيع اقتحامها،،

ولأن الأمر لم تلفه ستائر النسيان - على الأقل بالنسبة للمعنيين بقضايا الفكر والثقافة - فإن تفاصيله لا تزال بادية أو حية ويمكن لملمة بعضها للتدليل على مدى القوة التي كانت كامنة في ذلك المصطلح الخطير الذي أبى إلا أن يستهلك ما شاء من أعمارنا التي لا معنى لها، وأوراقنا التي لم نصنعها، وحبرنا الذي استوردناه دون أحساس منا بما كنا فيه!!

ولأن الاعتراف بالخطأ فضيلة محمودة فلا بأس من القول أنني كنت واحداً من عشرات الملايين الذين كان (الغزو الثقافي) يشكل لهم كابوساً مستديماً، وتحدياً مخيفاً..

لكن أمراً ما قد حدث، لن أقول إن معجزة ما قد حدثت واستطاعت أقلام أبناء العالم الذي كان يخشى (الغزو الثقافي) أن تهزم جحافل ذلك الغزو.. الأمر الذي حدث وببساطة غير متوقعة - هو اختفاء تلك الجملة، لعلها انسحبت من المعركة بعد أن أدرك من سوقها استحالة استقرارها بين ظهراني من كانوا يخشونها.. ولعلها سحبت حين أدرك صانعوها أنها بضاعة كاسدة، وربما سحبت حين علم مسوقوها أن جمعية الدفاع عن المستهلكين الفكرية قد اكتشفت انتهاء صلاحيتها..

❖❖❖

لا أدري حقيقة ما حدث، هل فشل الغزو الثقافي؟ هل أدرك المستهدفون منه حقيقته؟ هل أن أسلحة ذلك الغزو الثقافي لم تكن قوية بما يضمن نجاحه؟

لم أدرك حتى الآن حقيقة ما حدث، وعلى غرار دروس الجغرافيا التي لم تذكر أن الاتحاد السوفييتي السابق كانت له حدود مشتركة مع غريمته الولايات المتحدة الأمريكية، وأن النصف الآخر من الكرة الأرضية ظل ملفوفاً بالغموض، ولا تعرف تفاصيله، فإن ما كان خافياً إبَّان سيادة مصطلح (الغزو الثقافي) على ساحة الفكر والثقافة والاستراتيجيات هو أمر أكثر خطورة وأشد فتكاً، ونعني بذلك: (الهجرة الثقافية)..

شغلنا كثيراً بـ(الغزو الثقافي) في حين كانت (الهجرة الثقافية) تنساب تحت أقدام المدافعين ضد (الغزو الثقافي)..

❖❖❖

ولأن الأمر لم تلفه ستائر النسيان، فلا بد أنكم تتذكرون تلك المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش و(الورش) وتلك المقالات والكتب التي كانت تدور جميعها حول (الغزو الثقافي)، حتى أننا خشينا أن يكون (الخبز) الذي كنا نتناوله هو صورة من صور ذلك الغزو اللعين، أو هو نتيجة من نتائجه..

لم نهتم كثيراً آنذاك بـ(الهجرة الثقافية) قدر اهتمامنا بالغزو الثقافي، ولم ندرك خطورة ما كنا نجهله، هل كان ذلك التجاهل ناتجاً عن عمد وسوء تقدير؟ أم أنه كان جهلاً مبنياً على حسن نية؟

لا يمكن لأحد أن ينكركَمْ كنا بسطاء حين فكرنا فقط في أننا نتعرض لغزو ثقافي، وكم كنا جهلة حين أدركنا - بعد فوات الأوان - أن الهجرة الثقافية هي ما كنا نعيشه!

ولعل أخطر ما في الأمر أننا كنا نغض الطرف - ربما عامدين متعمدين - عن (التهجير الثقافي)، ولا أظن أن أحدا سيتهم بالمبالغة حين يعلن أن المعركة كانت في حقيقتها (تدجينا ثقافياً)، ولم تكن في وقت من الأوقات غير ذلك..

وما يدعم هذا الفهم أو هذا الاستنتاج أنني لم أسمع عن مؤتمر أو ندوة درست وحللت (الهجرة الثقافية) أو (التهجير الثقافي) أو (التدجين الثقافي)، ومن الأدلة الملموسة على أن مصطلح (الغزو الثقافي) كان يخفي وراءه ما هو أكبر منه هو نمط الحياة الفكرية التي تغلغلت حتى النخاع في عقول وأفكار عدد كبير من الذين كانوا قد أصيبوا بالهوس بمصطلح (الغزو الثقافي)، وأنهم لم يدركوا أن (الهجرة الثقافية والتهجير الثقافي والتدجين الثقافي) كانت هي الأشد فتكاً والأكثر قسوة، والأدلة التي نلمسها حالياً لا تكاد تحصى..



في هـذا العـدد

التواصل
AT-TAWASUL
تصدر عن
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

السنة الثالثة ـ العدد الثاني عشر
الكانون 1374 من وفاة الرسول ﷺ
ديسمبر 2006 مسيحي

المراسلات باسم
أمين هيئة التحرير
طريق السواني ـ كلم 5
هاتف: 4800730 / 48084615
بريد مصور: 4800736 ـ 4800730
ص.ب: 86086
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

البريد الالكتروني
INFO@AT-TAWASUL.INFO
ARAA@AT-TAWASUL.INFO

الموقع على شبكة الانترنت
WWW.AT-TAWASUL.INFO

شـــروط الـنـشـر فـي مجـلـة



ترحب مجلة التواصل بكتابات المفكرين والمثقفين العرب والمسلمين وغيرهم الذين ينشدون التواصل المعرفي من خلال لغة الحوار والنقاش المستنير بعيداً عن التعصّب بجميع أشكاله، وسعياً لدرء أسباب الخلاف والفرقة، مع الالتزام بأسس العقيدة الإسلامية وثوابت الدين في المعالجات الفكرية والثقافية. وتحقيقاً لهذه الأهداف يشترط لقبول نشر البحوث والمقالات:

❖ أن يتسم البحث بالجدّة والموضوعيّة، وأن يتّبع في كتابته الأساليب المنهجية في البحث العلمي من تسلسل منطقي في العرض، وتوثيقٍ للمصادر والمراجع.

❖ أن يُراعى تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البحوث التي تتضمنها.

❖ أن يكون البحث أو المقال خِلواً من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع مراعاة علامات الترقيم وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

❖ ألاّ يكون البحث أو الدراسة المقدمة للنشر في (التواصل) جزءًا من أطروحة ماجستير أو دكتوراه.

❖ ألاّ يكون البحث قد سبق نشره في مطبوعة أخرى.

❖ أن يكونَ البحثُ أو المقال مطبوعاً، أو مكتوباً بخطٍّ واضح.

❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات البحث أو الدراسة عن 8000 كلمة ولا يزيد على 12000 كلمة.

❖ ألاّ يقلّ عدد كلمات المقال عن 4000 كلمة، ولا يزيد على 6000 كلمة.

❖ أن يُرفقَ الباحثُ ببحثه سيرته الذاتية.

❖ في حالة الترجمة لا بدّ من أن يرفق النصّ المترجم بلغته الأصلية.

ملاحظات:

ـ للمجلة الحق في اختيار العدد المناسب لنشر البحوث المجازة.

ـ ترتيب نشر البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

ـ لا تردّ البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت في المجلة أم لم تنشر.

ـ تعرضُ الأعمال المقدّمة للمجلة على لجنة تقويم النصوص فيها لإجازتها.

ـ تمنح البحوث والمقالات المجازة مكافآت مالية مناسبة.


مقالات



تبادل المعرفة:
هل سيظل مؤجلا إلى الغد؟

د. كويشيرو ماتسورا *
نقله من الفرنسية إلى العربية: **عبد الحميد غريبي****

هل يعتبر تبادل المعرفة العلمية والتقنية ضرباً من الأحلام غير قابلة للتحقيق؟ هل هو وهم يسوق على مستوى المجتمع الدولي؟ إني لا أعتقد ذلك. ولعل بعض الأمثلة التي أود أن أسوقها فيما يلي أبلغ من أي تحليل بهذا الشأن:

في سنة 1963م كانت (سنغافورة) محاطة بالأكواخ وكان اقتصادها متخلفاً. ومنذ ذلك التاريخ شرعت الحكومة في انتهاج سياسات اقتصادية جادة، مرتكزة على تكثيف الاستثمار في مجال التعليم من جهة، وتطوير الكفاءات المهنية لأجل تحسين الإنتاجية من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى إنشاء صناعة متطورة ذات قيمة (مضافة) عالية. ويكفينا أن نعلم أن دخل الفرد الإجمالي في سنغافورة، يعادل دخل الفرد في عدد من دول الشمال المتقدمة صناعياً!

إن أي اقتصاد مبني على تبادل المعرفة العلمية والتقنية ونشرها، يملك فرصة حقيقة للانعتاق من التخلف وتحقيق الرفاهية لجميع السكان.

* مدير عام (اليونيسكو)
** مترجم وصحفي / ليبيا

وكذلك تعتبر ولاية (كيرالا) الهندية نموذجاً للنجاح ـ الذي يمكن أن تحققه كثير من الدول الفقيرة ـ التي تعوض نقص الموارد المالية أو الطبيعية، إذ عملت على الاستثمار في مجالي التقنية الحديثة والتنمية (العلمية) على المستوى الشعبي، وصاحب ذلك كله مجهود واسع في مجال التنمية البشرية، الأمر الذي جعل من ولاية (كيرالا) أهم روافد النمو في الهند. ويكفي هذه الولاية شرفاً، أنها جعلت من الهند الدولة الثامنة على مستوى العالم، في مجال نشر المعرفة العلمية وكل جديد، في مجال التقنية المتقدمة.

ومن المؤشرات الدالة على تقدم تلك الولاية، والنمو الذي تحقق فيها، هو ارتفاع نسبة فرص الحياة للسكان إلى 73٪ ونسبة الذين يجيدون القراءة والكتابة إلى أكثر من90٪.

في سنة 1971 استقر بضعة آلاف من المهجرين في (البيرو) في سهل لا يبعد أكثر من 20 كيلو متراً عن العاصمة (ليما) وأنشأوا قرية سموها (ڤيلا أل سلڤادور).

ودون الاعتماد على أي مصدر خارجي أوجدوا مراكز للتعليم الفني، وجمعيات لتبادل المعرفة التقنية، معتمدين في ذلك على مبدإ المشاركة والتبادل في مجال اكتساب المهارات والمعلومات الفنية، وساهمت النساء في ذلك الجهد بانخراطهن في مجال التنمية البشرية والاجتماعية، وخلال السنوات الماضية تحولت (ڤيلا أل سلڤادور) من مجمع أكواخ إلى مدينة عصرية ببلديتها المعترف بها منذ سنة 1983م، وقد أنشئت بها أول جامعة سنة 1987م.

وتعد نسبة الأمية الأقل في البلاد، إذ أصبحت لا تزيد عن 4,5٪، وعدد سكان المدينة يناهز الأربعمائة ألف، منهم خمسة عشر ألف طالب وطالبة جامعيين!

ومن مميزات (ڤيلا أل سلڤادور) أنها توفر مصارف معلوماتية، يمكن لأي مواطن أن يدخل إليها بسهولة، ليدرس المشاريع الخاصة بتنمية المدينة.

إن تبادل المعرفة (العلمية والتقنية) لهو الأساس الأقوى لإخراج المجتمعات الفقيرة من العوز والتخلف، وثبت بالتجربة أنه مفتاح الازدهار العلمي والاجتماعي، وتحقيق أكبر قدر من القيمة المضافة، وهو الذي يمكّن المجتمعات الفقيرة للموارد المالية أو الطبيعية، من تعويض تلك الموارد إلى حد كبير بإنتاج المهارات العلمية والتقنية، في إطار جهد تنموي عام.

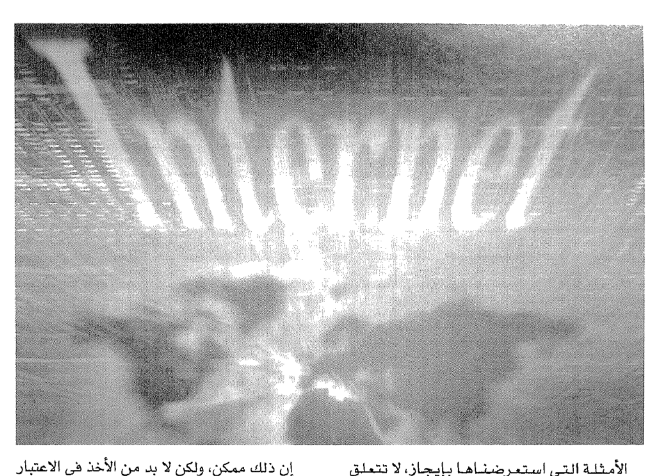
❖ بات من المسلم به أن مستقبل التنمية لأي مجتمع، يعتمد على قدرته في استخدام المعلومات التقنية الحديثة، وعلى التنمية البشرية، أكثر من اعتماده على الموارد الطبيعية فقط.

لننظر في النموذج الفنلندي، الذي يؤكد بوضوح صدقية الحل التعليمي/ التقني الذي يعتمد على تبادل ونشر المعرفة العلمية، الذي نحن بصدد الحديث عنه:

واجهت (فنلندا) أزمة اقتصادية خانقة عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، ولكنها استطاعت أن تتجاوز محنتها في سنين قليلة نسبياً، وتقدم تجربتها كمثل يحتذى به.

كيف حدث ذلك؟ أول ما يلفت الانتباه في التجربة الناجحة لتلك الدولة، هو استثمار حوالي 4٪ من دخلها الإجمالي العام في مجال البحث العلمي.

ومن الناحية النوعية، تعتبر المنظمة الأوروبية للتجارة والتنمية الاقتصادية، أن نظام التعليم الفنلندي من أحسن النظم في الدول المتقدمة، ولاحظت المنظمة، أن الفوارق في أداء الطلبة في فنلندا يعد الأقل في أوروبا، الأمر الذي يؤكد نجاح العملية التعليمية والتكوينية، بأفضل ما يمكن توقعه.



الأمثلة التي استعرضناها بإيجاز، لا تتعلق بمناطق معزولة، فالكثير من الدول والمناطق في جميع القارات، تبذل حالياً جهوداً طيبة للتغلب على المعوقات التي تواجهها، بابتداع أساليب جديدة لتحقيق تنميتها الذاتية، بالاعتماد على رأسمالها المتجدد، المتمثل في (المعرفة التقنية والقدرات العقلية الإبداعية).

أعتقد أنه بات من المسلم به، أن مستقبل التنمية لأي مجتمع، يعتمد على قدرته في استخدام المعلومات التقنية الحديثة، وعلى التنمية البشرية، أكثر من اعتماده على الموارد الطبيعية فقط.

هل نستطيع الجزم بأن القرن الحادي والعشرين، سيشهد نمواً كبيراً للمجتمعات التي تعتمد سياسة تعميم المعرفة، وإيصالها إلى جميع مواطنيها، بحيث تصبح جامعاتها ومؤسساتها حاضنات، تفرخ مبدعين ومواهب، تؤسس عليهم نموها الاقتصادي والاجتماعي؟.

إن ذلك ممكن، ولكن لا بد من الأخذ في الاعتبار بعض الإشكاليات الجديدة، وهي: أن أسلوب تبادل المعلومات والمعارف بالوسائل الحديثة السريعة، مثل الشبكات الإلكترونية، وعلى وجه الخصوص شبكة المعلومات الدولية.. (انترنيت) لا تقدم إلا حركة أفقية لتدفق المعلومات، وهذه ميزة في حد ذاتها، ولكن تنسيقها يحتاج إلى تنظيمها وضبطها أفقياً، دون الإخلال بانتشارها الأفقي، بحيث تنشئ ما يمكن أن نسميها (منظومات مترابطة من المجتمعات) تميزها حركة مفتوحة وحرة من المعلومات المستجدة في مختلف المجالات المعرفية.

لذلك فإننا سنشهد ظهور أشكال وأنماط جديدة في نظم الإنتاج، وتطوير الإنتاجية والفاعلية، يكون أساسها التبادل والتشارك في الانتفاع، بكل ما يستجد وما يكتشف من تقنيات وإبداعات داخل كل منظومة، مهما تعددت المجتمعات التي تشكلها ضمن فضائها.

ومن أهم فوائد (منظومات المجتمعات) التي

تتشكل حالياً، وستتشكل مستقبلاً، أنها ستنهي الصراعات والحروب الاقتصادية بين الدول المكونة، لها، لسبب بسيط وهو أن (التبادل المعرفي) يرسي بطبيعته نوعا من الاستقرار، وتساوي الفرص للجميع، يحمل تلك الدول على التعاون ويمنعها من التقوقع، والنزوع إلى أسلوب المواجهات والصراع الاقتصادي، وما ينجم عنه من مخاطر أخرى.

وقد تحتاج مجتمعات المستقبل إلى وضع أُطر قانونية لتنظيم حقوق الملكية الفكرية والعلمية، وفقاً لما تسفر عنه تجارب المستقبل.

ومما يعزز أسلوب التبادل المعرفي الحر، هو المشاركة الجماعية لكل المجتمعات في البحث والابتكار، كلٌّ حسب قدراته لإحداث تكامل يُؤكد حاجة الجميع إلى الجميع.

ومن محاسن حرية التبادل المعرفي، داخل كل مجتمع على حدة، أنه يعزز الديمقراطية المعرفية بين جميع أفراد الشعب الواحد، ويخفف من هيمنة المؤسسات السياسية على مصادر المعرفة الإنسانية والعلمية، وذلك على غرار ما يحدث على المستوى الدولي، وهنا تبرز في الأفق أهمية وحتمية تطور مؤسسات المجتمع المدني، والجمعيات غير الحكومية، لكسر احتكار المعرفة وإشاعتها بين الناس، لكي يشترك الجميع في صنع القرارات بعد دراسة المعطيات، على ضوء ما تتيح لهم حرية التبادل المعرفي ضمن تلك المؤسسات، ويكونون بالتالي على علم بما يريدون وما يستطيعون تحقيقه، من النمو والازدهار الاقتصادي والاجتماعي والإنساني.

ولعل بعض معالم ما نتوقعه بدأت تتشكل في الكثير من المجتمعات الحالية، ولاشك في أنها ستفرض نفسها في المستقبل المنظور.

ومن المؤكد أن مبدأ (التبادل المعرفي)(*) يواجه عراقيل بقدر ما يحمل من حلول لمشكلة التنمية، ويمكن للقارئ أن يرجع إلى التقرير الذي أعده السيد (جيروم بندي) ضمن التقرير السنوي لمنظمة (اليونيسكو) بعنوان: (نحو مجتمعات حرية التبادل المعرفي) الذي تم نشره خلال الأشهر الماضية.. وللمزيد من الإطلاع، يمكن الرجوع إلى أدبيات الملتقى الذي نظمته (اليونيسكو) تحت مُسمى (ملتقى القرن الحادي والعشرين) حول محور (التبادل المعرفي) بالإضافة إلى مشكلة الاستقطاب المعرفي في مجال المعلوماتية، وعدم تساوي الحظوظ في الحصول على المعرفة، عبر وسائل التعليم على المستوى القطري، وأحياناً بين الرجال والنساء على المستوى الأُسري.

التبادل المعرفي ليس مشكلة، بل هو الحل، لأنه لا ينقص من رصيد المعرفة لأي كان، وإنما ينميها ويضاعفها للجميع.

والمسار الصحيح للتنمية المعرفية، هو البدء بالاستثمار المكثف في مجال التعليم العام، ثم في البحث العلمي والمعلوماتي، ويتبعه تطور أساليب التنمية البشرية المتكاملة، ليطل المجتمع على مجالات أوسع من المعارف بأنواعها، والثقافات والمستجدات في مناحي العلوم والتقنيات.

لا بد من الاعتقاد أن التبادل المعرفي ليس مشكلة، بل هو الحل، لأنه لا ينقص من رصيد المعرفة لأي كان، وإنما ينميها ويضاعفها للجميع.

* الترجمة الحرفية: (تقاسم المعرفة) ولكن كلمة (تقاسم) في اللغة العربية لا تحمل بالضرورة معنى أخلاقياً كما توحي به كلمة (partage) المقابلة في سياق المقال، أما كلمة (التبادل) فهي الأكثر استعمالاً في اللغة العربية. المترجم.



من مأدبة الله

في القراءة (3)

أ. د. مهدي امبيرش *

العلاقة بين القرآن والقراءة علاقة ارتباط محكم، فالوحي مشروع للقراءة، والقرآن هو قدرة الإنسان على القراءة، فالله تعالى اقتضت رحمته أن يعلم الإنسان القرآن، أي يعلمه القراءة ﴿الرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۞ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [سورة الرحمن، الآيات: 1 ـ 5]

فأي إنسان علمه الله القرآن، وعلمه البيان، أي القدرة على القراءة والقدرة على البيان، وعجز الإنسان عن القراءة والبيان هو هبوط وارتكاس فيما هو دون مستوى الإنسانية، ومن ثم يمكن أن نفرق بين البيان والمنطق، مثلما نفرق بين النحو والقواعد، فالبيان هو هذا العام الإنساني، والمنطق هو حالة التقعيد، أو حالة الأحكام، ومن ثم فإن المنطق والقواعد هو ما ينطبق على الإنسان وغيره في حدود هذه القوانين التي تحكم ما نطلق عليه الكون، فالله تعالى الذي علَّم الإنسان البيان، جعل بعضًا من هذا البيان مرتبطًا بالمنطق والقوانين والأحكام، بعضها عام بكل المخلوقات، وبعضها خاص به، فكل ما خلق الله له منطق، أو يخضع للمنطق، وضمن مبحث الأحكام، والإنسان في بعضه هو كذلك، إلا أنه بحكم الإنسانية قد يتجاوز القوانين والأحكام الجبرية التي تخضع لها المخلوقات الحية المتحركة والجامدة، ولكنه بحكم البيان يتقدم عليها، والقرآن يعلمّنا أن للطير منطقاً، حيث يقول الحق تبارك وتعالى على لسان سليمان عليه السلام:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النمل، الآية: 16]

فالطير له منطق، ولكن ليس له بيان، ومن ثم فإن البيان يدخل ضمن منهج التفكير، أي النحو، في حين أن المنطق يتعلق بالقواعد، أي باستخراج الأحكام من الظاهرة البيانية، ومن ثم فإن فهم هذه الظاهرة يجعل القواعد والأحكام مفتوحة أمام مشروع للفهم، أي مشروع للاستفهام، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مشروع الفلسفة، حيث الفلسفة هي مشروع للفهم، من خلال طرح الأسئلة، مع اعتبار مفهوم الطرح بمعنى الإنقاص والإخراج من الحاصل أو المحصل، هذه الأسئلة التي تسبب قلقًا، بسبب الجهل، أو قلة المعرفة، أو كما يقول المختصون في البحوث المفهومية الفلسفية، تسبب الاستغراب والدهشة، والاستغراب والدهشة هما نتاج هذا الغريب المدهش، وهذا المجهول، الذي يدفع الإنسان إلى الفهم، هذا الدافع يعتبره البعض إزالة للقلق، في حين يعتبره الفلاسفة المثاليون، هذا الحب الذي يدفع إلى الوصول أو تحقيق الوصال بالصوفيا، أو الحكمة، والحكمة ترتبط بالإحكام، والمحكم هو الذي لا يقبل النفاذ فيه، في حين يقدم الرسول الكريم (هذه الحكمة بأنها مطلب،

---

* باحث، كاتب، أستاذ جامعي، الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية / ليبيا.

أو بتعبيره)، ضالة، أي شيئًا ربما ضل طريقه إلينا، أو ضللنا طريقنا إليه، حيث القرآن باعتباره مشروعًا للقراءة هو الذي يهدي إلى السبيل القويم، يقول ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أولى بها».

هنا نعود إلى تبيان العلاقة بين المفهوم والمعنى، هذه العلاقة التي أوجد عدمُ إدراكها وتحديدها أزمةً معرفية حادة في الفكر الإنساني بعامة، فالإنسان بحكم محدوديته، وبحكم أنه في جزئه الشيئي محكوم بالقدر، حيث القدر هو الوسع، وأن الله خلق كل شيء بقدر، هذا الإنسان قد يتجاوز قدره فيتوهم أنه المطلق، وهنا يبدأ الطغيان، ويبدأ تاريخ الظلم والتعدي والاعتداء، حتى ضد الإنسان نفسه، بتحميله نفسه ما لا طاقة لها به، ومن ثم يتوهم هذا الإنسان أنه قادر على إدراك المعنى، في حين أن وسعه وقدرته هي في حدود المفهوم، والمفهوم هو المدرك أو الممكن إدراكه، مع التنبيه على أن مصطلح الممكن يضعنا ضمن المحدود الظرفي للمكان، فالإمكانية قابلية للتمكن، أي قابلية للإنجاز في حدود الظرف المكاني الزماني، ومفهوم الإدراك نستخدمه لنقصد به مجاز تحول الأفكار إلى أشياء قابلة للوصول إليها والإمساك بها، فأن يدرك الإنسان، فإنه يدرك الشيء، أو هذا الذي يقوم مقام الشيء، والإدراك يرتبط بالعقلانية، أي بالتجريد، وهذه موضوعها المنطق، أو بالقابلية للإدراك، حيث تضع الإنسان في فضاء أبعد من المعقول والمحدود، وهنا نخرج من قيود المنطق، المحكوم بالمعرفة، إلى فضاء الكشف والاكتشاف المرتبط بالغيبي، الذي خارج المحدود، حيث المحدود دليله لا هو.

لقد توهم الفلاسفة المثاليون أن بإمكانهم إدراك المعنى، أي إدراك المطلق، كما أنهم وضعوا مشروع الإدراك ضمن (الشيء بذاته)، و(الشيء لذاته)، وهذان المصطلحان نجدهما من مصطلحات الفلسفة الأوروبية المعاصرة منذ كانط، ومرورًا بما يعرف بالكانطيين الجدد، ومن مدرسة كانط كان هيغل، ومن بعده من أطلق عليهم الهيغليون الجدد، حيث دارت مباحثهم ضمن أزمة المثال والواقع، التي أدت، كالمباحث الفكرية القديمة، إما الى التركيب، أو الفصل (العلمانية)، أو أن يظل الغيبي هو المتجسد، ضمن شطحات ما يسمى بوحدة الوجود (Pantheism)، والتي نجدها في الشطحات الصوفية القديمة الشرقية، وفي التوظيف الروماني لها في ما يسمى باتحاد اللاهوت بالناسوت، ضمن أطروحة الحلول القديمة، بحيث يبقى الفرق إما حلولاً للمطلق في المحدود الفردي، أو حلولاً للمطلق في الكون، ضمن ما عرف بالمذهب الحيوي، ذي الجذور الصوفية الصينية القديمة، ونموذجها المعاصر الفيلسوف اليهودي (باروخ سبينوزا)، أو بنفي التركيب والفصل والقول بالوحدانية، وهو ما يذكرنا بدعوات الفلاسفة الفيزوقراطيين الإغريق من أن هذا الكون قد خلق من عنصر واحد، إما الهواء، أو الماء، أو النار، أو المطلق (الابيرون)، حيث نعتبر كارل ماركس فيلسوفًا موحدًا، أي أنه يقول بالأصل المادي الواحد للكون، فمشكلة التكثر والتغير تقلق الإنسان، فيحاول الهروب، إما بالفصل، أو بالتركيب، أو بنفي التكثر، والقول بالواحدية، ونفي التغير والقول بالسكون، والوحدانية هي غير ما يقدمه القرآن، أو مشروع القراءة من أن الله واحد أحد، فهو ليس واحدًا فحسب، بل هو واحد أحد، ذاته الوحدانية لا الواحدية، ولا التوحيد، الذي هو مصطلح التركيب، والذي يضعنا ضمن لاهوت التركيب القديم، الذي لا يقبل الحقيقة إلا ثالوثًا، أو مركبًا ثانويًا، فالله وحدانية واحدية، في حين أن مصطلح التوحيد أدخله المعتزلة، المتأثرون بفلسفة التركيب الأفلاطوني، والقائلون بأن العقل، أو اللوغوس، أو الكلمة هو العامل الموضوعي للتوحيد، وهو ذاته ما دفع به المشركون من أدعياء المسيحية الذين اعتبروا المسيح عليه السلام الكلمة، كما جاء في ما يعرف بإنجيل يوحنا، أو هو اللوغوس التركيبي في ثالوث ما يطلقون

أي إنسان علمه الله القرآن، وعلمه البيان، أي القدرة على القراءة والقدرة على البيان، وعجز الإنسان عن القراءة والبيان هو هبوط وارتكاس فيما هو دون مستوى الإنسانية

عليه (الأب، والإبن، والروح القدس)، وما يزال الكثيرون حتى من المسلمين يستخدمون مقدمة إنجيل يوحنا، (في البدء كان الكلمة)، دون الانتباه إلى أن الإنجيل يتكلم عن المسيح عيسى، وليس عن الكلمة في معرض الاستخدام البياني، ويبدو التحريف واضحًا في قولهم (في البدء كانت الكلمة)، في حين أن الإنجيل يستخدم (كان)، الذي هو المسيح، أو اللوغوس التركيبي، ثم يستطرد ليقول، إن الكلمة صار الله، أو هو الله، وهو ما يذكرنا بشطحات الحلول الصوفي القديم، والذي وجدناه عند غلاة الصوفية، ممن يوصفون بأنهم متصوفة مسلمون، كالبسطامي، والجنيد، وغيرهما.

إننا هنا ندفع بالفهم والمفهوم ضمن مشروع الممكن الذي يتقدم نحو المعنى، والمفهوم بذلك هو موضوع المعرفة، والمعرفة هي بعض العلم لا كله، والبشر لم يؤتوا من العلم إلا قليلا، والعالم الحقيقي هو العالم بجهله، حيث الجهل هو المجهول، أو قل هي المجاهل، التي يتقدم الإنسان فيها مستعينًا بنور الله، وكلما تقدم الإنسان شعر بالخشية لا لعلمه بالعلم، بل لعمله بالجهل كما أشرت، ولهذا يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر، الآية:28]

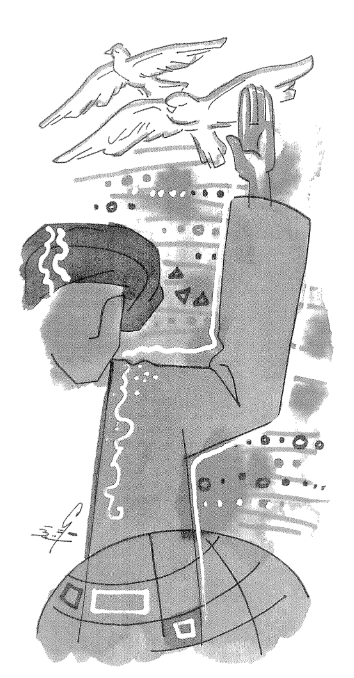
لقد توهم هؤلاء الشاطحون من أدعياء الحب الصوفي، أو ما يطلق عليهم الفلاسفة بالمفهوم الإغريقي، الذي قصده (هيراقليطس)، أو غلاة أدعياء العرفان والاتحاد بالصوفيا أنهم قادرون على إدراك المطلق، بذاته، ولذاته، بذاته لأنه المفارق والغيبي، ولذاته باعتبار المحبة، في مفهوم الفلسفة اليوناني في الأصل، أو أنهم قد أدركوه، بدافع العشق، كما يذهب إلى ذلك الواقعون في الشطح والصوفي، والذين يقولون بالاتحاد، فالجمال، والخير، والحق، التي هي أسماء معان، بالإمكان أن يدركها هؤلاء، أو أنهم أدركوها بالفعل، في حين أن ما ندفع به هو أن الإنسان قد يدرك الجميل، والإنسان الخير، ولكنه لن يدرك الجمال، لأنه اسم معنى، حتى إدراك المفهوم يظل فيه خلاف واختلاف، بسبب الاختلاف في المعرفة، والاختلاف في مرجعيات الأحكام، وكما أشرت فإن الحكم على الجميل موضوع منطق، في حين أن الجمال مشروع بيان، بل مشروع إبداع يدخل الإنسان فضاء الغيبي، ويظل الوصول إلى المطلق مشروعًا إنسانيًا لا ينتهي إلا بنهاية الحياة على هذه البسيطة، فالإنسان يتقدم نحو المعنى، ونحو العلم، في حين أن ما يدركه هو المفهوم ومحدود العلم، أو قليله، الذي هو المعرفة، ولو قبلنا بتحقق المطلق في المحدود، فهذا إما أن المطلق غير مطلق، أو المحدود غير محدود، وهنا قصة الظلم والتعدي والتأله، ثم لو سلمنا جدلاً بأن هذا المحدود قد صار مطلقًا، أي أن الجمال قد تجسد أو حل في الإنسان المحدود، ثم مات هذا الإنسان، فإن معنى ذلك أن الجمال قد مات كذلك.

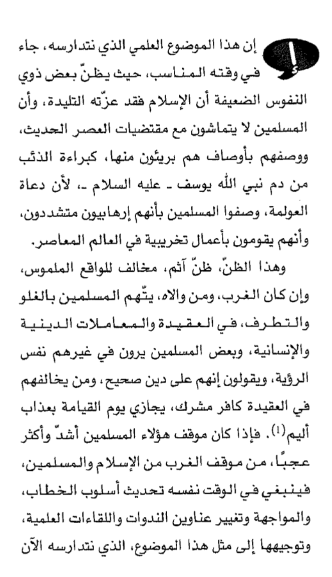
الإنسان قد يتجاوز قدره فيتوهم أنه المطلق، وهنا يبدأ الطغيان، ويبدأ تاريخ الظلم والتعدي والاعتداء، حتى ضد الإنسان نفسه، بتحميله نفسه ما لا طاقة لها به

إن قصة العلم هي قصة التقدم حتى الغيبي، والقرآن، الذي هو مشروع القراءة هو من يضعنا ضمن هذا الغيبي، ولكنه ليس غيبًا عدميًا كشطح القائلين بالفناء والانطفاء، والنرفانا والسكون، ولكنه غيب واع، يؤسس على الإيمان والعمل، العمل الذي يستحق أن يوصف بالصلاح، حيث الصلاح صلاحية وامتداد أبعد من الفعل المتظرف والمحدود، إن القائلين بنهاية الإنسان، ونهاية الفكر، ونهاية التاريخ، لا يخرجون عن هذا الشطح، فالقول بالقطب الوحيد، والإنسان الأخير، لا يدخل إلا ضمن مشروع الصوفيا العدمي البائس، والذي يعبر عن أزمة مشروع القائلين به، و إلا فإن الحياة لا تقبل إلا بالحيوية، التي مظهرها الحركة والفعل والصيرورة والتغير، وأن الإنسان المدرك لنفسه، أو العارف لحدوده، والإنسان الذي يمتلك الوعي حسب هذه الحدود، التي هي وعاؤه، هو وحده الذي يستطيع القراءة، والقراءة على الأحرف السبعة.

التسامح الإسلامي وسيلة للسلم العالمي

د. شارنوكاه الحبيب *





إن هذا الموضوع العلمي الذي نتدارسه، جاء في وقته المناسب، حيث يظنّ بعض ذوي النفوس الضعيفة أن الإسلام فقد عزّته التليدة، وأن المسلمين لا يتماشون مع مقتضيات العصر الحديث، ووصفهم بأوصاف هم بريئون منها، كبراءة الذئب من دم نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ، لأن دعاة العولمة، وصفوا المسلمين بأنهم إرهابيون متشددون، وأنهم يقومون بأعمال تخريبية في العالم المعاصر.

وهذا الظنّ، ظنّ آثم، مخالف للواقع الملموس، وإن كان الغرب، ومن والاه، يتّهم المسلمين بالغلو والتطرف، في العقيدة والمعاملات الدينية والإنسانية، وبعض المسلمين يرون في غيرهم نفس الرؤية، ويقولون إنهم على دين صحيح، ومن يخالفهم في العقيدة كافر مشرك، يجازي يوم القيامة بعذاب أليم[1]. فإذا كان موقف هؤلاء المسلمين أشدّ وأكثر عجبًا، من موقف الغرب من الإسلام والمسلمين، فينبغي في الوقت نفسه تحديث أسلوب الخطاب، والمواجهة وتغيير عناوين الندوات واللقاءات العلمية، وتوجيهها إلى مثل هذا الموضوع، الذي نتدارسه الآن

* باحث وأستاذ جامعي / السنغال.

1 ـ انظر نشاطات بعض الجمعيات والمنظمات، ذات برامج دعوية تجد فيها ما يؤكد لك ما قلنا في هذا العرض الموجز.

للوصول إلى السلام العالمي الدائم، والتعايش السلمي المستمر بين المتجاورين بلدًا ومدينة ودارًا وبيتًا، ليعم السلم في ظل التسامح الإسلامي.

وعند نزول الوحي الإلهي في شبه الجزيرة العربية، كان العرب في ذلك المجتمع الجاهلي، يعتقدون بمعتقدات عديدة باطلة، ويختلفون فيها عن مفهوم الدين والعقيدة والمذهب والاتجاه الطائفي، لذلك كان الهم الشاغل للإسلام في نهاية ذاك العهد وبداية الدعوة الإسلامية، توجيه الناس إلى عقيدة واحدة، ونادى سكان المجتمع بأسلوب ليس فيه عنف ولا تشدد ولا إجبار.

بل خاطبهم بأسلوب ليّن، فيه حرية الاختيار والمساواة بين بني البشر، قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

[سورة آل عمران، الآية:64]

وقال:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾[سورة البقرة، الآية:256]

ومن هذا المنطلق العقدي، استمرت الدعوة بأسس اختيارية، وأفهم الناس بأن اختلافهم في المعتقدات، هو من سنن الحياة في الدنيا وفي خلق الله، وعبّر عن ذلك القرآن الكريم بقوله:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود، الآيتان:118-119]

وبين الله تبارك وتعالى لحامل الوحي، محمد بن عبدالله ﷺ بأنه لا يستطيع أن يجعل كل أفراد المجتمع مسلمين مؤمنين بدعوته، ولذلك يوجّهه المولى بقوله:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة يوسف، الآية:103]

وكانت سماحة الإسلام في العقيدة ظاهرة اجتماعية، تتنافى مع الحقد الديني وتنادي إلى المعايشة السليمة، وأن الناس أحرار في اعتناق الدين الذي يرونه مناسبًا لهم من غير إجبارهم على ذلك، وورد في ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

[سورة يونس، الآية:99]

غلاف كتاب روح الدين الإسلامي

وفي ظل هذه الحرية الدينية المطلقة، يقول عفيف عبدالفتاح طبّارة، مؤلف كتاب: روح الدين الإسلامي: (ثم نرى أنه بينما كان رؤساء أكثر الأديان يأمرون أتباعهم باستعمال أشد الطرق الإكراهية لحمل الناس على الدخول في دينهم، ولو أدى ذلك إلى قتل عشرات الآلاف، نرى أن الإسلام يخاطب متبعيه بأن لا يجبروا أحدًا على ترك دينه واعتناق الإسلام)(2).

وعلى ضوء هذا التسامح الإسلامي، استطاع حامل لواء الدعوة، سيدنا محمد ﷺ تعميم سكان الجزيرة كلهم، في ظل عقيدة إسلامية سليمة، وترك الأوثان وهجر الأصنام، وكثير منهم اعتنق الدين الإسلامي باختيار من عنده، وبعضهم خالف المسلمين واعتدى عليهم.

ومنذ ذاك الوقت، وضع الإسلام جميع أسس التسامح الديني، والحرية المطلقة في الدين، وذلك منذ ما يقارب خمسة عشر قرنًا، وجاء أهل الغرب

2 ـ عفيف عبد الفتاح طبّارة : روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 27 ، 1988 مسيحي، ص: 281.

ومن والاهم يختلفون فيما يعتقدون، وأعلنوا الحروب الدامية ضدّ مخالفيهم في العقيدة والتوجه الديني وظهرت مذابح ضد القوم الذين ليسوا معهم وتطورت نزعة الحقد بينهم، ومن نتيجة ذلك تشويه التاريخ وإخافة عامّة الناس المتمسكين بالأديان، وقال في ذلك «جون سيجمون» في كتابه (حرية الاعتقاد) ما أدخلت ترجمته في كتاب روح الدين الإسلامي: «إنّ حرية الأديان ليست ببعيدة العهد، فإن تاريخ العالم هو عبارة عن تاريخ الحقد الديني، وهذا الحقد الديني الذي هو أقدم من الحرية يتصاعد إلى أبعد عصر التاريخ»[3]، وما سبق قوله في هذا العرض يدلّ على أن الإسلام دين تسامح وتعايش دون إكراه أو إجبار في المعتقدات الدينية.

مظاهر التسامح الإسلامي في علاقة المسلمين مع أهل العقائد الأخرى

عندما تمت الهجرة إلى المدينة المنورة والاستقرار فيها، أعلن صاحب الدعوة وحامل لوائها محمد بن عبدالله ﷺ إباحة البقاء في الدولة الإسلامية لغير المسلمين، مع أداء الجزية كحق ملزم لحمايتهم ضد أية اعتداءات على نفوسهم وأموالهم ومساكنهم، مثلهم في ذلك مثل المسلمين. ومعاهدة عمر بن الخطاب مع أهل القدس نوع آخر في الأدلة الملموسة على هذا التسامح الإسلامي، ويقول في ذلك عفيف عبدالفتاح طبّارة: «وخير مثال على ذلك العهد الذي قطعه عمر بن الخطاب على نفسه لأهل القدس»[4]، حيث أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها: إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص

سماحة الإسلام في العقيدة ظاهر اجتماعية، تتنافى مع الحقد الديني وتنادي إلى المعايشة السلمية

منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود[5].

ومن التسامح الإسلامي، البارز، أن المسلم لو أراق خمر غير المسلم أو قتل خنزيره، عليه دفع قيمة ذلك، وعند المناقشة والمناظرة مع غير المسلم، وضح القرآن الكريم منهج ذلك النقاش بقوله:

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية:46]

ودعى إلى تحسين طرق الدعوة إلى الله بأسلوب رائع مقبول، يقول الحق تعالى في ذلك:

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل، الآية:125]

كما دعى إلى البر والعطف والعفو وإرادة الخير وترجيح طرق الصلح على طرق النزاع وترجيح المودّة على العداوة والبغضاء وقال جلّ وعلا:

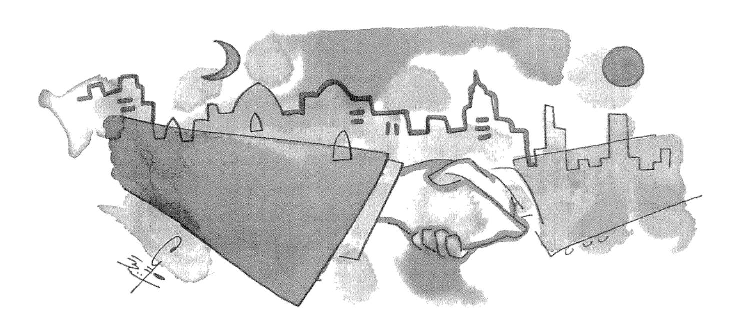
﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة الممتحنة، الآية:7]

---

3 ـ نفس المصدر السابق، ص: 280.

4 ـ روح الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص: 281.

5 ـ تاريخ الأمم والملوك ج1.



ومن التسامح الإسلامي، أنّه دعا إلى برّ الوالدين على قدم المساواة، بر الوالد المسلم، كبر الوالد غير المسلم، ما بقيا على قيد الحياة، قال الله تعالى:

﴿ووَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[سورة لقمان، الآيتان: 14-15]

سمح القرآن الكريم لنا بأكل طعام أهل الكتاب ما لم يدخل فيه حرام، كخمر مثلاً، وذبائحهم كذلك حلال لنا، كما في القرآن الكريم:

﴿...وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[سورة المائدة، الآية: 5]

وأباح التزاوج بين نسائهم ورجالنا، قال تعالى في معرض ذلك:

﴿...وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[سورة المائدة، الآية: 5]

ومن التسامح الإسلامي حسن المجاورة، وتوقيع السلم والمعاهدة معهم، وعدم إيذائهم تنفيذًا لأمر النبي ﷺ: (من آذى ذميًا فأنا خصمه. ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة)(6).

وفي تكريم بني البشر كل الناس سواسية مسلمهم وغير مسلمهم، قال الحق تبارك وتعالى:

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[سورة الإسراء، الآية: 70]

حسن المعاملة مع غير المسلم

ومما أقره الإسلام في تعامله السمح مع غير المسلم، وحسن الجوار، ويكون عن طريق عيادته إذا مرض، ومساعدته إذا كان في حاجة إلى العون، والوقوف جنبه عند الشدائد، وتقديم الهدايا، ونقل عن ابن عباس (رضي الله عنه) قوله لغلامه حين ذبح شاة: لا تنس جارنا اليهودي، ثم كررها حتى قال له الغلام، كم تقول هذا (كم مرّة؟) فقال ابن عباس (رضي الله عنه): إن النبي ﷺ قد أوصانا بالجار حتى ظننا أنه سيورثه.

ومن التسامح الإسلاميّ توفير حقوق أهل الذمّة

6 ـ حديث متفق عليه.



ووجوب الرفق بهم، وقال ابن حزم في: (مراتب الإجماع): (إن من كان في الذمّة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم... ونموت دون ذلك، فإن تسليمه، إهمال لعقد الذمّة) (7).

وأمثلة كثيرة جدًا تشير إلى أن المسلم يتعايش مع غير المسلمين في سلم وحماية كاملة، ويمكن ضرب المثل على ذلك، بمعايشة العرب المسلمين مع العرب المسيحيين في مدينة واحدة وحيّ واحد، والأمثلة كثيرة في إفريقيا، حيث نجد عائلة واحدة تنقسم إلى قسمين: قسم مسلم، وآخر مسيحي، أو وثني، دون أية مشاكل، بل يتعاملون ويتجاورون من غير فتن تعرقل حسن الجوار بينهم، يشارك بعضهم بعضًا في المناسبات الاجتماعية والعائلية والوطنية، وكلما دعت الحاجة إلى اجتماع يجتمعون لدراسة قضية مشتركة للجميع، وهذا النوع من التسامح ينادي به الإسلام، وهو منتشر في قارتنا الإفريقية.

❖ **تجربة التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في إفريقيا مثال واضح وإيجابي.**

إن التسامح الإسلامي، شامل لكل جوانب الحياة البشرية فوق الأرض، وكل المعاملات الحسنة والرعاية الطيبة، مطلوبة من الطرفين، ورسالة الإسلام رسالة رحمة وهداية موجهة إلى كل البشرية «إرحموا من في الأرض يرحمكم الله، الراحمون يرحمهم الرحمن».

والمنهيات التي تضر المجتمع شاملة لكل أطرافه، بمختلف معتقداتهم وطوائفهم وانتماءاتهم، لأن الناس كلهم شركاء في الحياة الاجتماعية، ورعايتها حق ملزم على الجميع، وتبادل العطف والرفق موجب المودة، والبرّ إلى الغير يزيد الرحمة والمخاطبة بأسلوب لين رقيق يوجب القبول.

لذلك كله فإن التسامح الإسلامي، من أهم وسائل السلم الدائم في العالم كله. ووجدنا تجربة في مجتمعاتنا الإفريقية بين أُسر مختلفة العقيدة، ويتعايشون تعايشًا سلميًا ناجحًا، ويجب تعميم ذلك في العالم كله.

---

7 ـ روح الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص: 287.



المسلمون في الغرب:
حقوقهم و واجباتهم ومستقبلهم

د. مراد ويلفرد هوفمان*
ترجمة وتلخيص: **لبنى زرتي ****

كان من بين التأثيرات الأساسية للعولمة الاقتصادية والثقافية انتشار الأديان في العالم. وهذه الظاهرة أثرت بصورة خاصة في سرعة انتشار الإسلام في أوروبا. فهنالك في أمريكا اليوم حوالي ستة ملايين مسلم وكلهم تقريباً أمريكيون، وهنالك في أوروبا مهاجرون، ودارسون، ولاجئون من الحروب، وباحثون عن فرص العمل، منهم حوالي أربعة ملايين مسلم في فرنسا، وتقريباً ثلاثة ملايين مسلم في بريطانيا، ومليون ونصف المليون في ألمانيا، أضف إليهم مسلمو البوسنة والهرسك، والخلاصة هي وجود حوالي عشرين مليون مسلم في أوروبا.

تسامح الإسلام

نظراً لمبدأ التسامح والتعايش السلمي الذي ينادي به الإسلام مع أهل الكتاب ويحث عليه في القرآن الكريم ولأن العالم الإسلامي عالم متعدد الأديان، ولهذا السبب أيضاً انتشر الإسلام في المناطق المسيحية منذ زمن بعيد في الشرق الأدنى، وفي شمال إفريقيا، واسبانيا، وفي بيزنطة والبلقان.. بدون أن يتخلص من الشعوب والمجتمعات المسيحية في تلك المناطق.

في هذا العصر أصبح التسامح مع أهل الكتاب أكثر وضوحا في أرجاء المعمورة: في مصر ودمشق واسطنبول وحتى في اليونان وصربيا. هذا الوضع سهلته حقيقة أن القرآن الكريم حثَّ على ما يطلق عليه بالحوار الإسلامي المسيحي منذ بزوغ نور الإسلام. إن تواجد الشعوب اليهودية والإسلامية في زمان ومكان واحد، جنباً إلى جنب، في الشرق الأدنى، وشمال إفريقيا، والامبروطوريه العثمانية، هو في الحقيقة ناتج من تركيز القرآن الكريم المكثف والرائع على أنبياء بني إسرائيل بصورة عامة، وعلى موسى (عليه السلام) بصورة خاصة. وعلى هذه الأسس طورت القوانين الإسلامية أول قانون متفتح للتعامل مع الذميين من أهل الكتاب.

أوروبا والإسلام

أما هنا في الغرب فإن التطور أخذ منحىً مختلفاً كليا حيث أصبح التعصب متفشياً بين الكنائس

---

* كاتب ودبلوماسي / ألمانيا.
** مترجمة / ليبيا.

المسيحية نفسها لدرجة أن العديد من الطوائف خرجت عن القانون (مثلما حدث عند انعقاد مجمع نيقيا سنة 325 بعد الميلاد)، وذبحت بسادية طوائف (مثل الدوناتيست في شمال إفريقيا في القرن الخامس الميلادي والباقينيس والكاثاري في القرن الثالث عشر الميلادي) أو أبيدت طوائف أخرى مثل (الأرثوذكس في شرق روما) أو صلب أفرادها مثل (الكونستانتنبول في سنة 1205). وفي ألمانيا دامت إحدى الحروب 30 سنة بين البروتستانت والكاثوليك أهلكت معظم السكان. تحت وطأة هذه الظروف ونيران العداوة المشتعلة كانت الكلمة الفاصلة للكنيسة تحت شعار (لا مهرب ولا نجاة إلا بالكنيسة ولا نتوقع منها أدنى مقدار من تسامح نحو الإسلام).

إن طرد المسلمين واليهود من إسبانيا في القرن السادس عشر كان هو أول حالات التطهير العرقي في العصر القديم، وكان نتيجته أن أصبحت أوروبا خالية تقريباً من المسلمين، ورغم وجود تفاعل علمي وتبادل تجاري بين المسلمين وأوروبا إلا إن وجود المسلمين في هذه القارة لم يبدأ من جديد إلا في القرن العشرين.

وعلى هذا الأساس تفاجأ المسلمون بعدم تقبلهم هناك كمواطنين في الغرب في العصر الحديث. ومما زاد الأمر تعقيداً الذكريات المتراكمة عن الحروب الصليبية وأيام الحملات العسكرية العثمانية على وسط وجنوب أوروبا.

الكنيسة الكاثوليكية هي أيضاً لم تصلح بالكامل وجهة نظرها تجاه الإسلام وعلى الرغم من أنها قد أقرت منذ انعقاد مجمع الفاتيكان الثاني بالإسلام كطريق للخلاص إلا أنها لا زالت ترفض الاعتراف بـ محمد ﷺ رسولاً خاتماً للرسل والأنبياء ولم تعترف مطلقاً بالقرآن الكريم تنزيلاً من الله تعالى. هذا الرأي للكنيسة ازداد قوة بظهور أمثال سلمان رشدي، واندلاع حرب الخليج، والمذابح التي ارتكبت في الجزائر باسم الإسلام. ولهذا فان ما يظهر في صورة اضطهاد للمسلمين في أوروبا ما هو إلاّ تعبير

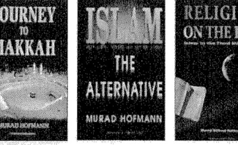


❖ الكاتب والمفكر مراد ويلفرد هوفمان هو ألماني مسلم. ولد في مدينة قرب فرانكفورت في ألمانيا سنة 1931 ودرس القانون الأمريكي والألماني وعلّم الاجتماع والاقتصاد في الكلية المتحدة في سكنيكاتدي في ولاية نيويورك، كما نال درجة الماجستير في القانون الألماني من جامعة مانش، ودرجة الدكتوراه من جامعة هارڤارد. كان سفير ألمانيا للمغرب والجزائر ما بين سنتي 1987 ـ 1994 وكان مدير معلومات للناتو في مدينة بروكسل. اعتنق الإسلام في سنة 1982 وذهب لأداء فريضة الحج سنة 1992 وسنة 2004. يعيش حالياً مع زوجته التركية في اسطنبول بتركيا ولديه ابن يعمل أيضاً في السلك الدبلوماسي.

له مؤلفات عديدة مشهورة عن الإسلام مترجمة لأغلب اللغات. مثل (يوميات ألماني مسلم)، و(الرحلة المختارة لمكة المكرمة) و(الإسلام في الألفية الثالثة).



غلاف كتاب نشأة الدين



غلاف كتاب الإسلام في الألفية الثالثة

غلاف كتاب الرحلة المختارة لمكة المكرمة



عن الخوف من نمو وانتشار الإسلام الذي يختلف في العادات والتقاليد والثقافة عن المجتمع المسيحي. لمزيد من التوضيح: إنسان الشارع في مدينة مثل كولون لا يرى الإسلام ديانة ترفض التثليث (فهو لا يهمه ذلك أبداً) ولكنه يرى فيه حضارة مختلفة هي التي جعلت من الأتراك أتراكاً.

الإقامة في دار الكفر

في ظل هذه الظروف فإن المسلمين المعاصرين يمكن أن يطرحوا قضية هامة للنقاش وسؤالا طالما طرح في اسبانيا منذ 500 سنة مضت وهو: هل يسمح للمسلمين المعاصرين بالإقامة في ما تم تسميته فقهياً دار الكفر أو دار الحرب؟

لقد اختار بعض المسلمين البقاء في اسبانيا مستندين في ذلك على ما حدث في أول هجرة للمسلمين عندما أرسل الرسول الأكرم ﷺ مع مطلع نور الإسلام بعض الصحابة للحبشة المسيحية هرباً من الاضطهاد، ولم يعتبر الحبشة آنذاك دار حرب.

بعض أعلام الأمة الإسلامية مثل الإمام أبي حنيفة لا يوافق على إقامة المسلمين في غير بلد إسلامي، وعلى عكسه يؤيد الإمام الشافعي بقاءهم ويحثهم على ذلك معتبراً ذلك سبيلاً للدعوة الإسلامية. وسابقاً أيد وجهة النظر هذه الإمام جعفر الصادق مشيراً إلى إن هذه أفضل طريق لخدمة الإسلام والمسلمين من بقائهم في بلدانهم الإسلامية، ثم لاحقاً أيَّد هذا الكلام العلامة الماوردي في القرن الحادي عشر ولكن لم تقبل هذه الفكرة أبداً في المذهب الحنفي الأكثر شيوعاً بين المسلمين، رغم حماس المسلمين واستعدادهم.

اليوم وعبر الثورة الصناعية الثالثة (ثورة الاتصالات) يجد المسلمون المقيمون في بلدان غير إسلامية مبرراً أكثر لحرية الإقامة في الغرب. فاليوم لا تواجه أغلب المسلمين في الغرب صعوبات في ممارسة العبادات والشعائر الإسلامية الأساسية لسببين:

1 ـ الغرب أصبح غير متدين لدرجة جعلته يتسامح مع أغلب الأمور التي تتعلق بالدين باعتبار أنها من (خصوصيات الفرد).

2 ـ إن حرية اعتناق الأديان وممارسة الشعائر أصبحت جزءاً لا يجزأ من وثائق حقوق الإنسان العالمية.

واليوم تزدهر مؤسسات البحوث الإسلامية في الغرب وتنمو بدون رقيب، والمساجد تشيد في أوروبا ابتداءً من مدينة زغرب في كرواتيا، وروما في ايطاليا، إلى ليون في فرنسا. كما نجد أن المؤسسات الإسلامية دخلت في علاقات صلح وتعاون مع البلدان المقيمة فيها.

هل سيستمر هذا الحال مثلما أتمنى وآمل طوال القرن الواحد والعشرين؟ عندها سوف يصبح الإسلام في أوروبا جزءاً مهماً من المجتمع الأوروبي أو ما نطلق عليه (الوضع الاعتيادي).

الاندماج في الغرب

إن إمكانية الاعتياد على الوجود الإسلامي في الغرب تنشأ عنه قضية الاندماج و الهوية الإسلامية: فإلى أي مدى يمكن للمسلمين الاندماج في المجتمع الأوروبي بدون فقدان هويتهم و عقيدتهم الإسلامية ؟

إن المسلمين سواء كانوا مواطنين أصليين أم أجانب (ولدوا داخل أوروبا أو خارجها) يمتلكون فروقاً تتجلى في أربع نقاط :

1 - **المظهر**: صورة المسلم في نظر الغرب : رجال ذوو لحى كبيرة، يرتدون عباءات واسعة وجلابيب أو أي أزياء تقليدية، ونساء يرتدين الزي الشرعي الإسلامي بدون لمسة من الموضة. والعديد منهم حتى من الجيل الثاني يتكلمون اللغة المحلية وإن شابتها بلكنة.

2 - **عادات الأكل**: المسلمون يرفضون الكحول والمسكرات ولحم الخنزير ويتناولون اللحم المذبوح على الطريقة الإسلامية ولهذا هم غالباً ما يصطدمون مع القوانين والشرائع الغربية.

3 - **العبادة**: المسلمون يطالبون بقطع وقت العمل لتأدية الصلوات المفروضة، والاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم الدينية الخاصة والذهاب للحج والعمرة خلال أيام محددة، وبناء المساجد ذات المآذن العالية وتشييع موتاهم بطريقة خاصة. ولهذا هم كذلك يصطدمون بالقوانين والشرائع المحلية.

4 - **الإيمان** : المسلمون يرفضون الإيمان بالمعتقدات الأساسية للديانة المسيحية كالتثليث، وألوهية المسيح، ومسح الذنوب، وصلب المسيح. بالإضافة إلى ذلك هناك المبادئ الاسلامية المختلفة عن نظرة الغرب للعلاقات الخاصة بين الرجال والنساء داخل وخارج مؤسسة الزواج . كما أن لدى المسلمين أفكاراً مختلفة عن الديمقراطية وحقوق الإنسان في الغرب.

العادة والعبادة

بصورة عامة، إن عملية التطبيع (وعلى الأخص الاندماج) ستأخذ مسارها سواء أراد الشرقي الذي يعيش في الغرب أم لا، وبغض النظر عن مدى تقبله لها من عدمه. وبالنسبة للمسلمين هنالك مساحة من اللين والمرونة يمكن أن يتنازلوا فيها ولكن فقط لما يعتبر إرثاً إسلامياً وليس قانوناً إسلامياً.

فإذا تأملنا النقاط السابقة نجد انه لا يمكن التسامح على الإطلاق فيما يخص العبادات والمعاملات لأن التجاوز عن بعض أوامر الشريعة للمسلمين القاطنين في البلدان غير الإسلامية هي فكرة مرفوضة في معظم المذاهب بسبب عدم وجود نهاية لهذه التجاوزات إذا فتح بابها، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى انحلال المسلمين من الالتزام بتعاليم دينهم. وكمثال نأخذ مسألة التعامل مع الربا، فلو سمح به المسلمون، فكيف لهم أن يدعوا إلى النظام الإسلامي الذي يشجع على المشاركة في الربح والخسارة كبديل للاقتصاد الأوروبي المبني على الفائدة المضمونة على أموالهم؟ وهذا الأمر يقودنا إلى مسألة تطوير مذهب جديد قد يطلق عليه اسم (المذهب الأوروبي) مبني على فتاوى العلماء المسلمين في الغرب لحل مشاكلهم الخاصة بهم مثل مسألة الفائدة.

أرسل الرسول الأكرم ﷺ مع مطلع نور الاسلام بعض الصحابة للحبشة المسيحية هرباً من الاضطهاد، ولم يعتبر الحبشة آنذاك دار حرب

ولكن بالنسبة إلى عادات الأكل والمظهر فهناك حقاً مساحة كبيرة من اللين والحرية كفلها الاسلام باعتبارها عادات حضارية أكثر منها دينية. لذلك فالمسلمون في الغرب ليسوا مجبرين وملزمين على الجلوس أرضاً والأكل باليدين أو تنظيف الأسنان بالسواك عقب كل وجبة، كما أنهم ليسوا ملزمين كذلك بارتداء الزي المتعارف عليه في بلدانهم

الإسلامية، وأن نساءهم غير ملزمات بارتداء الزى الوطني ولا يفرض عليهم دينهم أبداً أن يستعملوا كلمات عربية بعينها.

يجب أن نلغي فكرة أن الإسلام هو دين العرب فقط، بل الإسلام هو دين خالد يعتنقه بشر من مختلف الثقافات والأجناس دون المساس بشخصياتهم القومية، فهناك المسلم المغربي والمسلم المشرقي، فلم لا يكون هناك مسلم ألماني ؟

من أجل عملية مساعدة الغرب على تقبل الإسلام فإن المفكرين المسلمين لهم دور كبير بالغ الأهمية وهو توضيح أن الإسلام ديانة لا تدعو للظلام والجهل كما يعتقد معظم الغربيين، وإنما هو دين العلم والمعرفة والعقلانية. وهل هنالك أي نص رباني ينسجم مع تفكير الإنسان ويساير الفطرة ويدعو للمنطق أكثر من القران الكريم؟ أليس أول كلمة نزلت من القرآن هي (اقرأ) ؟.

على النقيض من الإسلام فان العقيدة المسيحية تعتمد على الخرافات والأساطير. بينما يشبه الإسلام الفلسفة الأوروبية الحديثة خاصة (فلسفة هوم وكانت) والتي دائما ما أنكرت وجود قانون قسري يحكم الطبيعة ؟

المسلمون في الغرب ليسوا مجبرين أو ملزمين على الجلوس أرضاً والأكل باليدين أو تنظيف الأسنان بالسواك عقب كل وجبة كما أنهم ليسوا ملزمين كذلك بارتداء الزي المتعارف عليه في بلدانهم الاسلامية

الدعوة للإسلام

إن المفكرين العقلانيين المسلمين يجب عليهم تقديم الاسلام بطريقة يتقبلها ويقدرها فلاسفة الغرب لدعم استقرار الإسلام هناك. كثير من المسلمين يمارسون شعائر دينهم بروتين تقليدي وبدون أي إحساس روحي، ولم يؤثروا في البيئة المسيحية أو يصوروا الاسلام كمنقذ روحي للفرد الغربي.

كما أن المفكرين الحاليين المسلمين لديهم مهمة أخرى تتمثل في تطوير وسائل تنظيمية ضرورية للمسلمين للتواصل المستمر مع السلطات المحلية وبطرق قانونية وعن طريق نصوص أخلاقية رفيعة المستوى وتوفير الإمكانيات الأساسية للدعوة الإسلامية .

وقد اتبثت التجربة أن الكتب الإسلامية القادمة من العالم الإسلامي عادة ما تكون غير مناسبة لاستحسان الغرب لعدة أسباب منها الطباعة الرديئة والترجمة الركيكة. ولأن المسلمين الغربيين الذين ترعرعوا في محيط الثقافة الغربية هم أكثر معرفة ودراية بالفكر الغربي لذلك كان من الضروري على هؤلاء أن يتولوا مهمة تأليف الكتب لعرض موقف الإسلام، وبصورة خاصة حول النقاط التالية:

1 ـ حقوق المرأة.

2 ـ حقوق الإنسان بصورة عامة.

3 ـ الديمقراطية.

بالنسبة للنقطة الأولى عن دور الرجل والمرأة، فالمسلمون مطالبون بتوضيح لماذا لن يتخلوا عن أوامر الله تعالى فيما يخص سبب قوامة الرجال على النساء (سورة آل عمران الآية رقم 36)، وأما بالنسبة لحقوق الإنسان والديمقراطية فهناك تقصير واضح لا يوجد تبرير له في بيان الموقف الإسلامي المؤيد لحقوق الإنسان. وبالنسبة لموضوع الديمقراطية في الإسلام، فقد استند علماء اسلاميون كثيرون على القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة، وعلى هذا الأساس جاءت الجمهوريات الديمقراطية الإسلامية المبنية على الهيئات القضائية القانونية، والبرلمانات، ووثائق حقوق الإنسان، ومجالس الشورى. ولكن في نفس الوقت نجد اختلافاً بين فقهاء المسلمين بين مؤيد ورافض لفكرة الديمقراطية من أساسها، ومن أبرز فقهاء المسلمين الغربيين الذين يدافعون عن هذه الفكرة محمد أسد، ولكن هناك من يرفضها ويراها غير مقبولة أمثال بسام طيبي، ولهذا فالمسلمون

الأوروبيون والأمريكيون هم غالباً من يدفع ثمن هذا الاختلاف.

مستقبل الإسلام

بعدما قمنا بمسح شامل للخلفية التاريخية لحال الإسلام الحاضرة في الغرب اليوم. السؤال الآن هو في ظل هذه الظروف و الإمكانيات هل سيصبح الإسلام هو الديانة المسيطرة والمهيمنة في القرن الحادي والعشرين؟ أم هل سيتلاشى كلياً في عملية اندماج الجيل الثالث للمهاجرين في الغرب الذين هم مثل من سبقهم قد اغتروا بجنة الغرب الخيالية ؟ أم سيتم طردهم من أوروبا كما طرد أسلافهم من قبل؟

إن كل هذا ممكن حدوثه . ولكن الإمكانيات تبدو لي جيدة جدا لمستقبل الإسلام في الغرب، والفضل في ذلك يرجع إلى انسجام الإسلام مع المذاهب والأيدلوجيات المعاصرة!

إن الحداثة هي عقيدة قائمة على أساس أن الإنسان هو المقياس والمعيار لكل شيء، وأن تفكيره قادر على حل كل مشكلة. ولأن الثقافة الغربية مبنية على هذه العقيدة (كل شيء لكل إنسان) أو مايسمى (بمتلازمة فوكوياما هنتنفتن) التي كانت ولا زالت معادية للإسلام، فإن هذا النوع من التفكير يهدد بتحويل العالم الإسلامي لنوع شبيه بحديقة الحيوانات، بسبب تهميش الإنسان المسلم والظلامية والتعصب الأعمى.

إيجابيات

على النقيض من هذا فان عصر ما بعد الحداثة وهي ايدولوجية تنادي بها (حركة الخضر) تحافظ على الخصوصية التي يفضلها العالم الثالث، وذات اتجاهات أخرى تنسجم مع الإسلام. فقد أصبحت الشعوب الغربية اليوم (مثلاً) أكثر إدراكاً من قبل لأهمية تناول غذاء صحي والابتعاد عن لحم الخنزير. كما إن نتيجة التدخين وإدمان المخدرات بكل أنواعها باتت تفزع العديد من الناس، وحتى اكبر مصانع التبغ الأمريكي تعرضت لأزمات اقتصادية من جراء هذا الأمر. كل هذا من الممكن أن يساهم في تقدير واحترام موقف الإسلام من الغذاء والمخدرات.

وقد أدركت الفتيات الغربيات اليوم أخيراً أن مطالبتهن بالمساواة مع الرجال كانت غلطة فادحة وكبيرة بل إنها أمر مستحيل. أما مطالبتهن الحماية من الاعتداءات والتحرشات الجنسية التي يقوم بها الرجال بين حين وآخر، فهي الغاية السامية التي يضعها الإسلام في المقام الأول.

الكتب الإسلامية القادمة من العالم الإسلامي عادة ما تكون غير مناسبة لاستحسان الغرب لعدة أسباب منها الطباعة الرديئة والترجمة الركيكة

وأخيراً ـ ليس في الولايات المتحدة فقط ـ ولكن أيضا في أوروبا هنالك اليوم انبعاث ملحوظ للحركات المناهضة للإلحاد. وفي نفس الوقت نجد أن عقيدة تجسيد المسيح وعقيدة التثليث قد خسرتا مصداقيتهما اليوم حتى من داخل الكنائس المسيحية نفسها. كلا هذين العاملين يخلق وجهة نظر محببة ومتقدمة تجاه الإسلام.

سحب قاتمة

ولكن بالرغم من حال الإسلام الواضحة مثل الشمس في الأفق إلا انه توجد العديد من السحب القاتمة. يبدو للأسف إن كل الأقليات قد استفادت من حركة (ما بعد الحداثة) إلا المسلمون الذين يبدون في نظر البعض هم الأقلية الوحيدة الخطيرة والعدوانية والمتطرفة.

وفي الوقت الذي ازداد فيه الاهتمام بمشكلة نمو تجارة وتعاطي المخدرات، يعترف البوليس الدولي بخسارته في الحرب عليها. حركات (الخضر) المنادية بالحداثة تؤيد السماح للفرد بتناول المخدرات وهو الأمر الذي يرفضه الإسلام.

وبالرغم من أن النساء أكثر من الرجال اعتناقاً

للإسلام إلا إن المرأة الغربية بصورة عامة أكثر عداوة للإسلام من الرجل خوفاً من فقدان حقوقها وحريتها بسبب المفهوم الخاطئ أن المرأة تفقد حقوقها وحريتها في ظل الإسلام.

وفي حين إن انبعاث الأديان هو أمر جيد في ذاته إلا أنه قد نتج عنه أيضاً عداوة من قبل جماعات مسيحية متعصبة ضد الإسلام، تشترك كلها في نفس الغاية وهي التخلص من الوجود الإسلامي في أوروبا. فمثلا نجد رئيس الكنيسة البروستانتينية الألمانية في ولاية هيس الدكتور ستيناكر يؤكد في وسائل الإعلام التلفزيونية والمقروءة باستمرار على أن المسلمين والمسيحيين ليس لهم رب واحد، وإنما يعبد المسلمون مجرد وثن.

الإسلام والتراث الأوروبي

أي نزعة من هذه النزعات المتناقضة سوف تسود؟ هذا بالتأكيد يعتمد على مدى تقبل الإسلام كدين متوارث في أوروبا. وللأسف عندما يتحدثون عن تراث أوروبا الإنساني فإنهم يشملون اليهودية ولكنهم بكل تأكيد يستثنون الإسلام .

ولهذا يجب في الأساس أن يتذكر الغربي أن الأديان الثلاثة في أساسها تدعو إلى عبادة إله واحد (مبدأ التوحيد) وأنها جميعاً قد نشأت في الشرق الأدنى، وأن المسيحية قد أخذت العديد من العناصر والطقوس من الشرق، كما يجب أن يتذكر الغربي أن:

1 ـ اكبر مدينة في القارة الأوروبية وهي (اسطنبول) مسلمة .

2 ـ الأسبان كانوا مسلمين لفترة أطول من بقائهم مسيحيين كاثوليك.

3 ـ إن عصر النهضة الأوروبية لم يكن ممكناً لولا بصمة الحضارة الإسلامية .

4 ـ غياب الكنيسة في العالم الإسلامي حفظه من التصادم بين العلم والدين ولهذا فإن العالم الإسلامي لم يمر بالتجربة الأوروبية المريرة التي شهدتها العصور الوسطى.

بتعبير آخر، إن المسلمين الغربيين يجب عليهم أن يتذكروا أنه ليس عليهم فقط البقاء هناك في الغرب في أمريكا و أوروبا بل أيضاً أن الإسلام يرجع بجذوره إلى هناك كالمسيحية تماماً، كما يجب عليهم إن يوضحوا الفكرة بأن الإسلام ليس ديناً عربياً أو تركياً إنما هو دين عالمي مبدؤه الخضوع لله الواحد الأحد كما بيّنه لنا إبراهيم (عليه السلام) أبو الأديان الثلاثة.

صعوبات وتحديات

وفي هذا الوضع و للأسف فإن هذا الهدف سوف يواجه صعوبات وتحديات كبيرة بسبب تأثيرات العولمة الاقتصادية على طلبات التوظيف في أوروبا. هذه الصعوبات ناتجة عن التدفق المتزايد لرأس المال والتقنيات المختلفة والمنتجات الصناعية والعمال. كل البلدان الأوروبية تواجه حالياً أزمات مركبة تقود لهبوط في معايير الحياة الطبيعية، وتقود إلى تخلخل في نواحي الحياة الاجتماعية.

هل سيصبح الاسلام هو الديانة المسيطرة والمهيمنة في القرن الحادي والعشرين؟ أم هل سيتلاشى كلياً في عملية اندماج الجيل الثالث للمهاجرين في الغرب؟

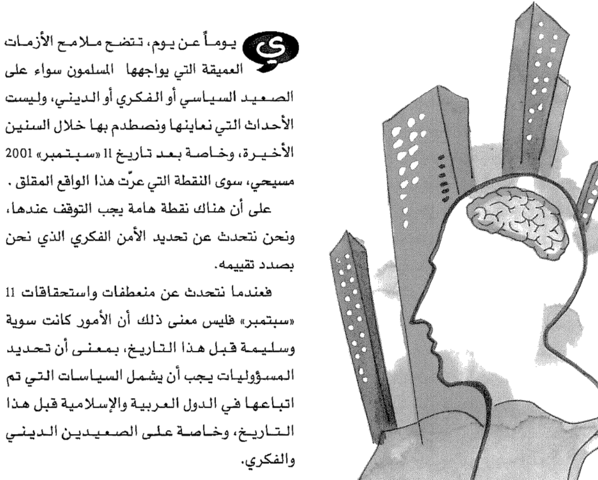
بتعبير أكثر تحديدا، إن اغلب أسباب ارتفاع مستوى البطالة في العصر الحاضر سوف تصبح أكثر تعقيداً، ويبدو كما لو أن الديمقراطيات الغربية لن تستطيع حل المشكلة بسبب المعايير السائدة في العصر الحاضر والتي لم تعد مرغوبة وذات شعبية.

كل هذا من الممكن أن يشكل كارثة محتمل حدوثها للقوى العاملة المسلمة في أوروبا التي تم اتهامها سابقاً بأنها أخذت الأعمال والوظائف المختلفة من الاوروبين. لهذا فمن السهل أن يقوم زعيم شعبي مثل لوبان Le Pen بإثارة المخاوف القومية والقلق الاقتصادي لجعل الإسلام هو كبش الفداء، ولكنني اعترف أن هذا هو أسوأ الاحتمالات، والله أعلم.



المسلمون
بين تحدي الأمن الفكري والأمن الروحي

د. محمد بشاري *



يوماً عن يوم، تتضح ملامح الأزمات العميقة التي يواجهها المسلمون سواء على الصعيد السياسي أو الفكري أو الديني، وليست الأحداث التي نعاينها ونصطدم بها خلال السنين الأخيرة، وخاصة بعد تاريخ 11 «سبتمبر» 2001 مسيحي، سوى النقطة التي عرّت هذا الواقع المقلق .

على أن هناك نقطة هامة يجب التوقف عندها، ونحن نتحدث عن تحديد الأمن الفكري الذي نحن بصدد تقييمه.

فعندما نتحدث عن منعطفات واستحقاقات 11 «سبتمبر» فليس معنى ذلك أن الأمور كانت سوية وسليمة قبل هذا التاريخ، بمعنى أن تحديد المسؤوليات يجب أن يشمل السياسات التي تم اتباعها في الدول العربية والإسلامية قبل هذا التاريخ، وخاصة على الصعيدين الديني والفكري.

أسئلة الأمن الفكري

لا بد لنا من تحديد مجموعة من الأسئلة المؤطرة لاستحقاقات الأمن الفكري المتوخّى اليوم.

* كاتب وباحث / فرنسا.

وبداية نتساءل:

❖ من هم المؤهلون لتحديد المهام الكفيلة بضمان (الأمن الفكري) للأمة الإسلامية؟
❖ ما علاقة ظواهر العنف والإرهاب والتشدد والتطرف بسياسة الأمن الفكري والأمن الروحي على الخصوص؟
❖ كيف نوفق بين تباين وجهات النظر القائمة بخصوص تحقيق الأمنين الفكري والروحي المرجوّين؟

الأمن الفكري وسؤال التأهيل

رداً على السؤال الخاص بتحديد أهلية المؤسسات، أو الأفراد المعنيين والمسؤولين عن ضمان «الأمن الفكري» للأمة الإسلامية، نرى أن الجواب لن يخرج عن أهل الاختصاص، ونجد في مقدمتهم المفكرين المسؤولين الذين يجتهدون انطلاقاً من ثوابت الأمة، وأيضاً العلماء المسؤولين، الذين إلى جانب اشتغالهم بالقضايا الأصولية والفقهية، يشتغلون أيضاً بالقضايا الفكرية، وعلى الرغم من قلة عدد هذا الصنف من العلماء اليوم في الوطن العربي والعالم الإسلامي، فإن المرجعية الفقهية التي تميزهم، تجعلنا في حاجة إلى اجتهاداتهم الفكرية للمساهمة في تحديد الخطوط العريضة لمهام الأمن الفكري الذي نتحدث عنه.

ولكن على صعيد آخر، فإن حديثنا عن مسؤولية المفكر يتطلب كذلك التوقف عند طبيعة هذا المفكر، وطبيعة هذه المسؤوليات، أو كما تحدثت عن ذلك إحدى الباحثات، يجب أن نتساءل: «من هو المفكر؟» «وهل للمفكر عنوان؟»، و«ما هي مجالات عمل المفكر؟»، و«هل المفكر العربي يفكر، وإذا كان لا يفكر فما هي الموانع التي تقف وراء هذا المأزق؟»[1].

ورداً على هذه الأسئلة، ترى الباحثة نفسها أن المفكر هو الشخص الذي وصل إلى الفكر التركيبي وليس التجزيئي، ولا يصل إلى هذه الدرجة إلا عبر المرور بمراحل عدة، منها التخصص في مجال معين ثم الانفتاح على علوم أخرى، بما يؤهله فكرياً وعقلياً ومنهجياً لأن يتعامل مع الظواهر، وذلك انطلاقاً من القاعدة الشهيرة «الإفراد قاتل في الفكر».

ويبدو أن السبب وراء التشديد على شروط تحقيق التفكير التركيبي، مردّه أولاً، إلى تشابك القضايا والملفات والظواهر، والمطلوب في الفكر، الاشتغال بشكل جماعي حتى نصل إلى مرتبة التفكير الجماعي. ويرتبط ثانياً، بنوع من الانفلات والتسيب الحاصل في إبداء الرأي، حيث يصبح البعض مفتياً، أو يصدر أحكاما عادة ما تشوش على الرأي العام.

> **دور المفكر المسلم على مستوى مواجهة الاختراق الأجنبي أصبح منحصراً في إعادة إنتاج ما ينتج في الدول الأخرى**

وتكمن أهمية وثقل هذا الفكر، في ظل الظروف الراهنة التي نعيشها اليوم، وخاصة بفعل تضافر عوامل خارجية، تؤثر بشكل مباشر في صنع القرار السياسي، ومعه القرار الفكري والديني على الواقع العربي والإسلامي، يجب التوقف عند دور المفكر على مستوى التفاعل بين الدول، وخاصة عند دور المفكر المسلم على مستوى مواجهة الاختراق الأجنبي، حيث أصبح منحصراً في إعادة إنتاج ما ينتج في الدول الأخرى.

وما دامت الدول العربية والمسلمة تستورد الخطاب، أو ترغم على ذلك، ولأن المفكر لا ينتج نظريات محلية تجيب عن نظريات خاصة، أصبح المفكر يعيد إنتاج النظريات الأجنبية، إما إرضاء للسلطة، ومن ثمّ عدم غضبها أو إسهاما في الحفاظ على علاقة الود بين الدول الغربية والدول النامية التابعة. ومن النتائج الخطيرة لهذه العلاقة المختلّة، نصل إلى نتيجة مصيرية، وهي، أن المفكر في الغرب

يفكر لنفسه ولمصالحه ويفكر لنا أيضاً، ويفرض علينا ما فكّر فيه وما أنتجه من أفكار، ونحن كمنتجين فكريين، نجبر على إعادة إنتاج الأفكار والنظريات نفسها التي صرفت في الغرب. والحال أن هذه الأفكار، أنتجت في بيئة خاصة، وتجيب عن حاجات خاصة، وتوفر لها بنى تحتية، ووسائل التطبيق، وحينما تستورد بشكل محدود، تبقى أفكاراً مبتورة.

الأمن الروحي وأسباب العنف

تكمن أهمية التوقف عند تحدي الأمن الفكري والأمن الروحي، في أهم الأزمات وأكبر التحديات الميدانية التي تعيشها الأمة الإسلامية في العصر الراهن، مع أعمال العنف والتطرف والتشدد والإرهاب، الذي يمتد إلى العديد من الدول العربية والإسلامية، ويصل إلى خارج العالم الإسلامي.

وإذا كانت التفجيرات الدموية التي تمت في دول عربية، تعرف بعوامل خارجية وتعقّد مواجهة الأسباب الحقيقية التي تقف وراء هذه التفجيرات، فإنه في المقابل، هناك العديد من التفجيرات التي وقعت في دول عربية وإسلامية، بل وقعت حتى في الأرض التي تضم قبلة المسلمين المقدسة، مكة المكرمة والمدينة المنورة، إضافة إلى التفجيرات التي وقعت في إندونيسيا، والمغرب، وتونس، وتركيا، وغيرها من الدول العربية والمسلمة، وهذا يتطلب منا التوقف مع أسباب هذه التفجيرات وسبل مواجهتها.

نحن لا ندعي أننا نملك مفاتيح سحرية، تجعلنا نعلن عن نهاية هذه التفجيرات، ولا أننا أدرى من المسؤولين أو الباحثين، بتحديد هذه الأسباب والسياسات، التي تجعلنا نتصدى بشكل نهائي وقطعي لهذه الظواهر، ولكننا نزعم أننا نمثل قوة اقتراحية، تملك وجهات نظر، نعتقد أنها قد تساهم في توضيح مجموعة من النقاط الخاصة ببعض أسباب هذه الظواهر.

وبالعودة إلى السؤال الخاص بعلاقة ظواهر، العنف والإرهاب والتشدد والتطرف، بسياسة الأمن الفكري وسياسة الأمن الروحي، يجب التذكير أولاً، بقصور التفاسير التي تعزو ظهور العنف والتشدد، إلى أسباب اقتصادية أو مادية، وهذا هو الخيط الناظم للتفاسير المادية، وخاصة الماركسية، وتكمن أزمة هذه التفاسير، في أنها تغفل عن أبعاد فكرية وفقهية ومذهبية، لنقل إنها تسقط من حساباتها أسباباً غير مادية، تتعلق بالدين والغيب، مما يجعلها تفاسير قاصرة، عن التوصل إلى مكمن الداء، وأولوية الدواء.

أكبر أزمة يعاني منها التفسير المادي، فهذا النمط من التفسير البسيط، يرى أن الأمور تحسم مادياً فقط.

وسوف نتوقف مع مثال بسيط، يعكس قصور التفاسير المادية في تحليل، ظاهرة العنف والتشدد والتطرف، ويتعلق بخبر تسلم «كوفي عنان» الأمين العام للأمم المتحدة، ما سمي بالبيان الدولي ضد الإرهاب،

وكما تعلمون، فإن، هذا البيان يدعو مجلس الأمن والأمم المتحدة، إلى إقامة محكمة دولية، لمن أطلق عليهم «فقهاء سفك الدماء»» من علماء وفقهاء يصدرون «فتاوى الإرهاب والقتل بحق المدنيين من النساء والأطفال الأبرياء».

إن هذا المثال المبسط يحمل الكثير من الدلالات، ويمثل تواضعاً كبيراً في تفسير هذه الظاهر الاجتماعية المعقدة والمركبة، التي ـ مع حالة أسباب العنف والتطرف ـ لم يجد الموقعون على البيان الحل الجذري لهذه الأسباب، سوى محاكمة الشيخ يوسف القرضاوي، ومجموعة من الفقهاء والعلماء، الذين قد نتفق أو نختلف مع اجتهاداتهم، ولكن ليس إلى درجة تقديم أسمائهم، على رأس لائحة ومطالبة مجلس الأمن بمحاكمتهم .



مجلس الأمن الدولي

إنها أكبر أزمة يعاني منها التفسير المادي، فهذا النمط من التفسير البسيط، يرى بأن الأمور تحسم مادياً فقط، عبر محاكمة هؤلاء الشيوخ والعلماء، حتى تنتهي ظاهرة العنف والتشدد.

نختتم هذه المقالة، بالتوقف عند إشكالية التوفيق بين تباين وجهات النظر، القائمة بخصوص تحقيق الأمنين: الفكري والروحي المرجوّين، وتحيلنا هذه الإشكالية، إلى إشكالية أكبر وأعمق، وتتعلق بموضوع المرجعية.

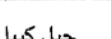
إذا تأملنا طبيعة الخطاب السائد حول أهم قضايا الساعة، من صنف الإصلاح والديمقراطية وحقوق الإنسان والتجديد الديني.. الخ، نجد شيئاً واحداً يفصل بين طبيعة ما يمكن أن يصدر عن محرري هذا الخطاب، سواء كانوا مؤمنين «مسلمين أو مسيحيين أو يهوداً»، أو مؤمنين ولكنْ علْمانيين، أو حداثيين أو ملحدين ..الخ، ما يجمع ويفرق بين ثنايا هذه الخطابات هو المرجعية: إنها أهم القضايا الغائبة في ثنايا هذا الخطاب. لهذا السبب، يحتم علينا سؤال المرجعية، أن نحدد أي مرجعية ننطلق منها، مرجعية الله ـ عزّ وجل ـ أم مرجعية أخرى، لن تخرج غالباً عن مرجعية الإنسان: إن قصة العجز عن رعاية الإنسان حقوق العدالة الإنسانية الشاملة، عندما يستأثر هو بحق التشريع ورعاية حقوق الإنسان، ليست جديدة، بل هي قديمة قدم الإنسان، الذي ركّبت فيه نوازع الأنانية وحبّ الذات .

نحن نرى أنه لا بد من التفاهم على أرضية متفق عليها سلفاً، حتى نساهم عملياً في تقريب وجهات النظر، وقطع الطريق على ذرائع التدخل الأجنبي، الذي لم يعد له سوى أن يتدخل في الآيات القرآنية، المفروض أن تدرس في المناهج الدراسية[2].

مرة أخرى، سوف نتوقف عند مثال عملي، يبرز أهمية المرجعية في تحديد أهم معالم الأمنين: الفكري والروحي، اللذين نتحدث عنهما.

ففي قراءة، للكاتب السوري هاشم صالح، في كتاب حول الحركة الإسلامية، حرره الباحث الفرنسي جيل كيبل، وهو باحث ومحلل، غالباً ما يركز على التحليل المادي الماركسي، يتفق هاشم صالح مع المحلل الفرنسي، على طبيعة المعركة الدائرة في

أوروبا حالياً، «بين إسلام التنوير والحداثة من جهة، وإسلام الأصوليين من جهة أخرى، التي ستكون لها انعكاسات كبرى، على البلدان العربية والإسلامية ذاتها، وليس فقط على المسلمين في أوروبا»، كما طالب الكاتبُ العربي جيل كيبل بعدم إهمال «دور التيارات التحديثية والتنويرية، داخل العالم العربي والإسلامي نفسه، فهي أيضا موجودة، وإن يكن صوتها أقل جعجعة وصراخاً من صوت الأصوليين، وليس مستبعداً أن يأتي الإنقاذ ـ أو الخلاص ـ من الخارج: أي من باريس، وبرلين، ولندن، ومدريد، وبروكسل، وأمستردام، وجنيف، وحتى نيويورك.. إلخ، فـ (الدياسبورا*) العربية أصبحت منتشرة في شتى أنحاء العالم، تقع على كاهلها مهمة تنوير مليار ونصف المليار شخص»[3].



جيل كيبل

نحن نلاحظ تركيزاً بيناً، على تمرير خطاب إسلامي «جديد»، نرى بأنه ينسف المرجعية المميزة لهُوية الأمة المسلمة، ويدعو هذا الخطاب، تارة إلى «تطبيق النقد التاريخي، على النصوص الإسلامية، من قبل بعض الباحثين العرب الجريئين، المتمركزين في أوروبا» مستنتجاً أن «التنوير سوف يشعّ على العالم الإسلامي في أوروبا، ويدعو تارة أخرى إلى اعتبار أن القرآن الكريم، لم يعد منتجاً للحقيقة اليوم» كما تحدث عن ذلك الباحث التونسي المنصف بن عبد الجليل، المقيم في بريطانيا، في ندوة أقيمت بالدار البيضاء حول موضوع «القراءات الحديثة للقرآن».

خاتمة :

نحن أمام ثلاثة أسئلة، نعتبرها تأسيسية فيما يتعلق بتحديد معالم الأمن الفكري والروحي، الذي نصبو إليه، وتتعلق أولاً: بتحديد أهلية المعنيين بضمان الأمن الفكري للأمة الإسلامية، وتتعلق ثانياً: بعلاقة ظواهر العنف والتطرف بسياسة الأمن الفكري والأمن الروحي على الخصوص، وتتعلق أخيراً: بإشكاله في التوفيق بين تباين وجهات النظر، القائمة بخصوص تحقيق الأمنين الفكري والروحي المرجوين، أي بإشكالية المرجعية، التي تعتبر بحق، أكبر سؤال مؤسس وجوهري، يجب أن نفصل فيه ونحسم معه، حتى نأمل الاتفاق على سياسات الأمن الفكري والروحي للأمة الإسلامية، وهذا هو التحدي الأهم.

مراجع

1 ـ مداخلة للباحثة المغربية: رجاء ناجي مكاوي، ضمن أشغال الندوة التي نظمها « منتدى الحكمة للباحثين والمفكرين» بالتعاون مع جامعة محمد الأول بوجدة ، وذلك يومي الأربعاء والخميس 16 و2005،03،17 مسيحي، تحت شعار «إشكالية العلاقة بين الفكري والسياسي: مقاربات متعددة». مجلة منتدى الحوار المغربية. العدد 18، في شهر إبريل 2005 مسيحي.

2 ـ التناول المفاهيمي لواقع المرأة: بين المنظور الإسلامي والمنظور المادي. محمد بشاري. ورقة قدمت إلى أشغال ندوة واقع المرأة .

3 ـ قراءة في كتاب «الفتنة» للباحث الفرنسي جيل كيبل، أنجزها هاشم صالح، جريدة الشرق الأوسط. 2004،09،26 مسيحي.

* الدياسبورا العربية: المهاجرون أو المغتربون أو الشتات العربي في العالم . والتعبير توراتي يهودي . (التحرير)



الإنجيليون الأمريكيون يحتضنون إسرائيل وعين على هرمجدون *

آندرو هيغينز**

ترجمة: محمد محمد العالم ***

عندما أرسلت إسرائيل طائراتها الحربية إلى العراق عام 1981 لقصف المفاعل النووي؛ بعث جون هاغي ـ وهو أحد العاملين في شبكة تكساس «التلفزيونية» التبشيرية ـ رسائل إلى 150 من زملائه المنصّرين المسيحيين وذلك لحشد الدعم للدولة العبرية.

ولم يتلق هاغي إلا رداً إيجابياً واحداً. وعندما مضى قدماً بخطته لجمع مؤيدي إسرائيل، في احد مسارح سان انطونيو، تلقى تهديداً بالقتل عبر مكالمة هاتفية، فيما قام أحدهم بإطلاق أعيرة نارية على سيارته المركونة في إحدى المحطات.

وفي الوقت الذي كانت فيه القوات المسلحة الإسرائيلية تدك لبنان، وسط تصاعد المخاوف من اتساع دائرة الحريق؛ ترأس جون هاغي ما أسماه بـ(معجزة الرب) والذي تمثل في تجمع لـ(3500) من المنصرين المسيحيين الذين غص بهم أحد فنادق واشنطن، وذلك لحشد الدعم لإسرائيل وحملتها العسكرية على لبنان.



جون هاغي

كان هاغي واقفاً على خشبة المسرح، التي زينت بعلم ضخم لإسرائيل فيما قوبل بعاصفة من التصفيق وأصوات عالية تدعو (آمين)، وقد امتدح إسرائيل لتنفيذها مشيئة الرب في (حرب الخير ضد الشر) وقال:

إن الدعوات لإسرائيل لإظهار ضبط النفس، تخرق ما دعاه «بيان السياسة الخارجية للرب» نحو اليهود، مستشهداً بنص من العهد القديم يعد «بمباركة أولئك الذين يباركونك «ويلعن» أولئك الذين يلعنونك».

وقد عقد الملتقى برعاية اتحاد المسيحيين من أجل إسرائيل، وهي منظمة وطنية أسسها هذا المبشر العجوز، الذي يبلغ 66 عاماً في ولاية تكساس في العام 2006.

---

* نص مقال نشرته صحيفة (وول ستريت جورنال) في عددها الصادر يوم الخميس 2006/7/27 مسيحي.

** كاتب / أمريكا.

*** صحفي ومترجم / ليبيا.

ـ ساهمت في كتابة المقال من القدس «كاربي ليفيت».

وقامت المجموعة بكسب تأييد السياسيين في واشنطن، وحشدت الدعم الأساسي لإسرائيل، وتريد أن تربي المسيحيين على ما أسمته «الواجب التوراتي لدعم الدولة العبرية».

ويعتبر جون هاغي شخصية بارزة فيما يسمى الحركة الصّهيونية المسيحية. إن هذه الفلسفة السياسية المسيحية متجذرة في النبوءات التوراتية فيما يعتقد أن الكفاح الذي تخوضه إسرائيل هو علامة على قرب وقوع الهرمجدون❖.

يؤيد موالو تلك المجموعة بقوة، البيت الأبيض في دعمه المطلق لإسرائيل في حربها على لبنان.

جورج بوش

لقد بعث الرئيس جورج ـ دبليو ـ بوش رسالة إلى الملتقى، مثنياً على جون هاغي ومؤيديه من اجل «نشر أمل حب الرب والعطية الإلهية للحرية». وأرسل رئيس وزراء إسرائيل بدوره كلمات شكر. وحضر الملتقى السفير الإسرائيلي ووزير الأركان السابق وثلة من الساسة الأمريكيين البارزين.

فيما يقترب السيد بوش بوضوح من الإنجيليين، لم يقم مطلقاً بالتبني الكامل لجدول أعمالهم وأدبياتهم، وإن كانت رؤاهم على وجه العموم متوافقة مع أهداف صانعي استراتيجية الأمن القومي، والذين خلصوا إلى نفس النتيجة عن طريق منطلقات مختلفة. لقد كانوا يروجون طويلاً إلى ما أسموه «الاستقرار الزائف».. كما يراه مستشارو السياسة الخارجية الذين ينتمون الى مدرسة «المحافظين الجدد» ذات النفوذ، أيضاً الذين يدعمون هذا النهج محاجين أنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تعطي دفعة قوية للديمقراطية في الشرق الأوسط.

ويقوم هاغي ومن على شاكلته من الإنجيليين بإضفاء توجه ديني أكبر على النزعات والسياسات الأمريكية فيما يخص المنطقة.

فهم يرون في أحيان كثيرة، ويتبنون فكرة صراع كوني بين الإسلام والغرب المسيحي اليهودي، مثلما يفعل الكثير من المسلمين المتزمتين.



غلاف كتاب
القدس:العد التنازلي

«هذه حرب دينية ولا يمكن ولا ينبغي للإسلام أن يظفر بها »
هذه عبارة وردت في كتاب صدر مؤخراً لجون هاغي بعنوان (القدس العد التنازلي Countdown Jerusalem).

يقول الكتاب «إن نهاية العالم كما نعرفها نحن تقترب حثيثاً...... افرحوا وكونوا في سعادة غامرة ـ فإن الخير ما هو آت».

لقد بيعت حوالي 700،000 نسخة من الكتاب منذ أن تم إصداره في مستهل شهر أي النار «يناير»، استناداً إلى دار النشر فرونتلاين Frontline للإصدارات الدينية، ومقرها في ولاية فلوريدا.

لقد تعايشت الصهيونية والمسيحية منذ وقت، ولكنها الآن تشهد بروزاً قوياً وتحصلت على دفعة قوية من تسويق هاغي وبقية المروجين. ولقد وضع جون هاغي موارد كبيرمنغ اجل ضمان التأييد لإسرائيل. وهو يرأس كنيسة ضخمة في سان انطونيو وتدّعي أن عدد أعضائها يربو على 19،000 عضو وتقوم بإدارة محطة «تلفزيونية» ولها علاقات وثيقة مع صانعي

❖ هرمجدون: مكان يقع في فلسطين جنوب شرقي مدينة حيفا بحوالي عشرين كيلومتراً والكلمة مكونة من مقطعين، هما: (هر) أو (هار) وتعني في العبرية: (تلاً أو جبلاً)، ومجدّون، مدينة شيدت بسفح هذا الجبل، عرفت بمدينة تل المستلّم. (التحرير)

القرار في الحزب الديمقراطي. واستناداً إلى منظم الحدث فان مأدبة طعام عقدت في واشنطن قد كلفت 500،000 دولار ولقد قامت الشبكة الإذاعية المسيحية الكبيرة ديستار Daystar بنقل الحدث على الهواء.

وفي اليوم التالي قام بحشد مجموعة من الإنجيليين يمثلون خمسين ولاية في حملة ضغط أمام مبنى الكونغرس، لقد كانوا مزودين بحجج كتبها جون هاغي وفريقه، وأمطروا مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ والكونغرس بمناقشات عن إسرائيل وأعدائها.

يقدر عدد الإنجيليين المسيحيين الذين وجدوا طريقهم السياسي لأول مرة إبَّان ولاية الرئيس رونالد ريغان، في عقد الثمانينيات بنحو 50 مليوناً ويشكلون الآن أساساً وطيداً من المؤيدين للرئيس بوش..

يعرف عنهم مناهضتهم للإجهاض وزواج المثليين، وغير ذلك من قضايا خلافية داخلية أخرى، وهم أيضاً يولون حرصاً شديداً فيما يتعلق بالسياسة الخارجية خاصة بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001.

«اتركوا إسرائيل لوحدها دعوها تنفذ المهمة» هذه كلمات قالها جون هاغي لمؤيديه في التجمع، وهو الحدث الذي حضره عدد من السياسيين المرموقين كان أغلبهم من الحزب الجمهوري ـ وقال ايليوت انجيل Eliot Engel، وهو عضو في الكونغرس عن الحزب الديمقراطي في نيويورك: إن أعداء إسرائيل يفعلون عمل الشيطان.

يقول المسؤولون الأمريكيون السابقون والحاليون: إن هذا المزيج بين السياسة الواقعية والدين، قد افرز قوة واسعة



دينيس روس

السلطة. ويقول دينيس روس Dennis Ross ـ مبعوث الإدارة الأمريكية إلى الشرق الأوسط السابق إبَّان فترتي حكم الرئيسين بوش الأب وكلينتون ـ: إن مؤيدي إسرائيل من الإنجيليين، كانوا موجودين من قبل، لكنهم في الواقع لم يظهروا علناً، وهم الآن جزء مهم من المشهد، وكانت إدارة الرئيس جورج ـ دبليو ـ بوش، قد أجرت اتصالات رسمية ومنتظمة مع زعماء الأمريكيين الانجيليين، أكثر من أية إدارة سابقة دخلت البيت الأبيض.

لكن البيت الأبيض يسارع إلى القول: إنه لا يخضع لنفوذ أي من المجموعات. تقول دانا بيرينو Dana Perino نائبة السكرتير الصحفي للرئيس إن الرئيس يتخذ قرارات ويقرر سياسات لصالح بلادنا، تقوم على ما هو أصلح لمواطنينا وإن الولايات المتحدة كانت حليفاً لإسرائيل منذ إنشائها، وقد عمل الرئيس بوش لتقوية عرى ذلك التحالف.

إدارة الرئيس جورج ـ دبليو ـ بوش، قد أجرت اتصالات رسمية ومنتظمة مع زعماء الأمريكيين الانجيليين، أكثر من أية إدارة سابقة دخلت البيت الأبيض.

عندما كانت كنيسة سان انطونيو عبر السنين الأداة الرئيسة لنشاطات جون هاغي المؤيدة لإسرائيل، كانت تسمى كنيسة كاستل هيلز Hills Castle، وكانت ابرشيه مهملة، تؤمها أعداد ضئيلة من المصلين ومثقلة بديون كبيرة. ولقد انضم إليها جون هاغي عام 1975. بعد أن تخلى عن كنيسته الأولى في نفس العام الذي جرى فيه طلاق غير مرتب من قبل عن زوجته، لكن هاغي سرعان ما تزوج من شابة تتردد على الكنيسة الجديدة، ولقد ازداد عدد هذه الطائفة بفضل قدرة جون هاغي على المزج بين الخطب النارية والدعابة.

زار جون هاغي. وهو ابن لأب مبشر متزمت إسرائيل لأول مرة عام 1978. وقال إنه ذهب إلى هناك: «كسائح وعاد كصهيوني». وأثناء وجوده في إسرائيل.. زار جدار القدس الغربي وقال إنه شعر ب«قرب من الرب مثلما لم يشعر به في مكان آخر على سطح الأرض». وفي تلك اللحظة تذكر «أن الرب يطلب منه أن يفعل ما بوسعه من أجل توحيد المسيحيين واليهود».

وبعد العودة إلى تكساس. قال جون هاغي، انه انكب على دراسة معمقة استمرت زهاء ثلاث سنوات لاكتشاف الجذور اليهودية للمسيحية. وتزامن ذلك مع سلسلة من الاتصالات من الإنجيليين الأمريكيين والحكومة الإسرائيلية المنتخبة حديثا آنذاك برئاسة مناحم بيجين. وهو عالم توراتي ومدافع متشدد عن حق إسرائيل في الأراضي التي احتلت عام 1967. لقد عمل «بيجين» بجد لكسب ود الإنجيليين الأمريكيين والذين شاطرهم الاعتقاد أن ولادة إسرائيل عام 1948 وما تبع ذلك من نضال، كان إنجازا للنبوءات التوراتية.

وقال إنه التقى بيجين ثلاث مرات.

وكان هو الذي أصدر أوامره لسلاح الجو الإسرائيلي لقصف المفاعل النووي العراقي تروع جون هاغي من الانتقادات الواسعة النطاق التي تلت الحدث. وعندما طالع صحيفة تصدر في سان انطونيو والتي وصفت الهجوم على أنه عمل من أعمال «دبلوماسية البوارج الحربية» قرر أن ينظم حشداً مؤيداً لإسرائيل.

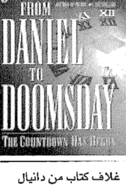
أظهر المسيحيون المحليون في البداية حماسة ضئيلة للفكرة فيما انتاب الجالية اليهودية في سان

انطونيو شيء من الارتياب. «كان يوجد قدر كبير من الشكوك» يقول ارياه شاينبيرغ Aryeh Scheinberg وهو حاخام أرثوذكسي شارك في الاجتماعات مع الزعماء اليهود وذلك لدراسة الرد على مقترح جون هاغي. «إن كل شخص يريد أن يعرف ماذا كانت نية جون هاغي ولقد قلت لنعطي الرجل فرصة ونجازف» أضاف الحاخام شاينبيرغ.

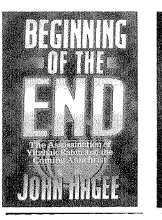
عقد الملتقى المؤيد لإسرائيل بحضور يهودي ومسيحي. وعندما اعتلى جون شاينبيرغ المنصة لأداء الصلوات. أخبر رجال الأمن جون هاغي بإنذار عن وجود قنبلة.. فقال: «إن الرب قد طلب أن يجعل الحاخام يصلي ليس مثلما فعل موسى ولكن مثلما يفعل مسيحي تأخر عن مأدبة الغداء». لقد كان التهديد مزيفاً. ومنذ ذلك الوقت أصبح الحدث ينظم سنوياً بالرغم من أن بعض زعماء اليهود يأبون الحضور ويرفضون أي تحالف مع جون هاغي «إن كثيرا من رؤاه ممقوتة» يقول باري بلوك Barry Block وهو حاخام إصلاحي بارز في سان انطونيو اتهم



باري بلوك



غلاف كتاب من دانيال
إلى يوم الحساب



غلاف كتاب بداية النهاية

هاغي بتحويل المسلمين إلى شياطين، وباقتراحه جدول أعمال يميني مثير للشقاق والذي يصدع الحاجز بين الكنيسة والدولة. ينتاب بعض اليهود قلق شديد جراء إشارات هاغي المتكررة إلى هار مجدّون. ويتجنب جون هاغي عموماً ذكر هذه النبوءة عند الحديث مع اليهود. لكن أحد كتابيه، اللذين يحملان العنوانين «بداية النهاية» Beginning of the End و«من دانيال إلى يوم الحساب From Daniel to Doomsday» مليئان بالموت والأذى. «إن مساحة المعركة سوف تغطي دولة إسرائيل» يكتب جون هاغي كتابه «القدس: العد التنازلي». ويصور في آخر أعماله «بحراً من الدماء البشرية تراق من أوردة أولئك الذين اتبعوا الشيطان».

كما توجه خارج تكساس عندما اعتنق الصهيونية بعد ذلك إلى التلفاز للدعاية لعيسى، وإسرائيل، ولنفسه أيضاً، وكان منبره الرئيسي لتحقيق ذلك هو «الشبكة العالمية التبشيرية المحدودة» Global Evangelism Television Inc. وهي هيئة لا تسعى لتحقيق الربح رأت النور لأول مرة عام 1978. وبدأت الشبكة عملها بإعادة بث برامج لمحطات أخرى إلى المشتركين. وفي الثمانينيات بدأت في بث برامجها الخاصة بها مبرزة جون هاغي وهو يلقى خطبا في الشبكات المسيحية الوطنية. أما الآن فتظهر مواعظه وأحاديثه في 120 محطة ويقول انه وصل إلى أكثر من 90 مليون منزل.

وبحلول منتصف الثمانينيات لم تعد كنيسة سان انطوني تتسع للعدد الكبير من المؤيدين. وفي عام 1987 انتقلت الكنيسة الرئيسة إلى الضواحي على مساحة تغطي 14 هكتاراً. بعدما زودت بقاعة تتسع لـ 5000 شخص وكذلك قاعتي تسجيل مسموع ومرئي.

وهكذا كثر ظهور هاغي وكثر معه الجدل المثار.

تزعم حملة ضد احد مسارح سان انطونيو لعرضها شريط «الإغواء الأخير للمسيح» وهو شريط خيالة أنتج عام 1988 ظهر فيه المسيح في مشهد فاضح مع مريم المجدلية.




جيمي سواغارت

وغضب من دعوة المساعد السابق في البيت الأبيض أوليفر نورث، وهو الآثم المصفوح عنه وكذلك المثير للخزي والذي يعمل بمحطة تلفزية تبشيرية جيمي سواغارت Swaggart Jimmy. ودخل جون هاغي أيضاً في لغط مع هيئة خدمات البريد الأمريكية لعدم موافقتها على توفير رسوم بريدية مخفضة للنشرة التي يصدرها.

وأزعج هاغي الزعماء السود أيضاً، فمن أجل مساعدة الطلبة السود في إيجاد فرص عمل غير نظامية، حملت النشرة التي تصدرها الكنيسة «كلاستار The Cluster إعلاناً عن «بيع الرقيق» حيث تم التعليق عليه بـ «الرق في أمريكا يعود إلى الكنيسة الرئيسة فأعدوا خططاً للمجئ والعودة بأحد العبيد» اعتذر جون هاغي لكنه احتج في مقابلة إذاعية على الضغوط التي مورست من أجل أن يكون «مصيباً سياسياً».

لم توقف المشاحنات النمو المضطرد لطائفته والتي كانت متعددة الأعراق. إن لياليه التي أحياها لدعم إسرائيل «قد اتسعت أيضا وكذلك أصبح ذا نفوذ يقود حملات التبرع لصالح إسرائيل. يقول إنه جمع 12 مليون دولار لصالح المستشفيات ومنازل الأطفال وبرامج إعادة توطين اليهود الروس.

ومع زيادة بروزه. شد المبشر انتباه جيري فال ويل Jerry Falwell رائد حقوق المسيحيين ومتحمس آخر لتأييد إسرائيل. ورغم كل ذلك فإن علاقة الرجلين قد شهدت بداية ضعيفة.

وفي عام 1994 وصفت صحيفة ناشيونال ليبرتي جورنال National Liberty Journal وهي شهرية محافظة يديرها جيري فالويل جون هاغي بأنه «مهرطق» لتأييده ما يسمى نظرية العهد المزدوج - وهو معتقد يقول إن لليهود والمسيحيين تعاملات منفصلة مع الرب مما يسمح للطرفين بدخول الجنة. ترى النظرة المسيحية التقليدية بأنه ينبغي على اليهود وغير المسيحيين أن يهتدوا وإلا فإنهم على الطريق غير السوي في معركة هرمجدون.


جيري فالويل

وبمجرد ظهور المقال.

قام جيري فالويل بالتحضير للقاء جون هاغي في مانفيس. وقال هذا الأخير إن الأول قد أقنعه انه لا يؤمن بـ «العهد المزدوج». ويقف جيري فالويل إلى جانب مجلس توحد المسيحيين مع إسرائيل. ووضع انتصار جون بوش في انتخابات عام 2000 وسيطرة الحزب الجمهوري على مجلس الكونغرس الإنجيليين المسيحيين في مكان اقرب إلى السلطة أكثر من أي وقت مضى. واجتمع جون هاغي مع جورج بوش عدة مرات عندما كان حاكماً لولاية تكساس، ودعم جون هاغي مساعي بوش نحو البيت الأبيض، فكان الأقرب إلى بوش برغم وجود جمهوري آخر ذي نفوذ من تكساس. وهو» توم ديليTom Delay». بعد أن أصبح زعيماً للأغلبية في مجلس النواب، وألقى خطابه المشهور في التجمع المؤيد لإسرائيل والذي نظمه جون هاغي عام 2002 في سان انطونيو.

وفي عام 2003 نشرت صحيفة سان انطونيو اكسبرس نيوز San Antonio Express News رواية مفصلة للموارد المالية لجون هاغي حيث زعم المقال

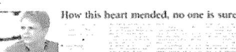

Spring break in the dark


San Antonio Express-News

Katrina pays off on the top rung

Cinderella's day at NCAA


Iraq boils, 3 years later


How this heart mended, no one is sure

صحيفة سان انطونيو اكسبرس نيوز

أنه لا توجد أخطاء، ولكن هاغي تلقى أكثر من 1,25 مليون دولار عام 2001 نظير عمله في الشبكة التلفزية العالمية التنصيرية، ومن محطته التلفزية الخاصة به ومن كنيسة كورنرستون، وتفيد الوثائق المعبأة من طرف هيئة خدمات الدخل المحلي أيضاً عن وجود وديعة لهاغي والتي تشمل مزرعة لتربية الحيوانات تبلغ مساحتها 3000 هكتار.

وهو يبرر ذلك بالزعم أن معظم مدخراته تجنى من الربح المتأتي من بيع كتبه الإحدى والعشرين وليس من تبرعات المترددين على الكنيسة. ويضيف، أنه سوف يكسب أكثر هذه السنة إذا استمر بيع الكتب بنفس الوتيرة.

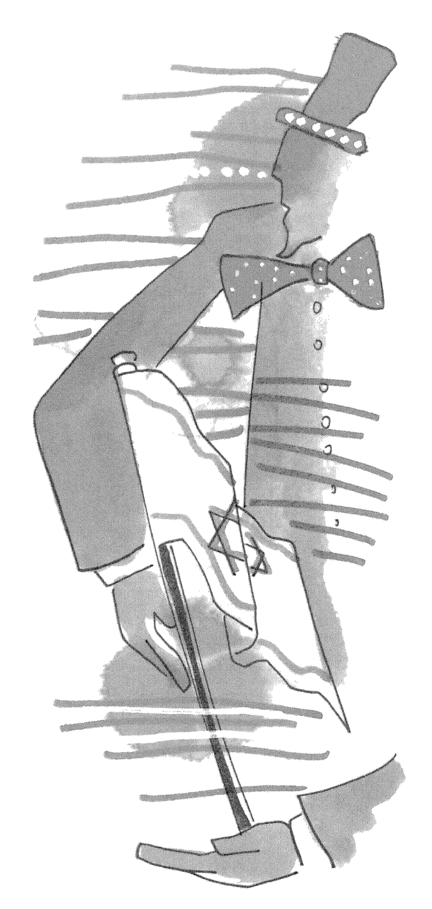
وقام بإعادة تنظيم مصادره المالية وممتلكاته وجميعها تحت الأضواء بطريقة تسمح له بتجنب الإعلان عنها على الملأ. وفي شهر سبتمبر 2004 أعيد تسجيل الشبكة العالمية التنصيرية على أنها كنيسة تحت اسم (غريس تشيرش أوف سان انطونيو (Grace Church of San Antonio).

وبخلاف شركات التلفزة وباقي المؤسسات غير الساعية للربح، فإن الكنائس معفية من الإفصاح عن الكشف بالتفصيل عن مواردها المالية أمام هيئة خدمات الدخل المحلي، ثم قام بإعادة تنظيم أخرى حيث نقل من خلالها جميع الأصول إلى كنيسة كورنر ستون Cornerstone Church. ولا تتوفر أية سجلات مالية للكنيسة للعموم. ويقول هاغي إن محامييه قد أوصوا بهذه التغيرات من أجل «أعمال خيرية أعظم».

تخلى الرئيس بوش عن مساعي الرئيس كلينتون بإعطاء دفعة قوية لإيجاد تسوية للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، لكنه حث بريطانيا ودولاً أخرى على دعم خطة سلام بطيئة الوتيرة، عرفت بخارطة الطريق، ومع تعثر مبادرات السلام الأمريكية في المنطقة، ألّف جون هاغي كتاب «القدس العد التنازلي» محذراً فيه من الخطر المحدق. ويقول: «إن خارطة الطريق تخرق بوضوح كلمة الرب، ولا يمكن أن توقف الحرب العنيفة القادمة في الشرق الأوسط والتي ستجر العالم نحو هرمجدّون».


ديفيد بروغ

وبدأ أيضاً في إعداد خطط للمسيحيين ليتحدوا من اجل إسرائيل على أمل أن يتم دمج أغلب المجموعات الصغيرة المؤيدة لإسرائيل في المنظومة الوطنية. كما قام بالاتصال بجيري فالويل الذي قال بدوره: إنه أعطى تأييده في الحال. وعين ديفيد بروغ David Brog وهو



محام عمل في إسرائيل وفي الكونغرس وأحد أقرباء رئيس وزراء إسرائيل السابق ايهود باراك، كمدير تنفيذي للهيئة الجديدة.

وبظهور ملامح خطط جون هاغي شكلت لجنة الشؤون العامة الأمريكية الاسرائيلية AIPAC وهي الهيئة المؤيدة لإسرائيل وحدة «استمرارية» تعمل للتأثير على الأنشطة المؤيدة لإسرائيل مع المسيحيين وبقية الطوائف. ولقد عين على رأس الوحدة أحد أصيلي سان انطونيو الذي كان في السابق من رواد كنيسة جون شاينبيرع، وهو حاخام أرثوذكسي ويعتبر أحد المؤيدين المخلصين لجون هاغي. عقدت جمعية توحد المسيحيين من أجل إسرائيل أول اجتماعاتها في سان انطونيو في شهر فبراير وبدأت على الفور في تنظيم «المؤتمر» في واشنطن. ومن أجل استغلال التأييد ونزع الشكوك في بعض اتجاهاته ودوافعه، سافر هاغي عبر البلاد عاقداً اجتماعات مع المسيحيين وزعماء اليهود. وقد انتاب بعض اليهود قلق من أن المسيحيين الصهاينة يريدون استمالة اليهود إلى المسيحية، وهو الشيء الذي كان دائماً يرفضه جون هاغي.

وعن ذلك يقول: إن القتال الدائر بين إسرائيل وحزب الله يظهر أنه لا ينبغي على إسرائيل أن تتنازل عن ارض بحثاً عن السلام وإن المسيحيين واليهود على جبهة واحدة.

«إذا كان الرب يرفض التنازل عن الأرض، وإذا كانت الفكرة غير ذات جدوى، لنأتي بخطة أخرى. ويقول متوعداً: لا تتنازلوا عن الأرض، إنها تخصكم، إنها ميراث الرب لكم».



المزمار مخرجاً صوتياً

د. خالد العيساوي *

يَنساب بنا الحديث في هذه السطور القليلة إلى تحديد معنى المخرج، وصولاً إلى معرفة ما إذا كان للسان المزمار أثراً في إنتاج صوت من أصوات العربية أو لا، ذلك أن الناظر في كتب التراث العربي المتعرض منها للصوت اللغوي بالدراسة، يكاد لا يرى صوتاً منسوباً من حيث المخرج للسان المزمار، وهو ما يثير الاستغراب والدهشة، وإن كان بعض الدارسين المحدثين ينسب الهمزة إلى هذا العضو النطقي، وفي رأينا فإن في هذا إجحاف بعضو ذي أهمية بالغة في إنتاج بعض أصوات اللغة.

وقبل أن نقرر ما لهذا العضو من أهمية، يجدر بنا تحديد المراد بمصطلح المخرج، فالمخرج هو مكان خروج الصوت، هذا من حيث اللغة، أما من حيث الاصطلاح فقد عرف ابن الجزري المخارج بقوله، هي: «مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النفس مبتدئاً مستطيلاً، فتمنعه عن إيصاله بغايته، فحيثما عرض ذلك المقطع سمي حرفاً، وسمي ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً»[1]، وعرف المحدثون المخرج بأنه: «موضع ينحبس عنده الهواء أو يضيق مجراه عند النطق بالصوت»[2].

وإذا ما وضعنا ذلك نصب أعيننا، ونحن نرقب ما يضطلع به لسان المزمار من دور في عملية النطق، وجدنا أن هذا العضو سبب في إنتاج صوتين لغويين، بحيث يمكننا مع شيء من الطمأنينة أن نقرر أن مخرج هذين الصوتين هو لسان المزمار، الأمر الذي نكاد لا نراه عند أحد من القدامى، وإن كنا نرى جزءا منه عند بعض المحدثين، وهذا تفسير ذلك:

1 ـ إن الهمزة عند غالب القدامى ممن عنوا بالدرس الصوتي، صوت يخرج من أقصى الحلق، ويكفي أن نراجع القصيدة الجزرية في علم التجويد لنجد ذلك البيت الذي يقول:

ثم أقصى الحلق همز هاء
ثم لوسطه فعين حاء

وقد بيّن ابن يعيش مخرجها وهو يتحدث عن حيز الحلق فقال: «وفيه ـ أي الحلق ـ ثلاثة مخارج، فأقصاها من أسفله إلى ما يلي الصدر مخرج الهمزة»[3]، كما ينسب الكثير من المحدثين الهمزة

---

* أستاذ جامعي / ليبيا

1 ـ التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 السنة 1986 ، ص 31 .
2 ـ مصطلحات في علم اللغة والأصوات، مجلة مجمع اللغة العربية، ج 18 ص 255.
3 ـ شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ببيروت ، الطبعة والسنة أ ج 10 ص 124.

إلى الحنجرة، يقول الدكتور تمام حسان: «الهمزة صوت حنجري»(4).

وما ارتئيه هو أن الهمزة تنتسب مخرجاً إلى لسان المزمار؛ ذلك أن هذا العضو النطقي ينطبق معها بشكل تام، ما يشكل حاجزا يُمنع الهواء معه من الخروج، وقد سبق أن رأينا من خلال تعريف ابن الجزري للمخرج، بأنه هو المكان الذي يصادف معه الهواء الخارج من الرئتين ما يمنع خروجه، إما بشكل كلي وإما بشكل جزئي، وهو ما يحدث مع الهمزة عند فتحة المزمار تحديداً؛ لذا وجبت نسبة الهمزة إليه، وقد ذهب إلى ذلك الدكتور أنيس حين قال: «أما مخرج الهمزة المحققة فهو من المزمار نفسه، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة، فيسمع صوت انفجاري هو ما نعّبر عنه بالهمزة»[5].

وذهب الشيخ الرئيس من قبل إلى مثل هذا فقال متحدثا عن مخرج الهمزة: «أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومقاومة الطهرجالي الحاصر زماناً قليلاً؛ لحصر الهواء، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً»[6]، والطهرجالي هذا الذي يشير إليه ابن سينا، والذي يمنع الهواء من الخروج عند نطق الهمزة، ثم ينقلع فجأة، هو ذلك العضو الذي يسميه المحدثون لسان المزمار، فابن سينا إذن كان من قلائل القدامى الذين ينسبون الهمزة إلى المزمار كما فعل بعض المحدثين اليوم، إن لم يكن أوحدهم.

وإذا ما تقرر ذلك فإنه أمكن لقائل أن يقول: إن غالب القدامى وأكثر المحدثين جانبوا الصواب وهم ينسبون الهمزة إما للحلق وإما للحنجرة، غير أننا لسنا نقدر على رمي الفريقين بهذا، وإنما نقول إن القدامى والمحدثين عمموا في المصطلح، فالحلق عند القدامى يمتد ليشمل الحنجرة، وهذه تحوي لسان المزمار، ويؤكد ذلك عندي أن مكي بن أبي طالب يقول ـ وهو يتحدث عن مخرج الهمزة: «وهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر»[7]، فإذا ما علمنا أن الحلق عند المحدثين هو «الفجوة المحصورة بين التجويف الأنفي والحنجرة»[8]، وأن الحنجرة هي التي «تقع في أسفل الفراغ الحلقي، وتكون الجزء الأعلى من القصبة الهوائية»[9]، علمنا أن المقصود من قول مكي (آخر الحلق مما يلي الصدر) يطابق تماما ما يصف به المحدثون الحنجرة، وقد شعر بهذا الدكتور بشر فقال: «قرر هؤلاء ـ أي القدامى من علماء الأصوات ـ أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق... ويمكن قبول رأيهم هذا بافتراض واحد: هو أنهم ربما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل فيما تشمل الحنجرة وغيرها، وتكون الحنجرة حينئذ هي المقصودة بأقصى الحلق»[10].

2 ـ يتحدث القدامى والمحدثون عن مخرج النون فيجعلونه من طرف اللسان مع ما يحاذيه من أعلى الحنك، يقول الداني: «والنون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا»[11]، ويقول الدكتور بشر تنطق النون بأن «يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة»[12]، وهو ما نتفق فيه مع الفريقين، بيد أنهم ينسبون صوت الغُنّة إلى الخياشيم فيقولون: «المخرج السادس عشر مخرج التنوين، وهو

4 ـ مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان، دار الثقافة بالدار البيضاء، ط 1979ص 125 .

5 ـ الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو مصرية بالقاهرة، الطبعة السابعة، السنة: 1978 ص 89 ـ 90 .

6 ـ أسباب حدوث الحروف لابن سينا، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، الطبعة أ السنة 1978، ص 16 .

7 ـ الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات، توزيع دار المكتبة العربية، ص 119 .

8 ـ الدراسات الصوتية عند علماء العربية للأستاذ عبد الحميد عبد الهادي الأصيبعي، منشورات كلية الدعوة الأسلامية بليبيا، الطبعة الأولى، السنة 1992، ص 26 .

9 ـ علم اللغة العام ـ الأصوات، للدكتور كمال بشر، دار المعارف بمصر، الطبعة أ السنة 1970 ص 84.

10 ـ علم اللغة العام ـ الأصوات ص 146.

11 ـ التحديد في الإتقان والتجويد ص 103.

12 ـ علم اللغة العام ـ الأصوات ص 168.

يخرج من الخياشيم خالصاً»[13]، ويقول مكي: «والغنة... صوت يخرج من الخياشيم، والحرف الذي فيه الغنة، إن كان ميماً، فمن بين الشفتين يخرج، وإن كان نوناً، فمن طرف اللسان وأطراف الثنايا يخرج، فحرف الغنة له مخرجان»[14]، أي: واحد لمادة الصوت وآخر لما يصحبه ضرورة وهو هنا الغنة، ويقول ابن الجزري في مقدمته[15]:

للشفتين الواو باء ميمُ   وغنة مخرجها الخيشومُ

وفي زعمنا فإن الخيشوم ليس بمخرج الغنة، وإنما المخرج هو لسان المزمار، إذ أنه هو العضو الذي يقوم بإغلاق مجرى الهواء فينحبس هذا الأخير وراءه ولا يُسمح له بالمرور إلا بعد انفصاله، وكان قد تبين لنا من قبل أن المخرج هو الموضع الذي ينحبس أو يضيق عنده الهواء، والخياشيم لا يحدث عندها شيء من ذلك، وما جعل القدامى والمحدثين ينسبون الغنة للخياشيم هو انتشار صدى صوت الغنة في الخياشيم؛ إذ هي صوت أنفي وليست صوتاً فموياً، وفي هذا خلط، فليس بمقدورنا أن ننسب الشين مثلا إلى التجويف الفموي وإن كان صداها ينتشر في الفم كله، وما يحدث مع الغنة هو أنها تخرج من لسان المزمار الذي يسد الطريق أمام الهواء المندفع من الرئتين، ثم إن صدى هذا الصوت ينتشر في الخيشوم فيتوهم السامع أن الخياشيم هي مخرج الصوت، استمع إلى مكي بن أبي طالب وهو يقول: «وتعرف صحة ذلك - أي صحة خروج الغنة من الخيشوم - أنك لو أردت اللفظ بالنون الخفيفة، أو التنوين، وأمسكت أنفك لم يمكن خروج الغنة التي في النون وخرجت النون بغير غنة، مع تغير الصوت بالنون عند عدم الغنة، فدلَّ ذلك على أن مخرج الغنة من الخيشوم»[16]، وما أذهب إليه هو أن الصوت يمتنع عند إقفال الأنف، بَيْدَ أن هذا لا يعني تكونه في التجويف الأنفي، فالصوت الموسيقي عند العزف على آلة العود يتكون ويولد عند ملامستنا أحد الأوتار، ثم إن صدى هذا الصوت ينتشر في تجويف قصعة آلة العود، وهذا لا يعني خروجه من تلك القصعة.

وقد أجاد ابن جني حين شبه الصوت اللغوي بالصوت الخارج من الناي، وشبه أعضاء النطق بالأماكن التي يضع فيها العازف أصابعه لتكوين صوت ما، أما جهاز النطق فقد شبهه بآلة الناي عموما، فالهواء يجري في كل من جهاز النطق والناي مستطيلا منساباً، «فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين عمله، اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوتاً لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة»[17].

وبعد، فإنه يتراءى لنا أن لسان المزمار هو أحد أعضاء النطق، إذ منه تخرج الهمزة وكذا الغنة، لكننا نود إضافة شيء ههنا نحسب أنه ذو أهمية، فالنون وإن اختلف مخرجها عن مخرج الغنة، فإن هذا لا يعني إطلاقاً أن الصوتين مختلفان، فهما صوت واحد؛ ذلك أننا إذا نظرنا إلى هذا الصوت من خلال نظرية (الفونيم) وجدنا أنه يقوم بذات الوظيفة، فكلمة مثل (منسك) تحمل ذات الدلالة سواء انطقنا النون من طرف اللسان أم أخرجناها من لسان المزمار، بَيْدَ أنها مخفيّة يكون نطقها السليم من المزمار، ومظهرة كما في (أن) يكون نطقها السليم من طرف اللسان، ومن هنا أمكن القول أن صوت النون ثنائي المخرج، وهو ما جعلنا نورد مخرج النون الأصل قبل إيراد مخرج النون الخفية (الغنة) في صدر حديثنا، والله وحده ولي التوفيق.

---

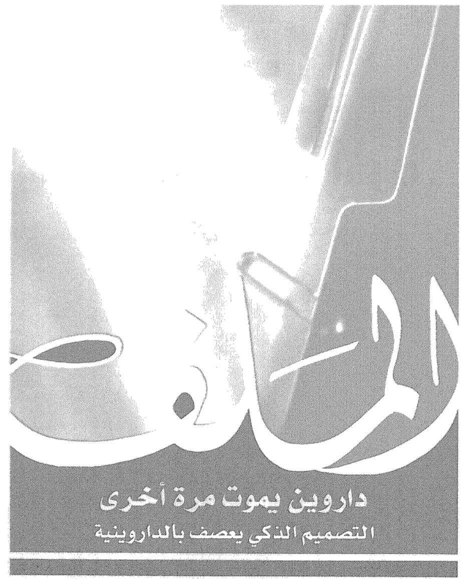
13 - التحديد في الإتقان والتجويد ص 104.

14 - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة بسوريا ، الطبعة الرابعة، السنة 1987، ج 1 ص 164.

15 - في البيتين المستشهد بهما انظر: شرح المقدمة الجزرية المسمى (الدقائق المحكمة في شرح المقدمة) للشيخ زكريا الأنصاري، تعليق عبد السلام عبد المعين، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الأولى، السنة 2003، ص 54 - 61.

16 - الرعاية ص 214 .

17- سر الصناعة لأبي الفتح ابن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، السنة 1985، ج 1 ص 8 - 9.



داروين يموت مرة أخرى

التصميم الذكي يعصف بالداروينية

- أصل الإنسان بين الخلق والتطور (الجذور التاريخية).
- المناخ الإلحادي في أوروبا في القرن التاسع عشر يمهد للداروينية.
- الجانب الإلحادي في نظرية التطور.
- الداروينية من العلم إلى الأيديولوجيا.
- أجنحة التطور الثلاثة.
- النزعة الإلحادية عند التطوريين المحدثين.
- قوانين التطور عند داروين.
- معضلة الحدس والتخمين في نظرية التطور.
- داروينيون جدد يعترفون بتصدّع الداروينية.
- بطلان قانون المصادفة.
- من أعلام مدرسة التطور الحديثة.
- نظرية التصميم الذكي.
- المواجهة القضائية بين نظرية التطور ونظرية التصميم الذكي.
- نظرية التطور والتصميم الذكي في الرسوم الساخرة .
- نظرية التطور في الفكر العربي الحديث.
- لقاء مع د . هارون يحيى.



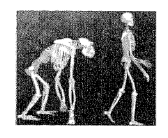
داروين يموت مرة أخرى..

التصميم الذكي يعصف بالداروينية

إعداد وترجمة: د. الصديق بشير نصر*

* باحث وأستاذ جامعي / ليبيا

أصل الإنسان بين الخلق والتطور



تتنازع القول في أصل الخليقة مدرستان: مدرسة القائلين بالخلق المستقل، ومدرسة القائلين بأن النشأة الأولى للإنسان تمت بفعل التطوّر ونواميس الطبيعة.

ومدرسة الخلق المستقل موغلة في القدم حيث ابتدأت مع الحضارات الإنسانية الأولى، وانتهت بالرسالات السماوية.

❖ الجذور التاريخية لمدرسة الخلق

وقد عُرِفت قصّةُ الخلق في الأسفار القديمة، حيث ورد ذكرها، بصور مختلفة، عند الفراعنة، والسومريين، والبابليين، والكنعانيين، والهندوس. كما نجد شيئاً من ذلك في عقيدة (الشنتو) اليابانية، والزرادشتية.

جاء في تسابيح فرعونية وُجدت في مقابر تل العمارنة تُمجّد أتون إله الشمس:

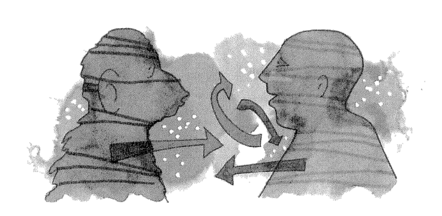
«أنت الذي تعطي الروح لمن تخلقه حتى تحييه.. أنت تخلق ملايين الكائنات منك وحدك» (أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة ص 128).

وقد جاء في نشيد لأخناتون (امنحوتب الرابع):

«أنت الإله الأحد، لا شريك لك في الملك. خلقت الأرض بإرادتك. ولمّا كنت وحيداً في هذا الكون خلقت الإنسان والحيوان.. الكبير والصغير منها».

وفي أسطورة خلق الإنسان السومرية، التي يعدّها أكثر الباحثين أوّل أسطورة خطتها يد الإنسان، تصوير صريح لخلق البشر من طين، حيث يخاطب الإله (إنكي) أمّه (نمو):

«إنّ الكائنات التي ارتأيت خلقها ستظهر للوجود
وسوف نعلّق عليها صورة للآلهة
امزجي حفنة طين من فوق مياه الأعماق
وسيقوم الصنّاع الإلهيون المهرة بتكثيف الطين وعجنه
ثمّ كوّني أنت له أعضاءه..»

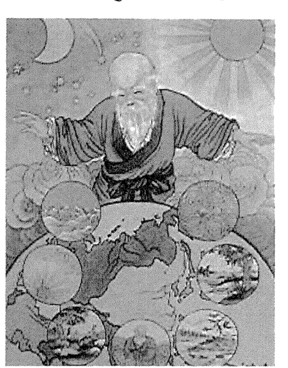


وجاء في اللوح السادس من ملحمة التكوين البابليّة المعروفة باسم (الانيوما إيليش):

«فلما انتهى مردوخ من سماع حديث الآلهة
حفّزه قلبه لخلقٍ مبدع
فأسرّ لآيا بما يعتمل في نفسه
وأطلعه على ما عقد عليه العزم:
سأخلق دماء وعظاماً
منها سأشكّل «لالو» وسيكون اسمه الإنسان
نعم سوف أخلق «لالو» الإنسان..».

كما ورد في نصّ بابلي آخر محفور على لوح عُثر عليه في أنقاض مكتبة آشور، قصة لخلق آدم وحواء. جاء في هذا النص:

«عندما خلق الآلهة في مجمعهم كلَّ الأشياء
كوّنوا السماء وشكّلوا الأرض..
وأخرجوا للوجود الكائنات الحية...
قام آيا بخلق زوجين شابين
وأعلا من شأنهما فوق جميع المخلوقات».


فكرة الخلق عند الصينيين

❖ الجذور التاريخية والفلسفية لنظرية التطور.

ـ التطور عند اليونانيين

ترجع الجذور التاريخية لنظرية التطور إلى عهودٍ سحيقة، إلى ما قبل المعلم الأول سقراط. وقد ارتبطت باسم الفيلسوف اليوناني هيراقليطس Ηρακλειτοαζ الذي لم تتبق من آثاره إلا بعض النصوص التي احتفظ بها الفلاسفة بعده في ثنايا كتبهم. وقد اختلف هيراقليطس مع طاليس، واناكسماندر، وفيثاغورس في طبيعة المادة.


هيراقليطس كما تخيله جوهانز موريلس

ومذهب هيراقليطس، القائل بالتغيير وعدم الثبات والكثرة، معارضة حقيقية لمذهب الإيليين الذي يقول بالوجود الثابت والقول بالوحدة. فالوجود عند هيراقليطس في حالة حركة دائمة،

وهي التي عبّر عنها بقوله المشهور:

«كلّ شيء يتحرّك، لا شيء يتوقف». فأنت لست أنت قبل ساعة، ولا أنت أنت بعد ساعة. كالنهر الذي يجري أمامك ليس هو عينه الذي رأيته أمسٍ، ولا هو عينه الذي ستراه غداً. وهو صاحب المقولة الشهيرة: «لا يغتسل المرء في نهر واحد مرتين».

وقد عُرِفَ هيراقليطس بأنه أحد أوائل فلاسفة الديالكتيك لقوله بكليّة التغيّر والتطور عبر التناقض الداخلي للأشياء. وهو القائل بأن النار أصل الأشياء في مقابل الإيليين القائلين أن الماء أصل الأشياء.

وقد فُسرت آراء هيراقليطس بشكلٍ رديء لخدمة الإلحاد، فهو لم يقل بالتطور Evolution ، ولكنه قال بالتغيّر Change ، وهما صفتان متغايرتان. فالتغير من حال إلى حال لا يعني التطور، كما يتحول الماء وهو

مادة سائلة إلى ثلج وهو مادة صلبة بفعل التبريد، ويتحول الثلجُ وهو حالة صُلبة إلى ماء بفعل التسخين، ويتحول الماء إلى بخار وهو حالة غازية بفعل التسخين، ثم يعود البخار ماءً بفعل التكثيف. كلّ هذا تغير في حال المادة وليس تطوراً أبداً.

ونسبة تطور الكائنات الحية إلى هيراقليطس مجرّد تخمين ضعيف، ولم يتحدث عن تطور الكائنات الحية من فلاسفة اليونان إلا أناكسيماندر Anaximander الذي يزعم أن الإنسان نشأ عن أسلاف يشبهون السمك. وهذا التخمين حاول أن يبرهن عليه البيولوجيون (علماء الأحياء) بعد نحو ألفين وخمسمائة سنة دون طائل.

ولعلّ ايمبيدوقليس Empedocles أهم فيلسوف يوناني حاول أن يضع صورة لتطور الكائنات الحيّة (البشرية والحيوانية)، غير أنها صورة خيالية بعيدة كلّ البعد عن التفكير العلمي، حيث يزعم أن الأجسام البشرية والحيوانية ظهرت في أوّل الأمر وكأنها أعضاء منفصلة: الرأس، والذراع، والجذع. ثم تجمّعت تلك الأعضاء بالمصادفة بعد أن فَنِيَ أكثرُها ليُكَوِّنَ هذه الأجسامَ المعروفةَ.

❖ التطوّر عند الرومان

لقد ظهر من بين فلاسفة الرومان مَن يتبنى رأي إيمبيدوقليس، فذهب مذهبه لوقريطس Lucretius في روما القديمة . وهذا المذهب نفسه تبناه بعض مؤرخي العلم الحديث الذين أسرفوا في استخدام قياس التمثيل analogy (التشابه الجزئي) ليكون أساساً لمبدأ الانتخاب الطبيعي.

❖ التطوّر عند الآباء الكنسيين

كان من بين آباء الكنيسة Church Fathers القائلين بالتطور القديس أوغسطين Augustin الذي قام بتأويل قصة الخلق التي وردت في سفر التكوين من كتاب العهد القديم باعتبارها قصة رمزية. وتبنى القول بأن العضويات التي وُجِدت في البدء يمكن أن تكون نشأت بالتطوّر.

وفي القرون الوسطى لم يبحث علماء اللاهوت المسيحي فكرة تحول العضويات إلى غيرها بفعل عمليات طبيعيّة. ولكن حدث أن ذهب إلى شيء من ذلك بعض الآباء مثل: آلبرتوس ماغنوس Albertus Magnus وتلميذه توماس الأكويني Thomas Aquinas، وكان هذا الأخير يرى أنّ نشأة المخلوقات الحيّة مثل اليرقات Maggots والذباب Flies من مادة غير حيّة مثل اللحم المتعفن لا يتنافى مع العقيدة المسيحية أو الفلسفة، ولكنه ترك حسم هذه المسألة للعلماء.


توما الأكويني

❖ التطور عند المسلمين

عرف المسلمون تطوّر الكائنات قبل تشارلز داروين بنحو خمسة قرون، بسبب تأثر فلاسفة المسلمين بالفلسفة اليونانية.

ورد في مقدمة ابن خلدون (مبحث تفسير حقيقة النبوة ص 167 طبعة دار الكتاب اللبناني):

«ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات، ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج. آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات، مثل: الحشائش، وما لا بَذْرَ له. وآخر أفُقِ النبات مثل: النخل، والكرم، متّصل بأوّل أفُقِ الحيوان، مثل: الحلزون والصَّدَف. ولم يوجد لهما إلا قوّة اللمْسِ فقط. ومعنى الاتصال في هذه

المكوَّنات أنَّ آخرَ أفْقٍ منها مستعدٌ بالاستعداد الغريب لأن يصيرَ أوَّلَ أفْقِ الذي بعده. واتَّسَع عالمُ الحيوان، وتعدَّدَت أنواعُه، وانتهى في تدريجِ التكوينِ إلى الإنسانِ صَاحِبِ الفِكْر والرَّويَّةِ، ترتفع إليه من عالم القِرَدَةِ الذي اجتمع فيه الحس والإدراكُ، ولم ينته إلى الرَّويّة والفكْرِ بالفعل، وكان ذلك أوّل أفْقٍ من الإنسان بعده وهذا غاية شهودنا».

وقد تكرّر ذلك منه في الباب السادس، الفصل الرابع عشر (في علوم الأنبياء):

«قد تقدم لنا الكلام في الوحي أول الكتاب في فصل المدركين للغيب، وبينا هنالك أن الوجود كله في عوالمه البسيطة والمركبة على تركيب طبيعي من أعلاها وأسفلها، متصلة كلها اتصالاً لا ينخرم. وأن الذوات التي في آخر كل أفق من العوالم مستعدة لأن تنقلب إلى الذات التي تجاوزها من الأسفل والأعلى، استعداداً طبيعياً كما في العناصر الجسمانية البسيطة، وكما في النخل والكرم من آخر أفق النبات مع الحلزون والصدف من أفق الحيوان وكما في القِرَدَةِ التي استجمع فيها الكَيْس والإدراكُ مع الإنسان صاحب الفكر والروية، وهذا الاستعداد الذي في جانب كل أفق من العوالم هو معنى الاتصال فيها».

وجاء في كتاب (البدء والتاريخ) المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، وقيل إنه لمطهر بن طاهر المقدسي (2: 75)، عند كلامه عن ظهور آدم مستعرضاً اختلاف الفلاسفة في تولّد الحيوانات:

«فهذا جملة قولهم في ظهور الحيوانات، وآدم حيوان. فعند بعضهم أنّ آدم تولّد من رطوبة الأرض كما يتولّدُ سائرِ الهوامّ. وكان جِلدُه كقِشْرِ السّمك. ثم لمّا أتى الزمان عليه جفَّ وسقَطَ عنه. وعند آخر لم يظهر بكمالِهِ، وأنه ظهر شيئاً بعد شيء، ثم تركّب واتصل على مرور الزمان، وصار إنساناً تاماً».

ولعلّ صَدْرَ الدين الشيرازيّ (ت 1050 هـ) أكثر من تكلّم عن تطور الأجناس في السفر الثاني من كتابه (الأسفار الأربعة)، حيث يذهب إلى ترقّي الأجناس من الخسيس إلى النفيس، وإن كان كلامه هذا هو تنقيح لأراء أخوان الصفاء كما ورد في رسائلهم.

❖ قصة الخلق في العهد القديم

جاء في كتاب العهد القديم (الإصحاح الثاني من سفر التكوين):

«وجبلَ الربُّ الإلهُ آدمَ تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نَسَمَةَ حياة. فصار آدمُ نفْساً حيّةً. وغرسَ الربُّ الإله جنّةً في عَدْن شرقاً. ووضَعَ هناكَ آدمَ الذي جَبَلَه».

لقد وردت قصة الخلق الإنساني في التوراة بشكلٍ مقتضب جداً على خلاف قصة خلق الكون. .

❖ قصة الخلق في القرآن الكريم

لا تختلف قصة الخلق في القرآن عنها في سفر التكوين من حيث إن مادة الخلق هي الطين، وأنّ الخالق هو الله، يقول الباري سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾
[سورة الحجر الآية:26]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[سورة الحجر،الآية:28]

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾[سورة الأنعام،الآية:2]

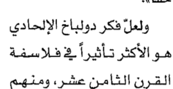
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾
[سورة المؤمنون،الآية:12]

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[سورة السجدة،الآية:7]

المناخ الإلحادي في أوروبا في القرن الثّامن عشر يمهّد لمذهب التطوّر

كانت أوروبا في القرن السابع عشر تعجّ بالشّكاك، حُبلى بمذاهب الشك، وكان الصراع بين من يُسَمَّوْنَ بالمفكرين التنويريين والكنيسة على أشدّه. وقد ترك الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا (Baruch Spinoza 1632-1677) أثراً على فلاسفة القرن الثامن عشر وعلى رأسهم فولتير. لقد أعلن سبنوزا أن في العهدين القديم والجديد شيئاً جديراً بالاهتمام، وهو الأخلاق. أمّا ما يرويانه من قصص وأمور غيبية فليست قابلة للتصديق. وهذا ما جعل ڤولتير يقول: «الأخلاق صادرة عن الإله، إنها متشابهة في كلّ مكان. واللاهوت صادر عن البشر، ولذلك فهو متباينٌ في كلّ مكان، وهو مدعاةٌ للسخرية».

لقد أمعن ڤولتير في الاستخفاف بإله التوراة، حتى إنه وصف التوراة بقوله: «إنّ التوراة لا توحي بأنها كتابٌ أوحاه الله، بل توحي بأنها كتاب وضعه سكّير جاهل في مكان من أمكنة السوء». يقول أندريه كريسون في كتابه (تيارات الفكر الفلسفيّ من القرون الوسطى حتى العصر الحديث) ص 153: «لا يُهدّم حق الهدم إلا ما يُعوّض. هذه الحقيقة التي نادى بها الفيلسوف الوضعي أوغست كونت، شعر بها فلاسفة القرن الثامن عشر. فلا يكفي أن تُهدمَ المعتقدات الدينيّة التقليديّة، بل يجب أن تُستبدلَ بشيءٍ آخرَ. ولكن ماذا نضع محلّها؟ إن المفكّرين مختلفون في الإجابة. فبعضهم أمثال: فولتير وروسو، اعتقد أنّ العقل إذا ما طرَحَ كلَّ ديانةٍ منزّلةٍ، فإنه يُسوّغُ وجود ديانة طبيعيّة. وذهب آخرون، أمثال: ديدرو، ودولباخ، و غريمّ إلى أنّ الإلحاد التّام هو المذهب الوحيد العقلاني حقاً».



ڤولتير

ولعلّ فكر دولباخ الإلحادي هو الأكثر تأثيراً في فلاسفة القرن الثامن عشر، ومنهم انتشرت إلى فلاسفة القرن التاسع عشر، وفلاسفة القرن العشرين الماديين. ولا ريب أن التطوريين Evolutionists وجدوا في هذا الفكر حاجتهم.

وقد أحدث دولباخ (1723 ـ 1789)، فيلسوف ألماني عاش في باريس، تأثيراً كبيراً في فلاسفة التنوير. وقد ذهب إلى القول بأنّ المادّة متحرّكة بذاتها، وأنّ كلّ شيء يُفسّر بالمادّة والحركة، وأنهما أزليتان أبديّتان، خاضعتان لقوانين ضروريّة. وليس العالم متروكاً للمصادفة، وليس مُدبّرَاً بإله، وكلّ الأدلّة على وجود الله منقوضة، ولا غائية في الطبيعة، وليست العين مصنوعة للرؤية، ولا القدم للمشي، ولكنّ المشي والرؤية نتيجتان لاجتماع أجزاء المادّة.

وفي ما يُسمّى بمحاكمة دولباخ التي كتبها بقلمه يخلص إلى أنّ «كلمة (الله)، وكلمة (خلق) لا تمثّل في الذهن أيّ فكرة حقيقيّة. ولذلك يجب حذف هاتين الكلمتين من اللغة». وهذا يكاد يكون عين ما يقوله أتباع نظرية التطوّر، ولا سيما الداروينية المحدثة.

الجانب الإلحادي في نظرية التطوّر



جان بابتيست لا مارك

لم تقف نظرية التطوّر عند حدّ القول بتطور الأجناس ونشأتها بفعل التولّد الذاتي، بل تعدّت ذلك إلى القول بنفي الخالق، وهو ما روّج له علماء وفلاسفة ملاحدة لا يؤمنون بالله، وجدوا في هذه النظريّة ضالتهم. ولم يكن داروين الذي عُرفت النظريّةُ باسمه ملحداً في أوّل أمره.

ويعدّ جان باتيست لامارك Jean BaptisteLamarck (1744 - 1829) من أوائل القائلين بالتطوّر قبل داروين. درس في أوّل حياته علم اللاهوت، ولم يُكمِل ذلك.

والتحق بالجيش الفرنسي وخاض معه حرب السنين السبع ضد الألمان.

زرافة لامارك

ورقي إلى رتبة ملازم، ثم سُرّح منه بسبب مرضه، فالتحق بكلية الطب، ولم يستمر فيها طويلاً وتركها لدراسة علم النبات. وبرع في الطبيعيات وصار له شأن في علم الحيوان. وفي عام 1809 أصدر كتابه (فلسفة الحيوان) وشرح فيه مذهبه في التطور والارتقاء. وملخّص مذهبه في التطوّر أن الحياة الأولى تولّدت من المادّة تولّداً ذاتياً، ودون تدبير من مدبّر، أو صانع.

ومذهب لا مارك يقوم على مبدأين: قانون الإهمال والاستعمال، وقانون وراثة الصفات المكتسبة. وبالقانون الأول يزعم لامارك أن أعضاء الكائن الحيّ تضمحلّ بالإهمال حتى تختفي، وتنمو بالاستعمال حتى تشتدّ. وبالقانون الثاني تُورّث الصفات المكتسبة.

وهو يزعم أن عنق الزرافة استطال بفعل ملاحقتها لأوراق الأشجار العالية. وهذا محض تخمين ولو صحّ لطالت أعناق الماعز والجواميس والوعول. لكنّ هذا لم يحدث أبداً.

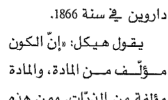
ولو صحّ أنّ الصفات المكتسبة تُوَرَّثُ كالموروثة لجاء ابن الحدّاد مفتول العضلات قويَّ الساعد.

وجاءت قوانين مندل Gregor Mendel في الوراثة لتوجّه أكبر صفعة إلى نظريّة التطوّر. ومن أكبر المنظّرين لنظرية التطوّر والمدافعين عنها بتعصّب كبير العالم الألماني أرنست هاينريتش



جريجور مندل

هيكل Eirnst Heinrich Haeckel (1834 ـــ 1919) المجاهر بالإلحاد. وقد صنّف هيكل أكثر من تصنيف في مسألة التطوّر، كان من أهمها وأخطرها: (نشوء الإنسان) و(ألغاز الكون) و(تاريخ الخليقة) و(الحلقة الأخيرة). وكان له لقاء مع داروين في سنة 1866.



ارنست هيكل

يقول هيكل: «إنّ الكون مؤلّف من المادة، والمادة مؤلفة من الذرّات. ومن هذه المادّة ظهر كلّ ما في الكون من أحياء وغير أحياء. وحركة العالم هي حركة تطوّر دائم،، يبتدئ من أبسط الذرّات، وينتهي إلى أرقى الكائنات. فهذه الكائنات كلّها، حيّها وجمادها، تتألف من عناصر واحدة، لا فرق في ذلك بين حيّ وغير حيّ، لأن عناصر الموادّ العضويّة موجودة بذاتها في المواد غير العضويّة. وأنّ بالإمكان تحضير بعض مركّبات عضويّة بطريقة صناعيّة.

وعلى هذا الأساس يقول هيكل أن أبسط أنواع الحيوان نشأت من مادة غير حيّة بطريق التولّد الذاتي.

إداورد بخنر

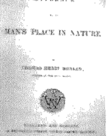
ومن عتاة علماء الطبيعة الملاحدة الذين دافعوا عن فلسفة التطوّر، العالم الألماني إدوارد بخنر Eduard Buchner (1801 ـ 1887) وقد اتهم بخنر داروين بأنه لم يكن صريحاً في نفي الخالق لأنه في نظره كان مداهناً لرجال الدين والكنيسة.

وقد عَرَفَ العربُ بخنر من خلال كتابه (القوة المادية) الذي ترجمه د. شبلي الشّميّل إلى العربية تحت عنوان (شرح بخنر على مذهب داروين).

ومن أعلام المذهب التطوري والمدافعين عنه، وهو أكثرهم ضجيجاً ومهاترة توماس هكسلي Thomas Huxley (1825 ـ 1895).

توماس هكسلي

وقد صنّف كتابه الشهير في الدفاع عن الداروينية الذي يحمل عنوان (مكانة الإنسان في الطبيعة) سنة 1894.





غلاف كتاب
توماس هكسلي

ولفرط تعصّبه أطلق على نفسه لقب (كلب حراسة داروين). وهو صاحب العبارة الشهيرة التي قالها في اجتماع مؤتمر تقدّم العلوم البريطاني بمدينة أكسفورد حينما سأله أسقف أكسفورد: «هل يتفضّل السيد هكسلي بأن يخبرنا هل كان القرد جداً لأبيه أم لأمه؟»، فأجاب هكسلي:

«لأن يكون القرد أحد أجدادي أفضل عندي من أن يكون جدي أسقفاً مثلك». وهو أيضاً صاحب أشهر كذبة إذ زعم اكتشاف سرّ التولّد الذاتي في مادة هلامية وجدها بعضهم في قاع البحر، فأسرع هكسلي وقال إنها بروتوبلازما، ثم اتضح أنها مجرد كتلة طينية متعفّنة. ولم يجد هكسلي إلا أن يعترف بذلك في دعابة أثناء مؤتمر علمي انعقد في مدينة شيفيلد في سنة 1879، وفيه أعلن هكسلي أسفه لأنه كان سبباً في تضليل الكثيرين ممن اعتمدوا على شهرته لتأييد فكرة التولّد الذاتي، وهي أحد المبادئ التي قامت عليها نظرية داروين.

وفي روسيا كان هناك من يدعو إلى نظريّة التطوّر ببعدها الإلحادي، مثل: الكسندر ايفانوفيتش أوبارين Aleksander Ivanovic Oparin (1894 - 1980) الذي زعم أنّ الإنسان بمقدوره أن يصنع إنساناً كائناً حيّاً عن طريق مزج عناصر مخصوصة بأوزان محدّدة، تتفاعل بذاتها تفاعلاً كيماويّاً وبيولوجياً كما حدث، بزعمه، عند ظهور الحياة الأولى منذ ملايين السنين. ولّما سئل عن إمكانية القيام بذلك اليوم، فأجاب متملّصاً: يمكن ذلك، ولكن في غير كوكبنا الأرض.



اوبارين

ومن مناصري نظرية التطور أيضاً العالم الإنجليزي جوليان هكسلي Julian) (Huxley 1887، حفيد توماس هكسلي.

جوليان هكسلي

كان هكسلي في أوّل حياته العلميّة منشغلاً في جامعة أكسفورد بدراسة علم الأجنّة embryology والكائنات الوحيدة الخليّة Protozo. وقد شغل كرسي البيولوجيا في معهد رايس Rice Institute بولاية هيوستون في الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1913.

وفي سنة 1925 انتقل إلى كلية الملك بجامعة لندن أستاذاً في علم الحيوان.

وفي سنة 1935 عيّن أميناً لجمعية علم الحيوان في لندن. وبعد التنقل العلميّ بين المناصب المتعددة انتهى به المطاف في منظمة اليونسكو التي ساهم في تأسيسها، وكان أول مدير عام لها في سنة 1946.

وقد اشترك مع أينشتاين، وجون ديوي، وتوماس مان في تأسيس الجمعية الإنسانية الأولى في نيويورك.

جوليان هكسلي بين ذراعي جده توماس هكسلي

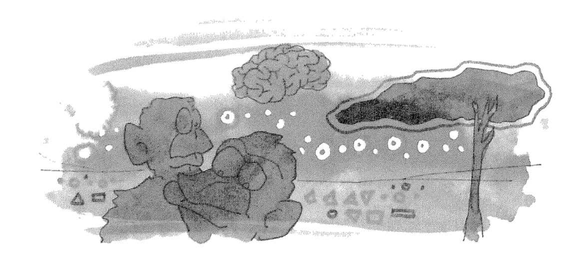
ولجوليان هكسلي عدد كبير من المؤلفات في المذهب الإنساني Humanism الذي يعدّ أحد دعاته المشاهير، وله في دراسة التطوّر عدة مصنفات، أهمها:

- **التطور**: التركيبات الكيميائية الحديثة (1942)
- علم الأخلاق التطوري (1947)
- الإنسان في العالم الحديث (1947)
- التطور عمليّاً (1953)

اتخذ جوليان هكسلي من الإلحاد مذهباً لنصرة التطوّر، ووجد فيما يسميه بالمذهب الإنسانيّ Humanism بديلاً عن الدين. فألّف كتابين للترويج لهذه الفلسفة الإلحادية المتدثرة برداء التطور، وهما: الإنسان يقف وحده Man Stands Alone والدين بلا وحي Religion Without Revelation.


غلاف كتاب الإنسان لا يقف وحده

وقد ترك كتابه الأول صدى بين العلماء في تلك الحقبة، وعدّ دعوة صريحةً لنفي الخالق. وكان من أشهر المتصدين في الردّ عليه العالم الأمريكي الشهير كريسي موريسون Cressy Morrison، رئيس الأكاديمية الأمريكية للعلوم، في كتاب رائع الذي يحمل عنواناً هو: الإنسان لا يقف وحده Man does not stand alone . وقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية تحت عنوان (العلم يدعو إلى الإيمان).



الداروينية من العلم إلى الأيديولوجيا

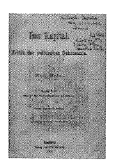
عندما صدر كتاب (أصل الأنواع) لداروين تلقّفه كارل ماركس بترحيب شديد ووجد فيه ما ينسجم مع فلسفته الجدليّة التي كان يروّجُ لها، والتي كانت في أمس الحاجة إلى تأييد علمي.

لقد وجد كارل ماركس في نظرية التطور سلاحاً فتاكاً في محاربة الدين الذي يراه أفيون الشعوب. ولفرط إعجابه بكتاب أصل الأنواع أهدى كتابه(رأس المال) الذي صدر في سنة 1867 لداروين.

ولا تزال النسخة التي كتب عليها ماركس الإهداء إلى داروين بخط يده محفوظة في أحد المتاحف.



كارل ماركس

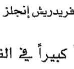


إهداء كارل ماركس بخط يده إلى داروين

وقد أفرط إنجلز Engels في تعظيم داروين في كتابه ديالكتيك الطبيعة Dialectics of Nature حتى إنه جعل فصلاً في هذا الكتاب بعنوان: (الدور الذي لعبه العمال في الانتقال من القرد إلى الإنسان) The Part Played by Labour in the Transition from Ape to Man. كما وجدت الماركسية في مبدأي التنازع من أجل البقاء، والبقاء للأصلح ما يؤيد دعواها في صراع الطبقات الاجتماعية.

ولذلك توسّع القول بالتطور من نظرية تتعلّق بنشأة الكائنات، إلى القولبما يُسمى الداروينية الاجتماعية.

وتحوّل ذلك إلى مدرسة في البحث الإجتماعي أحدثت تأثيراً كبيراً في الفكر الأمريكي بنزعتها الاستئصالية التي تحتقر الطبقات الدنيا في المجتمع وتعدّه عبئاً ثقيلاً عليه.



فريدريش إنجلز

أجنحة نظرية التطور الثلاثة

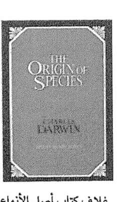
ارتبطت نظرية التطوّر بثلاثة أسماء مشهورة: داروين، والاس، سبنسر:

1 ـ تشارلز داروين (Charles Darwin 1809 -- 1882)


تشارلز داروين

وبه ارتبطت النظرية، وعُرفت باسمه. وصارت مذهباً علمياً وفلسفياً يُعرف بالداروينيّة Darwinism . وكان كتابه (أصل الأنواع) Origins of Species الذي صدر في سنة 1859 أكبر زلزال هزّ المعتقدات السائدة بخصوص نشأة الإنسان. وقد أحدث صدور الكتاب دويّاً هائلاً في الأوساط العلمية، وانقسم الناس في هذه النظريّة إلى فريقين: مؤيّد، ورافض. ولم يتوقف الجدل الذي أحدثته نظرية التطور التي تعرف أيضاً باسم النشوء والارتقاء حتى يومنا هذا.

بالرغم من أن داروين بدأ بدراسة الطبّ إلا أنه لم يفلح في ذلك، فانتقل إلى دراسة اللاهوت في كمبردج، ولكنه أيضاً لم يجد فيه ما يُشبع نهمه .



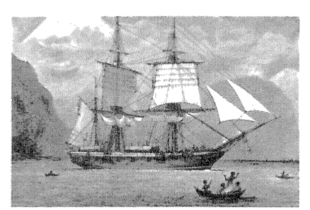
غلاف كتاب أصل الأنواع

تحوّل بعد ذلك لدراسة الأحياء، فخرج في رحلته البحرية الشهيرة في سنة 1830 التي دامت خمس سنوات وهي تطوف بالخليج الغربي لأمريكا الجنوبية وجزر الباسيفيك على ظهر السفينة بيجل Beagle التي خلدها التاريخ العلمي. وبعد عودته إلى انجلترا عكف على بحوثه ودراساته لمدة عشرين سنة. وقبل أن يعلن عن نتائجه في كتابه (أصل الأنواع) تلقى رسالة في عام 1858 من عالم شاب له عناية بتطور الأحياء هو آلفرد رسل والاس. وقد تضمنت تلك الرسالة بياناً كاملاً لأفكاره عن التطوّر.


توماس مالثوس

ومما شجّعه على القول ببعض قوانين التطوّر التي كانت تعتمل في ذهنه وقتئذ ولا سيما قانون البقاء للأصلح، قراءته لفكر توماس مالثوس Thomas Malthus (1766ـ 1834) عالم الاقتصاد الإنجليزي في كتابه الشهير (مقال عن مبدأ السكان) An Essay on the Principle of Population، وهو الكتاب الذي أثّر أيضاً في هربرت سبنسر، حيث يقرر مالثوس إنّ تزايد السكان مع تناقص الغذاء يتسبب في مشكلة كبيرة، ولذلك فإن هلاك المرضى، والفقراء سبيل لحلّ المشكلة المتفاقمة وفق قانون البقاء للأصلح. وقد صرّح داروين بذلك في أوّل كتابه (أصل الأنواع) فقال:

غلاف كتاب مبدأ السكان لمالثوس


سفينة (بيجل) التي أبحر داروين على متنها

«في أكتوبر عام 1828 تصادف أن قرأت على سبيل التسلية كتاب مالثوس عن السكان. ولمّا كانت ملاحظتي الطويلة المستمرّة لعادات الحيوانات والنباتات قد هيأت ذهني لتقدير أهمية الصراع من أجل الوجود، وهو الصراع الذي يدور في كلّ مكان، فقد تبادر إلى ذهني على الفور أن تبقى التغيرات المناسبة وتتلاشى التغيّرات غير الملائمة. فتكون نتيجة ذلك تكوين نوع جديد، وهنا أصبحت لديّ نظرية استطيع أن أبدأ منها».

وفي سنة 1871 أصدر كتابه (تحدّر الإنسان) Descent of Man تتمةً لما بدا له نقصاً في كتابه (أصل الأنواع)، حيث ترك داروين مسألة أصل الإنسان معلّقةً. فعاد في كتابه الأخير هذا فرأى أن ليس ثمة موجب لإستثناء الإنسان من قانون التطوّر.

يقول في كتابه (أصل الأنواع) ص 772 من ترجمة إسماعيل مظهر العربية : «إنّ الكائنات العضويّة التي عاشت على سطح الأرض قد تسلسلت من أصل بدائي واحد.. وهناك أدلّة كثيرة من الأجنّة والتجانس والأعضاء الأثرية، ما يدلّ على أنّ الأفراد جميعاً قد تسلسلت من أصل واحد»

ويُقرّ داروين نفسُه بضعف نظريته، وبوجود نقاط ضعفٍ فيها بحيث لا تتجاوز محض الظن. فهو يقول في (أصل الأنواع ص 230) بخصوص السجل الجيولوجي Geological records:

«لا تختلجنا الرِّيَبُ وَفْقاً للاعتبارات التي أدلينا بها من قبل، في أنّ السّجلَّ الجيولوجي إذا أُخِذَ في مجموعِهِ ظهر على جانبٍ عظيمٍ من النّقص.. إنّ السّجلّ الجيولوجيّ بوصفه تاريخاً لهذه الدنيا، إنما هو سجلٌّ ناقص، ومكتوبٌ بلهجات متغايرة على الدّوام، وإننا لا نملك من هذا السجل إلا المجلّد الأخير. ولم يبق كاملاً من هذا المجلد غير فصول قصار تناثرت هنا وهناك، كما لم يبقَ من كلّ صفحةٍ منها إلا بضعة سطور».

وكتاب (أصل الأنواع) مملوء بالشكوك والظنون التي يثيرها مؤلفُه، فهو يقول مثلاً في صفحة 211: «نعتقد اعتقاداً ثابتاً أننا نجهل، الجهلَ كلّه، سُنَنَ تَبَادُلِ الصلات بين الكائنات العضويّة عامّة. ويكاد يكون هذا الاعتقاد من الضرورات» .

ويقرر داروين في آخر كتابه في صفحة 746:

«أنا لا أنكرُ أنّ هناك اعتراضاتٍ خطيرة وكثيرة يمكن أن توجّه ضد نظرية التطوّر».


شجرة التطور

2 ـ ألفرد راسل والاس (1923 -1823 Russell Wallace)

وُلِد والاس في مقاطعة ويلز من المملكة المتحدة، وكان ثامن تسعة إخوة.


الفرد رسل والاس

التحق بمدرسة لغة في أول حياته، ولكنه تركها بسبب ضائقة مالية ألمّت بأسرته. وبدأ حياته العملية مسّاحاً مع أخيه الأكبر وليام. وأنفق زمناً في عمليات مسح أجراها في غرب انجلترا و ويلز. وفي سنة 1844 وُظّف معلّماً في مدرسة Collegiate بمدينة ليشستر. وبعد موت أخيه ترك التدريس وانصرف إلى الإشراف على شركته.

في سنة 1848 سافر إلى البرازيل برفقة أحد علماء الطبيعة يُدعى Henry Walter Bates لجمع عيّنات من غابات الأمازون لحل معضلة أصل الأنواع. ولكن، لم يكن الحظ حليفاً لوالاس إذ ضاع قدر كبير مما جمعه بسبب حريق شبّ في سفينته ومن ثمّ غرقها أثناء عودته إلى انجلترا في سنة 1852. وقد أمضى السنوات ما بين 1854 - 1862 في السفر عبر أرخبيل الملايو لجمع العينات ولدراسة الطبيعة. وقد قادته ملاحظاته عن الفوارق الحيوانية في منطقة ضيّقة من الأرخبيل إلى فروضه عن الحدود الجيوحيوانية (الجغرافية ـ الحيوانية) وهو ما يُعرف الآن بخط والاس Wallace Line. وكان من أهم ملاحظاته في تلك الرحلة ما كتبه عن الضفادع الطائرة. وقد نشر كلّ ذلك في كتابه عن أرخبيل الملايو.

في سنة 1855 نشر والاس بحثاً بعنوان:

On the Law which has Regulated the Introduction of Species. اعتماداً على عمله المتميّز في جبل سانتبونغ الذي يُعدّد فيه الملاحظات العامة عن التوزيع الجغرافي والجيولوجي للأنواع أو ما يُعرف اليوم بالجغرافيا الحيوية مستنبطاً في هذا العمل أنّ كلّ الأنواع جاءت إلى الوجود متحدة في الزمان والمكان مع أنواع تقاربها وترتبط بها.

التقى والاس بداروين مرّة لوقتٍ قصير، وكان واحداً من العديدين الذين يراسلونه من أرجاء العالم. وقد كان لمقالته التي أرسلها إلى داروين في سنة 1858 عن ميل التنوعات إلى ترك نمطها الأصلي بشكل غامض. وبالرغم من أن مقالة والاس لم تستخدم مصطلح الانتخاب الطبيعي الذي ذكره داروين فيما بعد، إلا أنها بينت آليات التشعّب التطوري للأنواع من أشكال مماثلة بفعل الضغط البيئيّ. وهو الشيء نفسه الذي عمل عليه داروين زهاء عشرين سنة ولم ينشره.

لقد كتب داروين إلى تشارلز لايل Charles Lyell:


السير تشارلز لايل

«ليس بوسعه أن يختصر أفضل مما فعل ! إن مصطلحات والاس تكاد تكون هي عناوين فصول كتابي». وبالرغم من أن والاس لم يسع إلى طبع بحثه إلا أن تشارلز لايل وجوزيف هوكر قررا نشره مع مقتطفات من ورقة كتبها داروين، وظلّت سرّاً، إلى جمعية Linnean بلندن في أول يوليو من عام 1858، تتحدث عن أولويات داروين.

لقد شجّعت مقالة والاس داروين على نشر آرائه في التطوّر والانتخاب الطبيعيّ، وبعثت في نفسه الثقة في اكتشافاته.

لقد خلّف ألفرد والاس وراءه عدداً من الكتب والبحوث في مذهب التطوّر إلا أنه لم ينزع في دراساته نزعة إلحادية، واتسمت بحوثه بكثير من التعقّل

والتريث. ولعلّ كتابه الشهير مساهمات في نظرية الانتخاب الطبيعي Contributions to the Theory of Natural Selection الذي صدر في سنة 1870 من أهم أعماله في مسألة التطوّر.

ولفرط إعجابه بداروين كتب مؤلفه الشهير (الداروينية) Darwinism في سنة 1889 ، وقد أعيد طبعه مؤخراً في عام 2004. وهو كتاب ضخم حاول أن يجيب فيه عن الاعتراضات التي وُجّهت لكتاب داروين (أصل الأنواع).

يقول والاس في مقدمة الطبعة الأولى لكتابه (الداروينية):

«من الضعف الذي يوصف به كتاب داروين دائماً كونه بنى نظريته ابتداءً على دليل التنوّع في الحيوانات المحلية والنباتات المزروعة. وقد حاولت أن أصون مبدأ ثابتاً للنظرية في تنوّع العضويات في مملكة الطبيعة.

ولقد قمت بما يظهر لي أنه تغييرٌ مهمٌ في تنظيم الموضوع. فبدلاً من معالجة، أولاً، التفصيلات الصعبة وغير المتماثلة في التنوّع بدأت بـ (الصراع من أجل الوجود) الذي هو بحقّ الظاهرة الأساسية التي يتوقّف عليها الاصطفاء الطبيعيّ.

وبالرغم من أنني بينت ما اختلف فيه مع بعض آراء داروين، إلا أن عملي برمّته يميل وبشكل قويّ إلى توضيح الأهمية القصوى للاصطفاء الطبيعي، وأنه يتجاوز جميع العوامل الأخرى لإنتاج أنواع جديدة... وأزعم أن عملي هذا هو دفاع عن الداروينية المحض».

3 ـ هربرت سبنسر Herbert Spencer (1820-1903)

هربرت سبنسر فيلسوف إنجليزي. قدم في كتابه السياسي «الإنسان في مواجهة الدولة» (The ManVersus the State 1884) رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليتها وكان سبنسر، وليس داروين، هو الذي أوجد مصطلح «البقاء للأصلح». رغم ان القول ينسب عادة لداروين.


هربرت سبنسر

وقد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم الارتقاء، وأعطى له ابعاداً اجتماعياً، فيما عرف لاحقاً بـ (الداروينية الاجتماعية). وهكذا يعد سبنسر واحداً من مؤسسي علم الاجتماع الحديث. ولد سبنسر في دربي Derby، وتلقى معظم تعليمه في المنزل، عمل مهندساً مدنياً، لكن كتاباته المبكرة 1848 شهدت اهتماماً بالمسائل الاقتصادية، حيث عمل محرراً في جريدة الايكونومست Economist والتي كانت، كما هي الآن، جريدة اقتصادية مؤثرة ومهمة. عام 1851 انضم الى مجموعة جون تشابمان، التي كانت ترعى الفكر الحر والاصلاح، وبالذات تروج لفكرة التطور والارتقاء. طلب تشابمان من سبنسر ان يبحث نظرية توماس مالتوس ويعرضها في العدد الأول من مجلة اشرف على إصداراها، ورأى سبنسر في نظرية مالتوس قانوناً عاماً يصلح للبشر كما للحيوانات، حيث تعمل الحروب والكوارث والأوبئة على تصحيح الزيادة السكانية. من هذه اللحظة فصاعداً اعتبر سبنسر كاتباً مهماً، ووجد تعبير«البقاء للأصلح» رواجاً كبيراً، وتوالت كتبه التي شملت مواضيع مختلفة، وكانت ترى مسألة التطور والارتقاء في شتى الجوانب الاجتماعية، حيث لا مكان للضعيف في سباق الأقوياء. وقد قدمت الدراوينية الاجتماعية في تلك الفترة على أنها قانون الطبيعة الذي لا حياد عنه.

ترك سبنسر وراءه عدداً من المؤلفات، اشهرها: مبادئ علم النفس، والمبادئ الأولى، ودراسة علم الاجتماع.

النزعة الإلحادية عند التطوريين المحدثين

يعترفُ المحدَثُون من أنصار نظرية التطور بفسادها، ولكنهم يصرّون على القول بها لأن نفيها يفضي إلى القول بنظرية الخلق الإلهي، وهذا ما يكرهونه.

يقول عالم الأحياء، الأستاذ بجامعة هارفارد، د. جورج والد George Wald:

«ثمة احتمالان لاغير لظهور الحياة، الأوّل: التولّد الذاتي الذي يظهر في التطور، والثاني: فعل الله الخالق.

والتولّد الذاتي للحياة من مادة غير حيّة رُفِضَ علمياً منذ 120 سنة من قِبَل لويس باستور وآخرين، فلم يبق أمامنا إلا الاحتمال الثاني وهو أنّ الحياة ظهرت بفعل خالق.

ولن أقبلَ بذلك فلسفياً لأنني لا أريد أن أؤمن بالله. لذلك أختار الإيمان بما أعتقد أنه مستحيل علمياً، وهو ظهور الحياة بفعل التولّد الذاتي. وأغلب علماء الأحياء المحدثين لا يقرّون بافتراضات التولّد الذاتي، ومع ذلك لا يقبلون الإيمان بالخلق الخاص بديلاً عنها».

ويقول عالم الأحياء الكبير البروفيسور د. م. واتسون D.M.Watson:

«لم تقبل نظرية التطوّر لقوة براهينها أو لترابطها المنطقيّ، بل لأن البديل الوحيد عنها هو القول بالخلق الخاص، وذلك ما لا يمكن تصديقه». ويقول أستاذ علم الحيوان والجينات السويدي الدكتور نيلس هربرت نيلسون Nils Heribert Nilsson:

«لقد أخفقت محاولاتي التي استغرقت أكثر من أربعين سنة لإثبات التطور، ولم يكن حتى بالإمكان أن نرسم صورة كاريكاتورية للتطوّر بمنأى عن الوقائع البيولوجية.. وفكرة التطوّر تقوم على الإيمان المحض لا العلم ».

ويقول أستاذ الطاقة الذريّة د. نيوتن تاميسيان Newton Tahmisian:

«إن العلماء الذين يدرّسون التطوّر باعتباره حقيقة الحياة هم رجال ثقات، والقصة التي يتحدثون عنها قد تكون أكبر خديعة Greatest hoax عُرِفت. وفي تفسير التطوّر ليس لدينا مقدار ذرّة من الحقيقة».



السير آرثر كيث

ويقول أحد أشهر حماة الداروينية السير آرثر كيث

د. جورج والد George Wald (ت 1997) أحد أشهر التطوريين المعاصرين الأمريكيين. حائز على جائزة نوبل سنة 1967 بالمشاركة مع آخرين، وعضو بالأكاديمية الوطنية للعلوم، والجمعية الفلسفية الأمريكية للفنون والعلوم، والرابطة الأمريكية لتقدم العلوم، والجمعية الأمريكية للكيمياء.

(Arthur Keith 1866 ـ 1955) وهو عالم تشريح، وعالم انثروبولوجي اسكوتلندي، وله عدد من المؤلفات منها: نظرية جديدة في التطوّر البشري وآثار الإنسان القديمة A New Theory of Human Evolution. Antiquity of Man :

«التطور لم يثبت، وهو غير قابل للإثبات والبرهنة. ونحن نؤمن به فقط لأنّ البديل الوحيد عنه هو الخلق الخاص، وذلك شيء غير قابل للتفكير».

يقول هيرالد ديلبك Herald Dilbeck في بحث له منشور في Firm Foundation بتاريخ 5/ 12/ 1978 تحت عنوان (تطوّر إيماني أم إلحاد ؟):

«الحقيقة الثابتة هي أنّ نظرية التطوّر أدت إلى الإلحاد أو إلى اللاأدرية agnosticism في حياة أولئك العلماء الذين قبلوها. وقبل بضع سنوات قام جيمس هـ . لوبا James H. Leuba بإرسال مجموعة إستبانات Questionnaires إلى مجموعات ينتمي إليها علماء بارزون في أمريكا، سألهم فيها سؤالين. الأول: هل يؤمن العالِمُ بربّ يصلي إليه طلباً لسؤله ؟ ، والثاني: هل يؤمن العالِمُ بالخلود أي «باستمرار الشخص بعد الموت في عالم آخر» ؟. لقد أظهرت النتائج أنّ الغالبية العظمى من العلماء المتميّزين يرون استحالة الجمع بين الإيمان بالله والقول بالتطوّر. فجميع الملاحدة واللاأدريين من بين أولئك العلماء يؤمنون بالتطوّر، وذلك يجعل الإيمان بالله مستحيلاً». ويستطرد الكاتب قائلاً:

«إنّ الخطوة الأولى لإيجاد ملاحدة تكون بجعلهم تطوريين، وأنّ نظرية التطور الميكانيكية هي حجر الزاوية في الإلحاد».

والاستبانات التي قام بإعدادها الدكتور لوبا كانت موجّهة لصنفين من العلماء: نفسانيين، وانثروبولوجيين، يقومون بتدريس مادتي علم النفس والانثروبولوجيا في كليّاتهم وجامعاتهم.

وقد أسفرت نتيجة بحثه عن أنّ 90٪ من علماء النفس ملاحدة، وأن 75٪ من علماء الاجتماع هم إما ملاحدة أو لا أدريين.


وليام بروفين

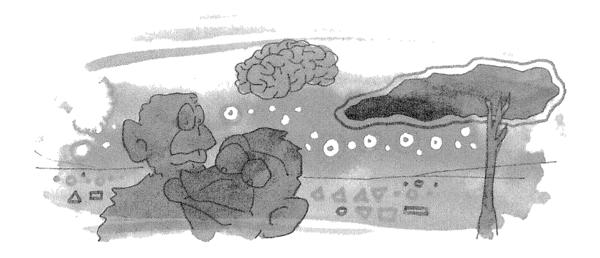
ويعترف أحد ملاحدة التطور وهو باحث أمريكي في تاريخ العلوم ولا سيما عالم الأحياء التطوري يُدعى وليام ب بروفين William B. Provine: «التطوّر أعظم آلة اخترعت للإلحاد حتى الآن» Evolution is the greatest engine of atheism ever invented.

وفي مقالة بعنوان (التطور ديانة وليس علماً) كتب عالم الجيولوجيا الدكتور هنري موريس Henry M. Morris مؤسس ورئيس معهد بحوث الخلق في مجلة Impact في فبراير 2001:


هنري موريس

«لا توجد هناك تحولات تطوريّة لوحظت لا في التاريخ الإنساني، ولا في سجل حفريات الماضي. وقانون الأنتروبي (أحد قوانين الديناميكا الحرارية) يذهب إلى استحالة حدوث ذلك على أيّ مقياس من المقاييس.

ويزعم التطوريون أن التطوّر حقيقة علميّة، ولكنهم دائما يخسرون في المناظرات العلمية مع العلماء القائلين بالخلق. وبناءً على ذلك فإن أغلب علماء التطوّر الآن يرفضون المناظرة العلميّة، ويفضّلون بدلاً من ذلك مهاجمة أنصار نظرية الخلق. وهم يرفضون المناظرة الرسمية لأنها في نظرهم تضرّ



أكثر مما تنفع، ولكنهم مع ذلك لا يجدون مفراً من مواجهة رسالة أنصار الخلق. والسؤال الذي ينبغي أن يُثار، هو: لماذا يحتاج التطوريون إلى مواجهة رسالة الخلق ؟ ولماذا يُعادون نظرية الخلق ؟. إن أنصار نظرية التطور يؤمنون في الواقع بالتطور، لأنهم يريدون ذلك. إنها رغبتهم التي تدفعهم لتفسير أصل كلّ شيء بعيداً عن الخالق. فمذهب التطوّر إذاً دينٌ إلحادي، وربما يفضّل بعضهم أن يسميه المذهبَ الإنسانيَّ (هيومانيزم)، وأن أنصار التطور في العصر الحديث قد يضعونه في سياق وحدة الوجود. وسواء أكان مذهب التطوّر إلحاداً أم مذهباً إنسانياً، أو حتى وحدة وجود، فإن القصد منه رفض أي دور مؤثّر للخالق في أصل الكون وجميع مكوناته بما فيهم الإنسان. إنّ جوهرَ الفلسفة الإنسانيّة هو المذهب الطبيعيّ، الذي يفترض أنّ العالم الطبيعيّ يتقدم وفقاً للديناميكا الداخلية الكامنة فيه دون تحكّم إلهي، أو سيطرة قوى ما وراء الطبيعة ، أو توجيه، وأننا نحن البشر مخلوقات لتلك العمليّة. وحيث إنّ المذهبَ الطبيعيَّ والمذهبَ الإنسانيَّ يستثنيان كلاهما الربَّ الخالقَ من العلم أو أيّ وظيفة فعّالة أخرى في الخلق. ومن الواضح جداً أنّ كلّ ذلك لا يعني شيئاً إلا الإلحاد، وما الإلحادُ إلا نوعٌ من الدين».

وقد عبّر عن هذا الإلحاد أحد أساتذة علم الأحياء بجامعة ولاية كانساس بقوله:

«حتى لو أشارت كلّ الدلائل على وجود مصمّم ذكيّ - فإنّ هذا الافتراض يخرج عن دائرة العلم لأنه ليس طبيعيّا». ومعروفٌ تماماً في دنيا العلم اليوم أنّ أولئك التّطوريين الفعالين أمثال: ستيفن جاى جولد Steven Jay Gould وإدوارد ويلسون Edward Wilson وكليهما من جامعة هارفارد، وريتشارد داوكينس Richard Dawkins من إنجلترا، ووليام بروفين William Provine من كورنل Cornell وآخرين غيرهم هم ملاحدةٌ دوغمائيون. وقد اعترف الفيلسوف العالم الداروينى الملحد المتقد حماساً للداروينية مايكل روس Michael Ruse في مقالته (حماية الداروينية من الداروينيين) المنشورة في الناشيونال بوست (مايو 2000) بأن التطوّر هو دينهم».

والتصريح بالإلحاد في نظرية التطوّر والدفاع عنه باستماتة نجده واضحاً في مؤلفات أحد أنصار الداروينية، وهو المدعو ريتشارد داوكينس Richard Dawkins الذي سنتكلّم عنه وعن آرائه المتطرفة المعادية للدين عند الحديث عن أعلام الداروينية الحديثة.

قوانين التطور عند داروين

اعتمد تشارلز داروين في نظريته في التطور لتفسير أصل الأنواع على أربعة قوانين:

- ❖ قانون (البقاء للأصلح) Survival of the fittest أو التنازع من أجل البقاء Struggle for survival.
- ❖ قانون الانتخاب (الاصطفاء) الطبيعيّ Natural Selection.
- ❖ قانون (المطابقة) التكيّف Adaptation.
- ❖ وقوانين الوراثة Inheritance.

فالقانون الأوّل، وصاحبه هربرت سبنسر، تبناه داروين في كتابه: أصل الأنواع، وحوّره الأيديولوجيون إلى (البقاء للأقوى) وليس للأصلح، مع توظيفه السياسي لتبرير الحروب وقتل الشعوب الضعيفة ونهب ثرواتها لأنها الأضعف، والقانون الثاني هو المبدأ الذي يُفسّر عملية التطوّر في رأي أنصار التطورية التركيبية، وهو يشكّل مع الطفرة الاعتباطية الميكانيزم الوحيد والوحيد فقط الذي يفسّر عملية التطوّر. والقانونان الأول والثاني كلاهما يفسران انقراض بعض الأنواع وتولّد أنواع جديدة بحسب رأي داروين، وأنّ الكائنات الحيّة في تنازع مستمرّ. وقد تطوّر مفهوم الاصطفاء الطبيعي، عند بعض التطوريين مثل ماير وسمبسون، إلى مرادف آخر هو إعادة الإنتاج التفاضلي Differential reproduction. ويظل مفهوم الاصطفاء الطبيعيّ مشوّشاً ومجرد تخمين غير قابل للإثبات تجريبياً. وقانون المطابقة أو الملاءمة، أو التكيّف ملخّصه أن الكائنات الحيّة تتوافق مع البيئة التي تعيش فيها، فالأسد مثلاً حيوانٌ مفترس له أنياب حادّة وبراثن قويّة يمزّق بها فريسته لأنه من أكلة اللحوم، ولو وَجَدَ الأسد نفسه في بيئة لا تشبعُ حاجته من اللحوم فليس أمامه إلا الموت والانقراض أو التكيّف مع البيئة الجديدة فيتحوّل إلى حيوان نباتيّ. وبذا تختفي براثنه وتتحوّل إلى حوافر، وأنيابه الحادّة إلى أضراس لطحن الأوراق والبذور.

وقوانين الوراثة، وهو أضعف حجج داروين، يراد به توريث الصفات المكتسبة Inheritance of acquired characteristics كما روّج له لامارك، وهو ما رفضه آلفرد رسل والاس نفسه وهو شريك داروين في النظرية.

وهذه النواميس التطوريّة الأربعة لم تكف لتفسير التطور، فجهد أنصارها من المحدثين في البحث عن أدلّة تؤيدها، وبذلك ظهر ما يُعرف بالداروينية المحدثة.

النيو داروينيزم والداروينيون الجدد

ظلت نظرية التطور تعرف باسم الداروينية لفترة من الزمن، تعرّضت خلالها لانتقادات عنيفة من خصومها، أنصار نظرية الخلق. ولأن أدلة التطور التي ساقها داروين كانت أدلة وصفية ضعيفة لا يمكن أن توصف بالعلمية، تهاوت تحت مطارق النقد العلمي التي وجهها إليها علماء وليسوا رجال لاهوت. كان من السهل على الداروينيين أن ينعتوا خصومهم بأنهم ميتافيزيقيون (غيبيون) بعيدون عن منطق الكشف

العلمي. ولكن خاب ظنهم لأن السواد الأعظم من خصوم النظرية كانوا فيزيائيين، وكيميائيين، وأحيائيين، وجيولوجيين، ورياضيين، وفلكيين.

بعد ذلك، ظهرت جماعة من العلماء، عُرِفت بالداروينية الحديثة Neo-Darwinism تسلّحت بأدوات علمية حديثة للدفاع عن نظرية التطوّر.

حاولت الداروينية الحديثة أن تثبت صحة قوانين التطور: الانتخاب الطبيعي، البقاء للأصلح، المطابقة، الوراثة. ثم انتهت إلى القول بالمصادفة Chance تارة، وبالضرورة Necessity تارة ثانية، وبالقول بهما معاً تارة أخرى. وكان الداروينيون الجدد يهللون كلما تم اكتشاف حفريات قديمة، حجرية أو هياكل عظمية تعود إلى حقب ما قبل التاريخ ظناً منهم أنها قد تؤيد نظرية التطوّر. وتحمل الداروينية الجديدة في المحافل العلمية أسماء أخرى، فهي: التركيب التطوري الحديث Modern Evolutionary Synthesis، والتركيب الدارويني الحديث Neo-Darwinian Synthesis. والداروينية الحديثة، عموماً، تقوم على تكامل بين نظرية داروين في تطوّر الأنواع بالاصطفاء الطبيعي، ونظرية جورج مندل في الجينات الوراثية باعتبارها أساساً للوراثة البيولوجية، والطفرة الجينية الاعتباطية random genetic mutation باعتبارها مصدراً للتنوّع. وتعود صياغة مصطلح الداروينية الحديثة إلى جورج جون رومانس George John Romanes.

ولم تقف التسمية عند الداروينية الحديثة، والتركيبية الداروينية، بل تعدتها إلى أسماء ومصطلحات بدأت تعجّ بها مصنفات التطوريين في العقود الأخيرة، لتفسير للدفاع عن نظرية التطور، مثل: الانتقال الجيني الأفقي Horizontal gene transfer ويعرف أيضاً بالنموذج (باراديم) الجديد لعلم الأحياء New Paradigm for Biology.

معضلة التخمين والحدس في نظرية التطور

مسألة الحدس والتخمين A Matter of Conjecture هو عنوان الفصل الثاني من كتاب (حقائق الحياة: تشتت أساطير الداروينية The Facts of Life: Shattering the Myths of Darwinism لريتشارد ميلتون Richard Milton . وهذه المعضلة هي ما توصف به نظرية التطور بسبب عجز علمائها عن إقامة الأدلّة القطعية على صحتها.


هارولد يوري

ونجد ذلك على أشدّه في مزاعم باحثين تطوريين كبيرين هما هارولد يوري Harold Urey وتلميذه ستانلي ميللر Stanley Miller اللذان قاما ببعض التجارب المعملية وادعيا أنهما عرفا سرّ تولّد الحياة في الكائنات الحية.

وتجارب يوري . ميللر شاعت في الأوساط العلمية وكأنها من المسلمات التي لا تقبل النقض. وذلك ما جعل باحثاً مثل جوناثان ويلز Jonathan Wells يعدّها الأيقونة الأولى في كتابه المشهور (أيقونات التطوّر) Icons of Evolution. والمقصود بأيقونات التطور الجوانب المقدّسة في نظرية التطوّر التي لا تقبل الجدل عند أنصارها، فصارت كأنها أصنام يتعبدها الداروينيون الجدد. يزعم هارولد يوري وستانلي ميللر من جامعة شيكاغو في سنة 1953 أن الحياة تنشأ من خطوات ثلاث.

الأولى: أن تقوم المواد الكيماويّة الخاملة في البحر بتكوين الحامض الأمينيّ، وربما تحت تأثير الأشعة فوق البنفسجيّة، أو التفريغ الكهربائي في صورة برق.



غلاف كتاب
أيقونات التطور

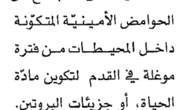
الثانية: أن تتجمع كل الحوامض الأمينيّة المتكوّنة داخل المحيطات من فترة موغلة في القدم لتكوين مادّة الحياة، أو جزيئات البروتين.

وهذه الجزيئات المعقّدة هي التي تُكوّن الحياة النباتيّة والحيوانيّة. وبالرغم من الجهل بالآليّة التي يتمّ خلالها هذا الأمر، وأنها لم تفسَّر داخل المعامل، إلا أنه ليس من المستحيل أن يتحقّقَ ذلك في زمنٍ كافٍ.

الثالثة: تبتدئ بحدوث التحوّل، ونموّ جميع الأشكال على أساس البروتين من البكتيريا إلى بيتهوفن(١).

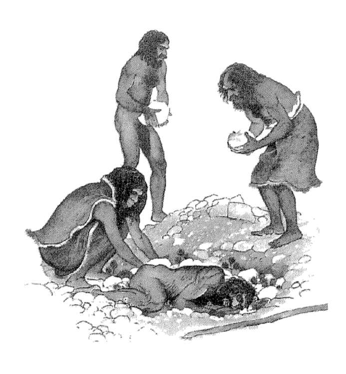
والخطوتان الأولى والثانية، في منطق يوري - ستانلي، لا يستحيل عقلاً تصورهما ، ولكن، من وجهة نظر داروينيّة، يكون عدم حدوثهما أمراً مثيراً. وكأن هذا القول يعني لزوم حدوثهما. ولأن منهج علماء التطوّر يقوم على الطريقة العلمية (التجريبية) لا العقلية، فإنهم لا يفرّقون بين الممكن، والجائز، والمستحيل. وكأن هذه المستويات الثلاثة على درجة واحدة.


ستانلي ميللر



وبالرغم من أنّ الخطوة الثانية، وهي التولّد الذاتي لجزيئات البروتين، مجرد عمليّة غامضة، أشبه بالتصور الميتافيزيقي (الغيبي) الذي ينكرونه على عملية الخلق بواسطة خالق حكيم مُدبّر، وهم بذلك يقعون في الفخّ نفسه الذي يأخذونه على خصومهم، إلا أنه من ناحية نظرية من الممكن أن نختبر كم من الزمن تحتاج عملية التولّد تلك لتحدث بواسطة المصادفة.

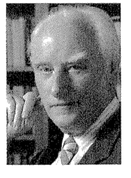
وبحسب تعَقّد هذه الجزيئات وحجمها، قام البروفيسور موري إيدن Murray Eden أستاذ الهندسة الكهربائية بحساب الزمن اللازم لحدوث أبسط تركيب بواسطة المصادفة فوجده نحو 1,000 مليون سنة. (بحث قدّمه إيدن لمؤتمر نظّمه معهد ماساشوستس للتكنولوجيا سنة 1967 تحت عنوان: عدم ملاءمة بُعْد النظريّة الداروينيّة الحديثة في التطوّر عن كونها نظرية علميّة). ولم يزعم أحد أنّ عمر الكائن الحيّ (وهو عمر افتراضي) يصل إلى ألف مليون سنة. فإذا كان عمر الأرض الافتراضي 4600 مليون سنة، وكان أوّل ظهور (افتراضي) للقرود الشبيهة بالإنسان Apes في العصر الجيولوجي المايوسين Miocene الذي يمتدّ من 36 إلى 11 مليون سنة مضت. وقد ظهرت أشكال متقدّمة من الكائن القردي في عصر البلايوسين Pliocene الذي امتدّ من 11 مليون سنة إلى مليون سنة. ولو أوغلنا في التاريخ الجيولوجي السحيق نجد أنّ أول الحقب الجيولوجيّة بعد أن أخذت حرارة الأرض تبرد، وتتكوّن القشرة الأرضية هي حقبة الباليوزويك Paleozoic التي بدأت منذ 520 مليون سنة وهي الحقبة التي بدأت تتكوّن فيها البحار والمحيطات. وبناءً على حسابات إيدن موري فإن الحياة لا يمكن أن تكون ظهرت على الأرض في أبسط



صورها، وهو جزيئ بروتيني واحد، قبل ألف مليون سنة خلافاً لرأي ستانلي ميللر وهيرالد يوري الذي لا يعدو كونه ضرباً من الحدس والتخمين اللذين لا يعدّان من مناهج البحث العلمي.

وهذا البحث الذي هلل له الداروينيون ووجه بسؤال من خصومه عجزوا عن الإجابة عنه، فتطوّع أحدهم بالجواب، وهو البروفيسور فرانسيس كريك Francis Crick، وإن كان جوابه لا يخرج أيضاً عن الحدس والتخمين كما هي عادة التطوريين كلما ضاقت بهم السُّبل.

يزعم كيرك وهو أستاذ أمريكي بجامعة واشنطن في بحث له سنة 1966 تحت عنوان (الجزيئات والبشر) أنّ الظروف التي نشأت فيها الحياة قديماً داخل المحيطات قد تغيّرت في زمننا هذا.



فرانسيس كريك

داروينيون جدد يعترفون بتصدّع الداروينية

❖ يقول د. روبرت ميليكان Robert Milikan، وهو عالم فيزيائي متحصّل على جائزة نوبل، في خطبة ألقاها أمام الجمعية الكيميائية الأمريكية: «الشيء المثير للشفقة في نظرية التطوّر هو أنّ العديد من العلماء يحاولون إثبات مذهب التطوّر، وليس ثمة علم استطاع أن يحقق ذلك».

❖ يقول د. كولين باترسون Colin Patterson، وهو أحد علماء التطور وكبير علماء الإحاثة (الحجريات التاريخية) في المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعيّ: «التفسير الوحيد للنظام الذي نبصره في العالم البيولوجي هو مذهب الخلق»

❖ يقول د. إدوين كونكلين Edwin Conklin، العالم التطوري وأستاذ البيولوجيا في جامعة برينستون: «احتمال نشأة الحياة بالمصادفة يشبه احتمال تكوّن قاموس من انفجارٍ في مطبعة».

❖ يقول أستاذ التشريح البشري والفسيولوجيا راندي ويسونج Randy Wysong في كتاب (النزاع بين الخلق والتطور ص 418): «التطور يمكن أن يُنظر إليه كدين سحري. والسحر بكل بساطة تأثير بلا علّة، أو على الأقل علة كافية، فالمصادفة، والزمن، والطبيعة، آلهة صغيرة مقدسة محفوظة في معابد التطور. وهذه الآلهة غير قادرة على تفسير أصل الحياة. ولذلك فإن التطور متروك بلا علّة كافية، وهو لذلك تفسير سحري لوجود الحياة».

❖ يقول البروفيسور آلبرت فلايشمان Albert Fleishman أستاذ علم الحيوان والتشريح المقارن بجامعة إيرلانجن Erlangen University: «ليس للنظرية الداروينية في تحدّر الإنسان دليل يثبتها في عالم الطبيعة. فهي ليست نتيجة بحث علميّ، ولكنها نتاج لخيال محض»

❖ يقول د. مايكل دنتون Michel Denton أستاذ الكيمياء الحيوية في كتابه (التطور: نظرية في أزمة): «نظرية التطور أكبر خرافة كونية في القرن العشرين».

❖ يقول الدكتور دافيد بيرلينسكي David Berlinsky: «نظرية داروين في التطوّر هي آخر أديان القرن التاسع عشر الأسطورية. ولنقل إنها تلحق بالفرويدية والماركسية في المستويات الدنيا. وإنني لعلى يقين من أن فرويد، وماركس، وداروين يواسي أحدهم الآخر في قعر زنزانة مظلمة حيث تتجمع الآلهة المنبوذة.».

❖ يقول عالم الأجنة د. سورين لوثريب السويدي Luthrip Sorren: «أعتقد أن الأسطورة الداروينية سوف تذكر ذات يوم بأنها أكبر خديعة في تاريخ العلم. وعندما يحدث هذا سيتساءل كثير من الناس: كيف وقع هذا حقاً».

❖ يقول د. تومبسون W.R.Thompson عالم الحشرات الشهير: «لقد تمّ نجاح الداروينية بفعل التدني في الأمانة العلمية»

❖ يقول مؤلف كتاب (أيقونات التطور Icons of Evolution) جوناثان ويلز Jonathan Wells:

أعتقد أن نظرية داروين في التطوّر ستختفي من المناهج التعليمية في غضون خمسين عاماً، وأظن أن الناس سيعيدون النظر فيها، وسيتساءلون كيف صدقها الكثيرون، مع أنها غيرقابلة للتصديق» .

❖ يقول عالم الحفريات ونصير التطور دانيال إي. ليبرمان Daniel E. Lieberman، من قسم الأنثروبولوجيا بجامعة هارفارد بخصوص الحديث عن الكينيانثروباس بلاتيوبس في مقالة نشرها في مجلة الطبيعة Nature: «إن التاريخ التطوري للبشر معقد وغير محسوم. وهو الآن كما يبدو يوشك أن يقع في مزيد من الفوضى بسبب اكتشاف نوع وجنس آخرين، يرجع تاريخهما إلى 3,5 مليون سنة ماضية... وتثير طبيعة الكينيانثروباس بلاتيوبس تساؤلات كثيرة حول تطور البشر عموماً وسلوك هذا النوع خصوصاً. لماذا؟ على سبيل المثال، يجمع هذا النوع بشكل غير اعتيادي بين أسنان الوجنة الصغيرة والوجه المفلطح الكبير الذي يوجد فيه قوس عظام الوجنة في الناحية الأمامية؟ فكل أنواع الهومينين (hominin species) الأخرى المعروفة التي تتميز بأوجه كبيرة وعظام وجنة في مواضع مشابهة لديها أسنان كبيرة. أنا أظن أن الدور الرئيسي للكينيانثروباس بلاتيوبس خلال السنوات القليلة القادمة هو أن يكون بمثابة هادم اللذات، لأنه يؤكد على الفوضى التي تواجه البحث في العلاقات التطورية بين أنواع الهومينين».

مكعب الجنون

بطلان قانون المصادفة

أخفق التطوريون في تفسير الميكانيزم الذي يعمل به الانتخاب الطبيعي، وهو ما يعترف به أغلب علماء التطوّر، وذلك ما يجعل هذا الناموس موضع إشكال عند العلماء. وللخروج من هذا المأزق لم يجدوا إلا القول بالمصادفة Chance.

كلّ شيء حدث في زمن موغل في القدم. الكون جاء مصادفة، والحياة وُجدت على الأرض مصادفة، ثم أخذت تتطوّر من خليّة حيّة أوّليّة التركيب إلى كائنات حيّة أكبر معقّدة. هكذا يزعم أنصار نظرية التطوّر هروباً من القول بوجود صانع مدبّر حكيم وراء الموجودات.

والطريف أن التطوريين يقولون بالمصادفة ويصرّون على القول بها مع أنها أوهى من خيوط العنكبوت .

وقد صرّح مؤرخ العلوم الأمريكي، وقد مرّ ذكره آنفاً، هنري فيرفيلد أوزبورن Henry Fairfield Osborn، والمهتم بتأريخ البيولوجيا التطورية وهو أحد الملاحدة المناوئين لنظرية التصميم الذكيّ، في كتابه أصل الحياة وتطورها The Origin and Evolution of Life ، قائلاً: «المصادفة جوهر التطوّر الحقيقي».

لقد برهنت نظرية الاحتمالات Probability في الرياضيات على بطلان القول بالمصادفة في مسألة وجود الإنسان. والعجيب مع كلّ البراهين الرياضية على بطلان المصادفة تجد من التطوريين من يركن إليها لتفسير خلق الإنسان. إنَّ زعمَ أنصار التطوّر أنّ الحياة وُجدت مصادفةً لا يزعمه حتى طفل صغير تعوّد اللعب بمكعّب الجنون Crazy cube ذلك المكعب الذي ارتبط في عالم الرياضيات بأشق مسائل الاحتمالات في أواخر السبعينيات من القرن العشرين.

ومع ذلك يزعم الفيزيائي William Bennett في بحثه المنشور بمجلة American Scientist سنة 1977 مجلد رقم 65 الذي يحمل عنواناً هو How Artificial is Intelligence? أنّه لو وُضِعَ عددٌ كافٍ من القرود أمام آلاتٍ طابعة لوقتٍ كافٍ لكتبوا أحسن المصنفات الأدبية».

هذا الهراء استخفّ به العلماء وَعَدُّوه مبعث سخرية.

كتب أحد العلماء بحثاً طريفاً في هدم القول بالمصادفة في منتدى The Famous Brett Watson بتاريخ 13/12/1995 بعنوان: (الرياضيات والقردة وشيكسبير. أو قرد يطالب بحقوق النشر في تأليف مسرحية هاملت لشيكسبير).

جاء في هذا البحث ردّاً على مزاعم وليام بينيت:

«لا أعرف مَنْ هو أولُ مَنْ تحدّث عن إمكانية أن يطبعَ القرود بشكل عشوائي على آلات طابعة مسرحية (هاملت) لشكسبير بمحض المصادفة، وأن ذلك ممكن الحدوث بشرط أن يتوفر الوقت الكافي، والعدد الكافي من القرود. وهذا الكلام من ناحية جدلية صحيح: فمنح وقتٍ كافٍ، وعدد كافٍ من القرود، يمكن إنتاج مسرحية (هاملت). وفي الواقع أن ما يبدو ممكناً من ناحية حدسية افتراضية، هو نفسه المعضلة الأكبر، لأن ذلك يعني أنّ الناس لا يعبأون عموماً بفحص الأرقام الدقيقة. هذا هو العار !! إنها أحد مجالات التخمين النادرة التي يمكن حساب أرقامها.

لنتخيّل آلة كاتبة من النوع البسيط تحتوي على 26 مفتاحاً (من المفاتيح العلوية)، و5 مفاتيح لعلامات الترقيم، ومفتاح واحد للمسافة (الفراغ بين الكلمة والتي تليها)، فيكون مجموع المفاتيح 32 مفتاحاً. ولا يوجد بها ذراع يدوي لنقل الحركة من نهاية السطر إلى أوّل السطر الذي يليه وإنما تقوم بذلك آلياً. وبافتراض أنّ الآلة الطابعة المذكورة مزودة بحزمة لا نهائية من الورق للطباعة عليها، وأن لدينا قرداً يعرف كيف يضغط على المفاتيح، وأنه يقوم بذلك بشكل عشوائي. ففي هذه التجربة (المفترضة) يكون لدينا قليل من الآلية، ولكن من غير ذكاء حقيقي في النظام. نحن نريد من هذا القرد أن يطبع هذه العبارة المشهورة فقط من مسرحية هاملت لشكسبير:

(تكون أو لا تكون، تلك هي المسألة)

"TO BE OR NOT TO BE, THAT IS THE QUESTION"

فاحتمال حدوث هذا يسهل معرفته بالحساب، وهذا بدوره سوف يعطينا فكرة عن عدد القردة والآلات الطابعة اللازمة لتحقيق فرصة معقولة للنجاح. والآن ضع رهاناتك، فقرودنا يطبعون بسرعة، ويمكن أن يطبعوا العدد المطلوب من العلامات في ثانية مستقلة. (هناك 41 ضربة مفتاح وهي عدد أحرف جملة شيكسبير بما فيها الفضاءات بين الكلمات وعلامتا التنصيص (")). ففي المتوسط، كم يستغرق ذلك من الوقت قبل أن تنجح قرودنا في إنتاج سطر ينطبق على الجملة المطلوب طبعها؟ هناك 32 مفتاحاً، ولذلك فإن فرص قردنا في الحصول بنجاح على المفتاح الأول هي واحد في 32. وإذا نجح في الحرف الأول (T)، فإنه يحتاج إلى النجاح في الحرف الثاني (O)، ثم الثالث (B)، وهكذا حتى ينجح في كتابة عبارة شيكسبير الشهيرة. وتكون فرص تحقيق ذلك على النحو الآتي:

المفاتيح	الفرص (1× ...)
1	32
2	1024 = 32 × 32
3	32768 = 32 × 32 × 32
4	1048576 = 32 × 32 × 32 × 32
5	33554432 = 5 ^ 2
6	1073741824 = 6 ^ 2
7	34359738368 = 7 ^ 2
8	1099511627776 = 8 ^ 2
..	...
..	...
20	1 ,2676506002888e +030 = 20 ^ 32
..	...
204	1 ,123558209289e +307 =204 ^ 32

وبذا تتناقص الفرص إلى أرقام تعجز عن عدّها الآلات الحاسبة العادية، ولو حوّلت هذه الأرقام إلى زمن فإن هذه الفرص المحتملة تحتاج إلى وقت لا يصدّقه العقل».

ويخلص البحث في النهاية إلى استحالة أن يطبع القرد عبارة شيكسبير فضلاً عن أن ينجح بالمصادفة في طبع مسرحية (هاملت كاملة). وإذا كان هذا الحال مع عبارة واحدة من مسرحية واحدة كتبها وليام شيكسبير، فكيف يُعقل أن مؤلّف المسرحية نفسه جاء إلى هذا العالم مصادفة وليس بفعل خالق ؟

ويختم الباحث دراسته الرياضية بقوله: «المعلومات نتاج للذكاء، وليس المصادفة».

ولم تتوقف الدراسات والبحوث في البرهان على بطلان القول بالمصادفة في حدوث الخلق.

يقول الدكتور جيمس كوبيج James Coppege: «إن احتمال تكوّن جزيء واحد من البروتين بفعل المصادفة هو 1×10 أس 161. واحتمال تكوّن 239 جزيئاً بروتينياً وهو الحدّ الأدنى المطلوب لوجود أصغر حياة من الناحية النظرية يبلغ 1×10 أس 119879». (عن كتاب The Farce of Evolution p. 71). وهذه أرقام خيالية بلا ريب.

يقول عالم الرياضيات والفلك الإنجليزي الشهير السير فرِد هويل Sir. Fred Hoyle:

«إن القول بأن أعلى أشكال الحياة تكوّن بفعل المصادفة من خلال عمليات تطوريّة كالقول بأن إعصاراً عصف بغابة وصنع من المواد المتناثرة طائرة بوينج 747».

ويقول البروفيسور إميل بوريل Emile Borel مكتشف قوانين الاحتمالات:

«إذا تجاوز حدوث أي واقعة بفعل المصادفة واحداً في عشرة متبوعاً بخمسين صفراً فإن حدوثها يكون مستحيلاً».

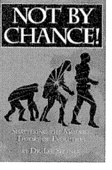
ويقول عالم التطوّر وأستاذ البيولوجيا في جامعة برنستون إدوين كونكلين Edwin Conklin:

«إن احتمال تولّد الحياة بالمصادفة كاحتمال تكوّن قاموس متكامل من انفجار في مطبعة».

ولم يقف القول بالمصادفة عند حدود وجود الإنسان، بل ذهب التطوريون إلى أنّ لون أدمة البشر جاء أيضاً بفعل المصادفة. ولذلك تهكّم أحد المناوئين للتطور، وهو ريتشارد ميلتون، قائلاً: «كيف نصدّق أنّ السود اسودّوا بالمصادفة ؟ وأي نوع من المصادفة تلك؟ ولماذا لا نرى هذه المصادفة تحدث اليوم؟ لماذا لا يرينا سجلّ الحفريات حدوث هذه المصادفات في الماضي؟ إنّ هذا السيل من الأسئلة لو تدفّق لن تعرف متى يتوقّف».

لقد انبرى عدد كبير من علماء الرياضيات للرد على مزاعم التطوريين في مسألة وجود الكون والإنسان بمحض المصادفة.

ومن أشهر المؤلفات المخصّصة للرد على القائلين بالمصادفة كتاب الدكتور لي سبتنر Lee Spetner ليس بالمصادفة Not by Chance.



غلاف كتاب
ليس بالمصادفة

من أعلام مدرسة التطور الحديثة

إرنست والتر ماير Ernst Walter Mayer


إرنست ماير

إرنست ماير (داروين القرن العشرين) كما يُطلق عليه، استاذ علم الأحياء التطوري بجامعة هارفارد لمدة نصف قرن. ولد سنة 1904 في المانيا بمدينة درسدن Dresden وتوفي سنة 2005 في بدفورد Bedford بالولايات المتحدة. وبذلك يكون عمّر قرناً من الزمن.

تحصّل في أوّل حياته العلميّة في سنة 1925 على درجة في الطبّ من جامعة جرايفزفالد Greifswald. تحوّل من دراسة الطب إلى دراسة علم الحيوان، وتحصّل على درجة الدكتوراه في هذا العلم من جامعة برلين بعد ستة عشر شهراً فقط من حصوله على شهادة الطب.

في سنة 1927، وفي مؤتمر علم الحيوان الدولي المنعقد في بودابست، التقى مع والتر روتشيلد Walter Rothschild الذي كان يبحث عمن يسافر إلى نيو غويانا لجمع طيور الجنّة. فوقع الاختيار على إرنست ماير للقيام بالمهمة.

فأمضى ماير في المهمة سنتين ونصف. وفي هذه الرحلة قام بجمع معلومات كثيرة عن تجمعات الطيور، وحَسِبَ أنه بذلك أتم ما لم يفلح فيه داروين، وصنّف في ذلك كتابه التنظيمات المنهجيّة وأصل الأنواع Systematics and Origin of Species وقد كتب ماير أكثر من عشرين مصنّفاً، تأليفاً ومشاركةً، منها: الأنواع الحيوانية والتطوّر . في سنة 1953 عمل أستاذاً في علم الحيوان بجامعة هارفارد، وترأس متحف هارفارد لعلم الحيوان المقارن من سنة 1960 إلى سنة 1970.



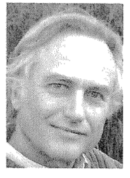
غلاف كتاب التنظيمات وأصل الأنواع

وفي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، وكان وقتها أميناً للمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعيّ، صيّرته أعماله وبشكلٍ سريع الشخصية المركزية في الداروينية الحديثة التركيبية، فضلاً عن دوره في بعث البيولوجيا التطوريّة باعتبارها أهم التطورات العلميّة في القرن العشرين. وهو الذي جعل أصل تشتت الأنواع المسألة المركزيّة في البيولوجيا التطوريّة اليوم.

وفي مقابلةٍ معه بجريدة هارفارد الرسمية Harvard Gazette في سنة 1991 يقول: «أنا أقدم محارب من أجل الداروينية». تحصّل ماير على عدد كبير من الجوائز، منها: القلادة الوطنية للعلوم، والجائزة العالمية للبيولوجيا. ومن أشهر بحوثه في التطور:

التطور وتنوّع الحياة Evolution and Diversity of Life، ونموّ الفكر البيولوجي The Growth of Biological Thought، ونحو فلسفة جديدة للبيولوجيا Toward a New Phylosophy of Biology، وكتابه ما هو التطوّر؟ What is Evolution.

ريتشارد داوكينس Richard Dawkins
أعتى ملاحدة الداروينية


ريتشارد داوكينس

وُلِد ريتشارد داوكينس العالم بسلوك الحيوان Ethologist في نيروبي بكينيا سنة 1941 حيث كان والده يعمل مزارعاً، وجندياً سابقاً في وقت الحرب. انتقل برفقة والديه إلى انجلترا وهو في الثامنة من عمره. درس علم الحيوان بكلية باليول Balliol College في مدينة أكسفورد، حيث تتلمذ على يد نيكولاس تينبرغن (Nikollas Tinbergen 1988 - 1907) العالم الحائز على جائزة نوبل في الفسيولوجيا سنة 1973 و تحصّل على الدكتوراه في علم الحيوان سنة 1966. عمل ما بين سنة 1967 وسنة 1969 أستاذاً مساعداً في علم الحيوان بجامعة كاليفورنيا، بركلي. وفي سنة 1970 عمل بجامعة أكسفورد. ألقى عدداً من المحاضرات عن شخصيات علمية مثل: أراسومس داروين (جد تشارلز داروين)، وإرنست هيكل، ومايكل فاراداي، وهنري سدجويك. عمل ريتشارد داوكينس مستشاراً في تحرير بعض الموسوعات، مثل: موسوعة إنكارتا Encarta Encyclopedia، وموسوعة التطوّر Encyclopedia of Envolution. كما تولى رئاسة قسم العلوم البيولوجية في الرابطة البريطانية لتقدم العلوم BAAS.

وكان أوّل ظهور له من خلال نشره كتابه (الجينة الأنانية The Selfish Gene. ثم شرع يُقدّم مؤلفات يغلب عليها الطابع الدعائي، والترويج للإلحاد من خلال الدفاع عن نظرية التطور المتداعية.

غلاف كتاب الجينة الأنانية

ومن هذه الكتب كتابه وهم الرب The God Delusion، وكتابه الساعاتي الأعمى The Blind Watchmaker وهو ردّ على القائلين بنظرية الخلق. وهذان الكتابان من أسوأ ما كتبه أنصار الداروينية في محاربة الدين من خلال إنكار وجود خالق مدبّر لهذا الكون.

غلاف كتاب وهم الرب

وقد نال هذان الكتابان حظهما من التقريظ والنقد على حدّ سواء ما لم ينله أيّ كتاب آخر في النظرية الداروينية.

حكاية السلف

يزعم داوكينس أنّ آفة الحياة هذا الدين، لأنه يؤجج الحروب، ويشجع على التعصّب، والخوف من الأجنبي والغريب، ويدمّر التقدم العقلي للأطفال، وأنّ الإيمان بالله ليس مجرد لا عقلانية بل إنه أمر مؤذٍ ومؤلم.

ويحاول داوكينس أن يثبت أنّ حسّنا الأخلاقيّ له أصل دارويني، فيتساءل:

«هل تريد حقّاً أن تقنعني بأنّ السبب الوحيد الذي يجعلك صالحاً هو كسب الأجر من الله ونيل رضوانه، والخوف من غضبه وعقابه ؟ هذا ليس من الأخلاق في شيء، إنه مجرد تملّق. والذين يريدون أن يؤسسوا أخلاقهم على الكتاب المقدس، إمّا أنهم لم يقرأوه أو أنهم لم يفهموه».

ولم يكتف داوكينس بنشر كتابه، بل حوّل مادته

العلمية إلى شريط وثائقي عُرِض في القناة الرابعة في المملكة المتحدة، وبيع على أشرطة ڤيديو.

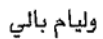
وكتاب (الساعاتي الأعمى) من أهم كتب داوكينس التي احتفى بها علماء التطوّر في العقد الأخير حتى إنّ فرنسيس كريك، أحد مكتشفي الشفرة الوراثية DNA والذي مرّ ذكره في موضع سابق، يقول فيه:



غلاف كتاب
الساعاتي الأعمى

«إذا كنت تشكّ في قوة الانتخاب الطبيعي فإني أدعوك، من أجل إنقاذ روحك، أن تقرأ كتاب داوكينس هذا» . ويقول جون جريبين John Gribbin: لعلّ هذا الكتاب هو أهم كتب التطور منذ داروين».

يبدأ داوكينس في الفصل الأول من كتابه هذا وهو بعنوان (تفسير بعيد الاحتمال) بنقض كلام وليام بالي Willian Paley الذي ينسب إليه ما يُعرف بدليل صانع الساعات (الساعاتي) في إثبات وجود الخالق (الصانع).


وليام بالي

وبالي هذا فيلسوف إنجليزي (1743 ـ 1805)، وهو صاحب الكتاب الشهير (اللاهوت الطبيعي Natural Theology). يقول بالي في كتابه هذا:

«كل إشارة إلى اختراع، وكل تجلّ أو ظهور للتصميم كالذي نراه في الساعة، نراه موجوداً في آثار الطبيعة مع الفارق، وهو أنّ الطبيعة أكبر وأكثر تعقيداً إلى درجة تتجاوز كلَّ حساب ». يقول داونسكي:

«لقد شاع برهان بالي بين علماء عصره، ولكنه برهان فاسد. فقياس التليسكوب بالعين، أو الساعة بالكائنات العضوية الحيّة قياس باطل. وصانع الساعات الوحيد في الطبيعة هو القوى الفيزيائية العمياء».

ويقول في الفصل الثاني وهو بعنوان التصميم الجيّد Good Design:

«الانتخاب الطبيعيّ هو صانع الساعات الأعمى، وهو أعمى لأنه لا يسير قُدُماً إلى الأمام، ولا يخطط العواقب، وليس له غاية. وبالرغم من أنّ النتائج الحيّة للانتخاب الطبيعيّ تطبعنا بشكلٍ كبير بمظهر التصميم كما لو أنه جاء من صنع ساعاتي عظيم، تطبعنا بوهم التصميم والتخطيط. والغرض من هذا الفصل هو أبعد من كلّ ذلك، إنه إقناع القارئ بقوة وهم التصميم». ويستطرد في الفصل الثالث وهو بعنوان (تغيّر صغير متراكم) قائلاً:

«ليس للتطور غاية طويلة الأجل، ولا هدفٌ بعيد المدى، ولا كمال نهائي يقوم بدور المعيار الذي يضبط الانتخاب. وبالرغم من أنّ الغرور البشري يتعلّق بمبادئ منافية للعقل إلا أنّ نوعنا البشريّ هو الهدف النهائي للتطوّر».

وهذا الكلام يعني ضمناً أنّ عمليّة التطوّر قد توقفت وانتهت، حتى يتفلّت التطوريون من الجواب عن السؤال المزعج لهم، وهو: لماذا لا نرى الانتخاب الطبيعي يفعل فعله في الأنواع من جديد ويخرج لنا نوعاً بشرياً جديداً متطوّراً ؟

ويقول داوكينس أيضاً:

«إذا لم تكن تعرف أيَّ شيء عن الكومبيوتر، فتذكّر فقط أنها مجرّد آلات لا تفعل إلا ما نخبرها به، ولكنها تفاجئك بنتائجها». وهذا الكلام من داوكينس يتضمن في تضاعيفه الدليل على فساد قوله. لأن الطبيعة الصمّاء الخالقة في رأي التطوريين قد تأتي بأشياء غير متوقّعة وقد لا تخضع للقوانين الطبيعية نفسها.

ولكن السؤال الأزلي الذي لا يجد له الداروينيون إجابة، هو: من أوجد هذه الطبيعة ؟ لعلها أوجدت نفسها بنفسها من العدم !!!.

والعجيب حقاً أن داوكينس لا يقيم البراهين العلمية على التطور بقدر ما يعتمد على الاستنتاجات والتخمين. وهو بذلك لا يختلف عن أنصار مذهب الخلق. فهو يقول في الفصل الرابع: «كثير من الناس يشقّ عليهم الإيمان بأن شيئاً مصمماً ومركّباً بشكل معقّد مثل العين ظهر ببدايات صغيرة بفعل سلسلة من التغيّرات التدريجية. ولتسليط الضوء أكثر على هذا سل نفسك هذين السؤالين الآتيين:

1 ـ هل ظهرت العين البشرية مباشرةً من غير عين مطلقاً في خطوة واحدة ؟

2 ـ هل ظهرت العين البشرية مباشرةً من شيءٍ يختلف قليلاً عنها، شيء ما يمكن أن نسميه × ؟

الجواب عن السؤال الأول وبشكل قطعي هو: لا.

والجواب عن السؤال الثاني وبشكلٍ واضح هو: نعم. بشرط أن يكون الفرق بين العين الحديثة وسلفها × هو اختلاف صغير».

هذا نمط من تفكير الداروينيين على لسان أحد عتاتهم. منطق فاسد لا يمت لا للاستنباط العقلي ولا للعلم التجريبي. وهذا ما دفع بعض العلماء للرد عليه ونقض أدلته المتشحة برداء العلم وهي لا تعدو كونها ضرباً من ضروب التخمين.

غلاف كتاب كيف يكون الساعاتي أعمى؟

وردّاً على كتاب (الساعاتي الأعمى) لداوكينس ألّف البروفيسور نيل بروم Neil Broom كتابه (كيف يكون الساعاتي أعمى)؟ How Blind Is the Watchmaker? وعنوان كتاب بروم هو نقد جليّ لعنوان كتاب داوكينس، لأنه يستحيل عقلاً أن يكون الساعاتي أعمى. وهذا أيضاً يعني أن داوكينس يقرّ بوجود الساعاتي (الصانع المبدع) من حيث لا يدري وإن وصفه بالعمى.

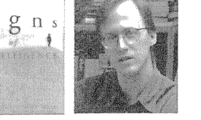
وكتاب بروم رحلة إيمانية مؤيدة بالعلم والتجربة وليس محض تخمينات كالتي جاء بها داوكينس.

نظرية التصميم الذكي Intelligence Design Theory

يعرّف مركز العلوم والثقافة بمعهد ديسكوفري Discovery Institute التصميم الذكي بأنه: «التصوّر الذي يرى أنّ أفضل سبيل لتفسير مظاهر الكون والكائنات الحيّة هو العلّة الذكية أو التعليل الذكي، وليس العمليّة غير الموجّهة مثل الانتخاب الطبيعي». وأكثر العلماء المناصرين لنظرية التصميم الذكيّ ينتسبون إلى هذا المعهد، وهم يرون أن التصميم الذكيّ نظرية علميّة مساوية للنظريات العلميّة التي تبحث في أصل الحياة إن لم تكن أفضل منها.

والغالبية من العلماء والمؤسسات العلمية لا ترى التصميم الذكيّ نظرية علميّة صحيحة، بل يرونه علماً زائفاً Pseudoscince. وقد ذكرت الأكاديمية الأمريكية الوطنية للعلوم The U.S. National Academy of Sciences أن التصميم الذكيّ والمزاعم الأخرى عن تدخّل قوى ما وراء الطبيعة في نشأة الحياة ليست علوماً لعدم إمكانية اختبارها بالتجربة، ولا تولّد أيّ تنبؤات، ولا تقدّم فروضاً جديدةً.

وقد حكم القاضي الفيدرالي جون جونز الثالث

وليام ديمبسكي

John Jones III بأن التصميم الذكيّ ليس علماً وإنما هو مجرّد فهم دينيّ.

لقد قُدّمت نظرية التصميم الذكيّ بديلاً عن التفسيرات الطبيعيّة المحض لفكرة التطوّر. والهدف المقصود منها تحقيق ما إذا كان الدليل التجريبي الموجود يثبت أن الحياة على الأرض ينبغي أن تُصمّم بعامل ذكيّ Intelligent Agent أو غيره.

وقد ذكر وليام ديمبسكي William Dembsky أحد المؤيدين الكبار للتصميم الذكيّ أنّ الدعوى الأساسية للتصميم الذكيّ هي أن ثمة أنظمة طبيعية لا يمكن تفسيرها بشكل كافٍ بدلالة قوى طبيعيّة غير موجّهة، وأن الملامح الظاهرة للحياة لا يمكن عزوها إلا إلى الذكاء.وأنصار التصميم الذكيّ يبحثون عن دليل أو برهان يسمونه علامات الذكاء Signs of Intelligence أي الخواص الفيزيائية للشيء المحسوس التي تثبت ضرورة التصميم.

وتتضمن الشواهد الطبيعية تعقيدات لا يمكن تجاهلها أو اختزالها، وآليات (ميكانيزمات) يصعب تفسيرها ، ولذلك يرى أنصار التصميم الذكيّ أنّ الأنظمة الحيّة تُظْهِرُ واحداً أو أكثر من تلك التعقيدات التي تثبت أن بعض مظاهر الحياة قد صُمّمت تصميماً ولم تأتِ بفعلِ التّطوّر. وتقف هذه النظرية في مواجهة التيار الرئيس لعلم الأحياء الذي يُصرّ على التجربة وجمع معلومات غير قابلة للدحض والتفنيد من أجل تفسير العالم الطبيعيّ من خلال مراقبة العمليات الفيزيائية المحض، مثل: الطفرات Mutations والانتخاب الطبيعيّ Natural Selection. ويقول أنصار التصميم الذكيّ إنه بينما تشير الأدلّة إلى أنّ طبيعة «التعليل الذكي» أو «العامل الذكي» قد لا تكون قابلة للملاحظة بشكل مباشر، إلا أن تأثيرها على الطبيعة يمكن تحسّسه.

يقول ديمبسكي Dembsky في كتابه علامات الذكاء Signs of Intelligence: «ينظر أنصار التصميم الذكيّ إلى هذه النظرية باعتبارها برنامج بحث علميّ يستقصي تأثيرات العلل الذكية وليس العلل الذكيّة نفسها».

وفي رأيه أنّ المرء لا يستطيع القيام باختبار لتطابق التأثيرات الخارجية مع نظام مقفل من الداخل. ولذلك فإنّ الأسئلة التي تتعلّق بهويّة المصمّم تقع خارج نطاق عالم التصوّر. ولقد برهن الفلاسفة منذ أكثر من ألف سنة على أنّ تعقّد الطبيعة يشير إلى وجود مصمّم أو خالق مبدع غيبي (ما ورائي).

وقد افترض أفلاطون Plato وجود قوّة خلاقة طبيعية تتمثّل في الحكمة المتعالية Natural demiurge of supreme wisdom والذكاء باعتباره خالقاً للكون في رسالته تيماوس Timaeus. كما طوّر أرسطو أيضاً فكرة وجود خالق طبيعيّ للكون، ويشير إليه في فلسفته بالمحرّك الأول Prime mover في كتابه (ما بعد الطبيعة). وقد ذكر شيشرون Ciceron في رسالته عن طبيعة الإلهة De Natura Deorum أنّ «القوة الإلهية موجودة في مبدأ العقل الذي ينتشر في الطبيعة كلها».


تمثال أفلاطون

واستخدام هذا النمط من التعليل كما هو مُطبّق على المصمِّم الغيبي (الماورائي) عُرفَ بالبرهان الغائي Teleological argument على وجود الله.

تاريخ الاصطلاح

ظهر مصطلح (التصميم الذكي)، وإن لم يكن بمفهومه الحديث، في عدد سنة 1847 من مجلة Scientific American، وفي كتاب مدرسي للجغرافيا سنة 1868، وفي خطابٍ ألقاه عالم النبات جورج جيمس ألمان George James Allman في سنة 1872 بالاجتماع السنوي للرابطة البريطانية لتقدم العلوم British Association for Advancement of Science.

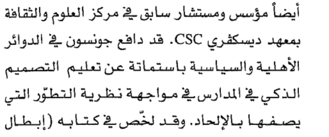
وقد ورد هذا المصطلح أيضاً عند فرديناند كانينج سكوت شيلر Ferdinand Canning Scot Schiller في كتاب له سنة 1903، جاء فيه: «ليس من الممكن الحكم على الافتراض الذي يذهب إلى أن عملية التطور يمكن أن توجّه بتصميم ذكي».

وفي مطلع الثمانينيات بُعِثت الحياة من جديد في هذا المصطلح على يد السير فرد هويل Fred Hoyle ، وتكرّر وروده في قضية إدواردز أجيلارد Edwards Aguillard أمام المحكمة العليا للولايات المتحدة (1987) التي قضت بأنّ تدريس مذهب الخلق في المدارس الأهلية غير دستوري.

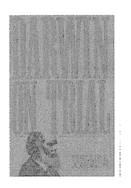
ويُعدّ كتاب (الباندا والناس) Pandas and People لنخبة من المؤلفين هم: Percival Davis، Dean H. Kenyon، Dean H. Kenyon، الصادر في سنة 1989 أول كتاب عن التصميم الذكيّ. ومن ثمّ تعزّز هذا الاصطلاح أكثر فأكثر على يد العالم القانوني المتقاعد فيليب جونسون Phillip Johnson في كتابه (محاكمة داروين) Darwin on Trial الصادر في عام 1991. وجونسون هو أبُ حركة التصميم الذكيّ.

فيليب جونسون

يُعدّ فيليب جونسون أحد مؤسسي حركة التصميم الذكي، وهو المهندس الرئيس



لما يُعرف بإستراتيجية الإسفين Strategy Wedge، وهو أيضاً مؤسس ومستشار سابق في مركز العلوم والثقافة بمعهد ديسكفري CSC. قد دافع جونسون في الدوائر الأهلية والسياسية باستماتة عن تعليم التصميم الذكي في المدارس في مواجهة نظرية التطوّر التي يصفها بالإلحاد. وقد لخّص في كتابه (إبطال الداروينية بالعقول المنفتحة Defeating Darwinism by Opening Minds الصادر في سنة 1997 فلسفته الدفاعية عن التصميم الذكي، فقال:



«لو فهمنا أوقاتنا، فسوف نعلم أنه ينبغي علينا أن نثبت حقيقة الرب بتحدي هيمنة الماديّة والمذهب الطبيعي في عالم العقل. وبمساعدة أصدقاء كثيرين طوّرت إستراتيجية للقيام بذلك.. وقد أطلقنا على هذه الإستراتيجيّة اسم (الإسفين)» ص 91. ويعترف جونسون بأنّ هدف حركة التصميم الذكي هو تعزيز فكرة الإيمان بالله وتقديمها على أنها مفهوم علميّ، وأنه ينبغي المبادرة بالهجوم والتوقف عن الدفاع. وجونسون خلافاً لبعض أنصار التصميم الذكي مثل مايكل بيهي يرفض القول بفكرة النسب المشترك، وليس له موقف من مسألة عمر الأرض. ولم يسلم جونسون من النقد، فقد وصف أستاذ البيولوجيا براين سبيتزر Brian Spitzer كتابه محاكمة داروين بأنه «أكثر الكتب التي قرأتها تضليلاً على الإطلاق»

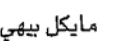
ويقول جونسون موضحاً إستراتيجية دقّ الإسفين بين العلماء والتطوريين:

«هدف إستراتيجية الإسفين إقناع الناس بأنّ الدّاروينيّة هي إلحاد موروث. وبذا ينبغي تحويل المناظرة من الخلق في مواجهة التطوّر Creationism vs. Evolution إلى وجود الله في مواجهة نفيه The

«.Existence of God vs. The Non-Existence of God

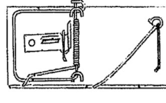
ومن المفاهيم الأساس التي يدور حولها التصميم الذكي (التعقّد غير القابل للاختزال Irreducible complexity) الذي وضعه مايكل بيهي Michael Behe أحد أعلام هذه المدرسة. ويعرّفه بيهي بأنه: «نظام مفرد مكوّن من أجزاء عديدة متماثلة متفاعلة بشكل دقيق تتعاون من أجل أداء وظيفة أساسية. وإذا أزيل أيّ جزء من تلك الأجزاء فإن ذلك النظام لا يعود يقوم بوظيفته». ويقوم مايكل بيهي بتبسيط هذا المفهوم الذي ابتدعه باستخدام مصيدة الفيران Mousetrap التي تشكل نظاماً يقوم فيه كلّ جزء بوظيفة محددة تتوقف عليها الأجزاء الأخرى. وإزالة أي جزء من هذه المصيدة سوف يفسد وظيفتها. وأنصار التصميم الذكي يؤكدون أن الاصطفاء الطبيعي لا يمكن أن يخلق أنظمة في غاية التعقيد وغير قابلة للاختزال. وتشمل الأمثلة التي ساقها بيهي على الميكانيزمات البيولوجية المعقّدة غير القابلة للاختزال، البكتيريا ذات الزوائد السوطية، وتجلّط الدمّ، وجهاز المناعة.



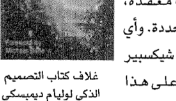


مايكل بيهي

ومن مفاهيم التصميم الذكي ما يُعرف بـ (التعقّد المعيّن Specific complexity) الذي طوّره الرياضي الفيلسوف وليام ديمبسكي William Dembsky . يقول ديمبسكي: «عندما يبدو التعقد المعيّن في شيء ما (بمعنى أن يكون مُعقّداً ومحدّداً في الآن نفسه)، يمكن للمرء أن يستنتج أنه قد أُنتِجَ بفعل علّة ذكيّة (أي قد تمّ تصميمه) بدلاً من أن يكون قد حدث بفعل عمليات طبيعيّة». يسوق ديمبسكي مثالاً على ذلك، فيقول: «الحرف المفرد من الأبجدية هو محدد ولكنه غير معقّد. والجملة الطويلة المكوّنة من أحرف اعتباطية معقّدة، ولكنها غير محددة. وأي سوناتا من سوناتات شيكسبير معقّدة ومحدّدة. وعلى هذا النحو يمكن وصف الكائنات الحيّة ولا سيّما أنماط التسلسل الجزيئي في الجزيئات البيولوجية الوظيفيّة مثل الشفرة الوراثية DNA. ويرى أن فرصة حدوث معلومات نوعية معقدة بفعل المصادفة الطبيعية أقل من 1×10 أُس 150».



مصيدة الفئران

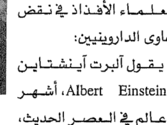


غلاف كتاب التصميم الذكي لوليام ديمبسكي

هل يوجد مصمم ذكي وراء هذا العالم؟

إنّ كثيراً من عباقرة علماء الطبيعة، وعلماء الرياضيات يقرّون بوجود خالق مدبّر وراء هذا الكون. والأمر الذي أزعج القائلين بالتطوّر أنهم وجدوا أنفسهم في مواجهة علماء يتسلحون بأدوات علمية هي عينها التي يزعمون أنهم يستخدمونها في إبطال القول بوجود خالق (المصمم الذكي)، وكانوا قد تعوّدوا في الماضي مواجهة لاهوتيين ليس لهم معرفة بالعلوم التجريبية، وليس لهم من براهين إلا ما ورثوه في الأسفار الدينيّة ، وكان يسهل عليهم هزيمتهم بمنطق العلم التجريبي. وتلك أكبر خيبة أمل يبتلى بها الداروينيون الجدد. وها هي ذي جملة من أقوال أولئك العلماء الأفذاذ في نقض دعاوى الداروينيين:

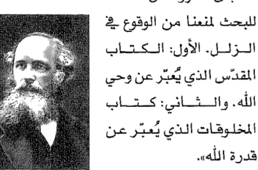
❖ يقول آلبرت آينشتاين Albert Einstein، أشهر عالم في العصر الحديث،



آينشتاين

صاحب نظرية النسبية، التي أحدثت انقلاباً في الفيزياء الكلاسيكيّة : «إنني أشفق على من يُنكر وجود كائن أعلى Supreme Being.. فكلّ من له ارتباط حقيقي بالعلم مقتنع تماماً بأنّ روحاً ظاهرة في قوانين الكون، روحاً أعظم بكثير من الإنسان.. ونحن في مواجهة تلك الروح نشعر بضآلتنا. ولذلك فإنّ ملاحقة العلم تقود إلى شعور دينيّ من نوع خاصّ. وهو، بلا ريب، مختلف تماماً عن التديّن الساذج ، وأكبر منه.».

❖ ويقول فرنسيس بيكون Francis Bacon : «ثمة كتابان معروضان أمامنا للبحث لمنعنا من الوقوع في الزلل. الأول: الكتاب المقدّس الذي يُعبّر عن وحي الله. والثاني: كتاب المخلوقات الذي يُعبّر عن قدرة الله».





جيمس ماكسويل

❖ يقول جيمس كلرك ماكسويل James Clerk Maxwell أستاذ الديناميكا الحرارية: «ليس ثمة نظرية من نظريات التطور قادرة على تفسير تماثل الجزيئات لأن التطور يتضمن بالضرورة تغيّراً مستمراً».



جون راي

❖ يقول جون راي John Ray أبو التاريخ الطبيعيّ الإنجليزي، وأحد مؤسسي الجمعية الملكيّة، وأحد أشهر علماء النبات والحيوان في عصره: «حكمة الربّ تتجلّى في أعمال الخلق».



لويس باستور

❖ يقول لويس باستور Louis Pasteur: «إنّ أكثر شيء درستُه هو الطبيعة ، وأكثر شيء أثار دهشتي صناعة الخالق.. والعلم يُقرّب البشر من الله».

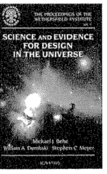
❖ يقول بول ليموان Paul Lemoine رئيس الجمعية الجيولوجية الفرنسية ومدير المتحف الطبيعي في باريس في مطلع القرن العشرين: «إن نظريّة التطوّر مستحيلة ولن يستمر الإيمان بها عند البعض طويلاً».

❖ يقول عالم الأحياء العصبية السير جون إيكلس Sir John Eccles: «إن ظهور النزاع بين الدين والعلم دليلٌ على الجهل. ونحن أتينا إلى الوجود بأمر إلهي. والهداية الإلهية مسألة نجدها على طول حياتنا، وعند مماتنا ينتهي الدماغ ويبقى الهدي الإلهي. وكلّ واحدٍ منا كائنٌ واعٍ فريد، إنه خلقٌ إلهي».

❖ يقول عالم الإحياء هنري فابر Henry Fabre : «مِنْ دونه لا أفهم شيئاً، ومِنْ دُونه كلُّ شيءٍ ظلامٌ، ولكلِّ زمانٍ هَوَسُه . والإلحاد هَوَسٌ، وهو مرض العصر. ولأن تنزع جلدي مني أيسر لك من أن تنزع منّي إيماني بالله.».

❖ يقول اللورد وليام كِلفن طومسون Lord William Kelvin Thompson: «بخصوص أصل الحياة، يُثبتُ العلمُ بشكلٍ إيجابيّ قوّةً خلاقةً. والبراهين القوية على سيطرة الذكاء والتصميم تحيط بنا من كلّ جانب. والفكر الإلحادي هُراء، إلى درجة أنني أعجز عن التعبير عنه» .

لقد قام معهد ويذرسفيلد Wethersfield Institute بنشر كتابٍ يثبت بالعلم والبرهان وجود التصميم الذكيّ في الكون شارك في تأليفه ثلاثة من أشهر العلماء من أنصار نظرية التصميم الذكي، وهم وليام ديمبسكي، ومايكل بيهي، وستيفن مير. والكتاب بعنوان (العلم والدليل علي وجود التصميم في الكون).



غلاف كتاب العلم والدليل على التصميم في الكون

التطوّر علم أم خرافة؟ Evolution: Science or Myth

اشتدّت في العقود الثلاثة الأخيرة الرياح التي تعصف بالداروينية، حيث أخذت المطابع ودور النشر تقذف بالكتب النقدية التي لم يتوقف سيلها بعدُ. والذي يثير الانتباه في هذه الكتب أنّ أكثرها من تأليف علماء في البيولوجيا، والرياضيات، والجيولوجيا، والاركيولوجيا، وعلم الأجنّة. وقليل منها من تأليف فلاسفة، وقانونيين، ولاهوتيين. وهذا جعل نظرية التطوّر في موقفٍ دفاعيّ حرج، راق لبعضهم أن يسميه أزمة.



التطور في أزمة

فهذا مايكل دِنتون يضع كتاباً بعنوان، التطور: نظرية في أزمة Evolution: A Theory in Crisis، يقول دنتون في كتابه هذا (ص 358): «إنّ النظرية الداروينية، وبشكل نهائي، أكبر أسطورة عالمية موروثة في القرن العشرين لا أكثر ولا أقلّ. وما زال أصل الحياة مبهماً مثلما هو يوم أبحر داروين على ظهر السفينة بيجل».

ويؤلف ريتشارد ميلتون Richard Milton كتابه المثير تصدّع أساطير الداروينية Shattering The Myths of Darwinism . وبالرغم من أنّ ميلتون لا يُحسبُ في عداد العلماء، إذ أنه مهندس في الأصل يعمل في مجال الصحافة العلمية وتاريخ التكنولوجيا، إلا أنه عُرف بكونه متابعاً جيّداً لتطوّر النظريات العلمية. وذلك ما جعل كتابه يُعدُّ من أكثر الكتب السجالية مبيعاً في مطلع التسعينيات من القرن العشرين.

تصدّع أساطير الداروينية

وتكمن أهميّة هذا الكتاب في أنه ييسّر على القارئ والباحث الوقوف على قدرٍ كبيرٍ من المعلومات والنظريات والنتائج العلمية التي توصّل إليها العلماء في نقض الداروينية، قد لا تتاح له فرصة الاطلاع عليها أو قراءتها.



ريتشارد ميلتون

ولقد أزعج هذا الكتابُ التطوريين عند صدوره إزعاجاً كبيراً، حتى إنّ ريتشارد داوكينس الذي مرّ ذكره وصف المؤلفَ بأنه «ربما يكون هذا الكاتب المأجور غير المؤهّل روحاً حارسة منعزلة، والجنديَّ الوحيد داخل فصيل عسكري».

ويقول عالم الأجنة السويدي الدكتور سورين لوثرب Sorren Luthrip: «أعتقد أنّ الأسطورة الداروينية ستصنّف ذات يوم على أنها أكبر خديعة في تاريخ العلم . وعندما يحدث هذا سيتساءل كثير من الناس: كيف حدث ذلك؟».

ويقول د. داڤيد بيرلنسكي David Berlinski: «إنّ نظرية داروين هي آخر الأديان العجيبة في القرن التاسع

عشر. وهي الآن تتبع الفرويدية والماركسية. وإنني متأكد من أن فرويد وماركس وداروين يواسي أحدهم الآخر داخل زنزانة مظلمة تتجمع فيها الألهة المنبوذة».

ولم يستنكف الباحث جوناثان ويلز أن يصف مذهب التطوّر بأنه مجموعة من الأيقونات التي لا تختلف عن الأيقونات الدينيّة التي تعبر عن المقدّس الذي يحَرُمُ مسّه أو الاقتراب منه باعتباره من الأمور القطعية التي لا يرقى إليها شكّ. فما الفرق بينه وبين العقائد الدينية التي يصفها أنصار التطوّر بالدوغمائية، والغيبية، والخرافة، والأسطورة. ولذلك جعل لكتابه عنواناً مميّزاً هو (أيقونات التطوّر: علم أم خرافة ؟). وأيقونات التطور، أو أساطير التطور كما يراها جوناثان ويلز عشر، هي:

أيقونات التطور

(1) تجربة هيرالد يوري وستانلي ميللر. وقد سبق الحديث عنها.

(2) شجرة الحياة عند داروين. حيث يزعم أن جميع الكائنات العضوية الحية انحدرت من سلف مشترك.

(3) تماثل الفقاريات.

(4) أجنّة إرنست هيكل.

(5) الأركيوبتركس، الحلقة المفقودة بين الديناصورات والطيور الحديثة.

(6) سوس (عُثّة) التوابل.

(7) طائر الحسّون.

(8) ذباب الفواكه ذو الأجنحة الأربعة.

(9) الخيول المتحجّرة.

(10) من القرد إلى الإنسان.

جوناثان ويلز

والأيقونات العشر التي أبطلها جوناثان ويلز، هي الأدلّة التي يتشبث بها الداروينيون لإثبات صحة مذهب التطوّر.

يقول جوناثان ويلز: «أظنّ أنّ نظرية التطور ستختفي في غضون خمسين عاماً من مناهج التعليم، وأظنّ أنّ الناس سينظرون وراءهم يوماً وسيتساءلون: كيف آمن أناس من ذوي العقول المستنيرة بعقولهم النافذة بها ؟».



أكذوبة التطور

وقد ذهب كينيث هام Kenneth Ham إلى أنّ التطور مجرد كذبة، فوضع كتابه أكذوبة التطور :The Lie Evolution.

كما وُصِفت نظريّة التطور بأنها الخديعة الكبرى Evolution: The Big Hoax.

والوهم الكبير .Evolution: The Great Illusion

ولم تعد أدلة الداروينية تقنعُ أحداً، لقد أخذت براهينها تتهاوى وتتبدد تحت مطارق العلم. وقد جعل توماس هاينز Thomas Heinze وهو أحد النقاد عنواناً لأحد كتبه الذي يتضمن هذا المعنى وهو (براهين التطور المتلاشية The Vanishing Proofs of Evolution).



براهين التطور المتلاشية

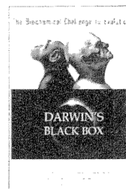
وساق كتاب (انهيار التطور The Collapse of Evolution)، وهو من تأليف سكوت هوس Scott Huse، الأدلّة على إثبات تداعي الداروينية. فبدأ بهدم أدلّة التطوريين بسوق حشد من الأدلة البيولوجية، والجيولوجية، والفيزيائية، والانتروبولوجية، والرياضية، والحفرية، والفلكية.

وقد نال الكتاب من التقريظ حظاً كبيراً. وقد

كتب الدكتور جيمس كيندي يقول: «كتاب انهيار التطور وابلٌ مدمّر ضد نظرية التطوّر. وقد جاء في الوقت الذي تحرّك فيه التطوريون نحو المحاكم لفرض تعليم نظريتهم، بالرغم من تصدّع أعمدة الداروينية».

ومن أهم الكتب العلمية التي قضّت مضجع الداروينيين كتاب أستاذ الكيمياء الحيويّة مايكل بيهي Michael Behe (صندوق داروين الأسود: تحدي الكيمياء الحيوية للتطور).

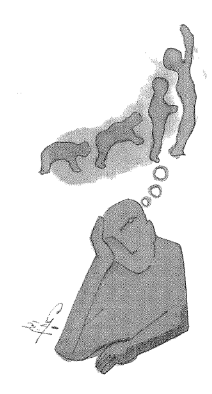
Black Box: The Biochemical Challenge Darwin's to Evolution.



صندوق داروين الأسود

وقد أحدث كتاب مايكل بيهي على حدّ تعبير راي بوهلين Ray Bohlin أستاذ البيولوجيا الجزيئية والباحث في مركز تجديد العلم والثقافة التابع لمعهد ديسكوفري عاصفة نارية Firestorm من الجدل داخل الدوائر العلمية.

يقول بوهلين في عرضه لكتاب (صندوق داروين الأسود): «قد يكون كتاب بيهي الجديد هو القشة التي قصمت ظهر البعير. والكتب التي من هذا القبيل يقوم بنشرها عادةً ناشرون مسيحيون أو على الأقل مطبعة علمانية صغيرة تبحث عن فرصة. كما أنّ الكتب التي تدعو إلى نظرية الخلق نادراً ما تُباع في المكتبات العلمانية أو تُعرضُ في المطبوعات العلمانية. لقد أثار (صندوق داروين الأسود) اهتمام التطوريين، مع أنه ليس من المألوف التعرّض للأفكار المعادية للتطور في المحافل العلمية. وقد دُفعَ علماء تطوريون كبار للردّ على كتاب بيهي، مثل: نايلز إيلدردج Niles Eldredge من المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعيّ، ودانيال دينيت Daniel Dennett مؤلف كتاب أفكار داروين الخطيرة Darwin Dangerous Ideas، وريتشارد داوكينس Richard Dawkins من جامعة أكسفورد ومؤلف كتاب (الساعاتي الأعمى)، وجيري روبيسون Jerry Robison من جامعة هارفارد، وداڤيد هال David Hull من جامعة شيكاغو. والذي دعا أولئك العلماء للاهتمام بهذا الكتاب أنّ مؤلفه البروفيسور مايكل بيهي ذو سمعة علميّة محترمة، ويعمل في معهدٍ مرموق، وأنّ بحثه وجدله في التطوّر أكثر سوفسطائية من أنصار نظرية الخلق. ويزعم بيهي ببساطة أنّ عندما كتب داروين كتابه أصل الأنواع كانت الخليّة صندوقاً أسودَ تكتنفه الألغاز. قد نبصِرُ ما يوجد خارجه، ولكننا نجهل كيف يعمل ما بداخله. ويرى بيهي أنه بفتح الصندوق الأسود للخليّة خلال الأربعين سنة من البحث في البيولوجيا الجزيئية وبيولوجيا الخلية، ظهرت أمثلة عديدة على آلات جزيئية معقّدة تدمّر كليّاً نظرية الانتخاب الطبيعي في تفسير نظم الحياة.».



الحسابات الجديدة لعمر الأرض تهدّد الداروينية

يعتمد الداروينيون في الترويج لنظرية التطور على حساب عمر الأرض، وهو 4,600 مليون سنة وهو حساب تمّ تقديره منذ أمدٍ بعيد. وهذه الحقبة الطويلة جداً من الزمن يحتاجها التطوريون لنشأة الحياة العضوية ذاتياً من كائنات غير عضويّة. وإذا ثبت أنّ عمر الأرض هو أصغر بكثيرٍ من ذلك فإنّ قوانين التطوّر ستتداعى واحداً في إثرِ الآخر. وهذا مما اعتمد عليه أنصار التصميم الذكي، ونظرية الخلق في مهاجمة الداروينية.

وتحت عنوان (دليل الخلق وأسطورة التطور Creation Evidence and Evolution Myth) كتب الطبيب ماثيو ماكجي Matthew McGee مدير ومؤسس معهد دراسات الخلق مقالةً جاء فيها:

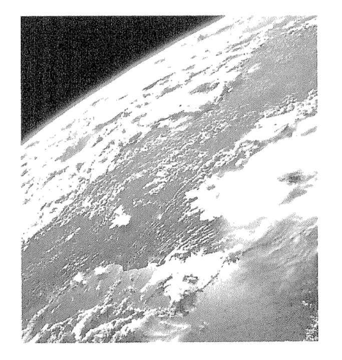
«تشترك كتبنا المدرسيّة، والتلفزيون، والصحافة جميعها في تعليمنا أنّ عمر الأرض من 4 إلى 5 بليون سنة، باعتبار أنّ ذلك حقيقة مسلّم بها. ولكن ما لا يشتركون فيه من تعليم هو كيف حدّد العلماء هذا العمر؟ وما هي الافتراضات التي وضعوها ؟ وما الدليل الذي استعملوه ؟ وما الدليل الذي طرحوه ؟. وسنرى في هذه المقالة أنّ العلماء ابتدأوا بفرض أنّ:

(1) ـ نظرية التطوّر العامة صحيحة

(2) ـ الخلق باطل.

ولم يصل العلماء إلى هذه الاستنتاجات بناءً على اختبار الدليل. وهم ببساطة وضعوا هذه الافتراضات منذ البداية. وسوف نرى أنهم أيضاً استعملوا بعض المقاييس غير المقبولة والمتوفرة لديهم باعتبارها أدلة على مذهبهم بأن الأرض قديمة جداً وعمرها طويل، في الوقت الذي طرحوا فيه أغلب الأدلّة المهيمنة والتي تبيّن أنّ الأرض صغيرة في العمر جداً. وهم يحاولون أيضاً أن يفرضوا أخطاءهم بادّعاء أنّ العمليات الجيولوجية المتنوّعة تستغرق ملايين السنين لتكتمل».

ثم يشرع الكاتب في تعريف المصطلحات بسبب الحاجة الضرورية لذلك، فيبدأ بالتفريق بين ما يُعرف بالنظريّة العامة للتطوّر، والنظريّة الخاصّة للتطوّر. فالنظريّة الخاصّة للتطوّر وتُعرف بالتنوّع الأفقيّ Horizontal variations هي التغيّرات الصغيرة التي تحدث في النباتات أو الحيوانات على طول الزمن، وهي ليست تغيّرات من نوع واحد إلى نوعٍ آخر. وهذه التغيّرات الطفيفة يمكن ملاحظتها من خلال التجربة، ويمكن إنتاجها. ولذلك فإنّ النظريّة الخاصة للتطوّر تقع داخل حدود العلم. والكاتب حين يشير إلى



«التطوّر» فإنه يريد النظريّة العامة للتطوّر التي تقول إنّ جميع أنواع الحياة تولّدت من أشكال للحياةِ أبسط، والتي بدورها تولّدت من مادّة غير عضويّة عبر حقب من الزمن. وهي خلافاً للنظريّة الخاصّة لا يمكن ملاحظة التطوّر فيها ولا إثباته بالتجربة. وبذا فإن نظريّة التطوّر العامة تقع خارج دائرة العلم.



هنري موريس

العمر المعقول لكوكب الأرض

كيف يُؤرّخ لعمر الصخور ؟

يظُنّ كثيرٌ من الناس أنّ العُلماءَ يُحدّدون أعمارَ الصخور بالتأريخ الإشعاعي أو الراديومتريك Radiometric. والحقيقة أنّ تأريخ الصخور إلى فترة زمنيّة محدّدة في الماضي لم يتم بأي نوع من المقاييس الموضوعيّة.

والمقياس الذي يعتمد عليه في التأريخ للحياة العضوية من خلال عمر الصخور يتمّ بتأريخ كشاف الحفريات (المستحجرات) الموجودة في الصخور.

والعلماء يؤرخون للحفريات Fossils بتحديد الزمن الذي يظنون أنّ تلك الحفريات وُجِدت فيه موافقة للنظرية العامة للتطوّر. وأي مقياس سواء أكان إشعاعيّاً أو غير ذلك لا يتّفق مع النظريّة العامة للتطوّر فهو باطل ومرفوض، وما كان متّفقاً معها فهو صحيح وعلميّ. والقائلون بالتطوّر يقعون في الدّوْرِ المنطقيّ Circular reasoning لأنهم يُصَحّحونَ فروضَهم بناءٍ على تأريخ الحفريات، ويُصَحّحُونَ تأريخ الحفريات بناءً على فرضياتهم، وهذا باطلٌ منطقيّاً. أمّا بخصوص عمر الأرض فهناك عدة عمليات يمكن استخدامها لتحديد عمرها الافتراضيّ. وقد وضع هنري موريس Henry Morris من معهد دراسات الخلق كتابه الشهير في الردّ على أوهام الداروينيين عن العمر المعقول لكوكب الأرض The Remarkable Birth of Planet Earth، وهو كتابٌ حشد فيه نتائج البحوث والدراسات التي قامت بها المراكز العلمية لتحديد عمر الأرض. وقد ذكر المؤلّف 76 عمليّة مختلفة في الطبيعة يمكن استخدامها لتحديد عمر الأرض، مثل تدفّق العناصر المختلفة في المحيطات، وتضاؤل المجال المغناطيسي للأرض، وتراكم المواد الجوية (النيازك والشهب) فوق الأرض. ومن هذه العمليات الست والسبعين، تبيّن أنّ:

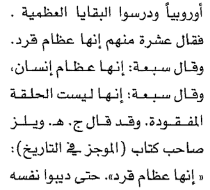
- 26 عملية تُظهر أنّ عمر الأرض أقل من 10,000 سنة.
- 15 عملية تُظهر أنّ عمر الأرض أكثر من 10,000 سنة إلى 100,000 .
- 11 عملية تُظهر أنّ عمر الأرض أكثر من 100,000 سنة إلى مليون سنة.
- 5 عمليات تُظهر أنّ عمر الأرض من مليون سنة إلى 10 ملايين سنة .
- 13 عملية تُظهر أنّ عمر الأرض أكثر من 10 ملايين سنة إلى 100 مليون سنة.
- 6 عمليات تُظهر أنّ عمر الأرض أكثر من 100 مليون سنة إلى نصف بليون سنة.

ولم تُظهر أيُّ عملية من العمليات الست والسبعين أنّ عمرَ الأرض يتجاوز النصف بليون سنة. وأكثر من نصف هذه العمليات يبيّن أنّ عمرَ الأرضِ أقل من 100,000 سنة.

وإذا تبيّن أنّ عمر الأرض ليس 4,6 بليون سنة كما تعلّمنا في المدارس، وأنها أصغر من ذلك بكثير فإن الداروينيّة تتلقى ضربة قاصمة لأنها تعوّل على طول الزمن حتى يقوم الانتخاب الطبيعي بدوره.

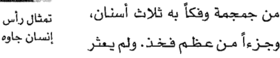
حفريات الإنسان القديم وأكاذيب الداروينية

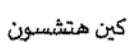
إنسان جاوه The Java Ape-Man



تمثال رأس إنسان جاوه

في سنة 1891 أعلن طبيب عسكري هولندي يُدعى يوجين ديبوا يُقيم في جاوه عن اكتشافه للحلقة المفقودة بين الإنسان والحيوان حيث وجد قسماً علوياً من جمجمة وفكاً به ثلاث أسنان، وجزءاً من عظم فخذ. ولم يعثر على هذه الأجزاء كلها في مكان واحد ولكن على مسافات متباعدة تبلغ 70 قدماً. احتفظ ديبوا بتلك البقايا في صندوق ببيته، وأرسل رسوماً لها بالقلم الرصاص إلى عدد من علماء التطور المشاهير، وإلى متاحف عالميّة، وقد قوبل ذلك بترحاب شديد وقد أُطلق على تلك البقايا الهزيلة اسم بيثيكانتروبوس إيراكتوس (الإنسان القرد المنتصب القامة) Pithecanthropus Erectus. يقول كين هتشسون Ken Hutcheson:





كين هتشسون

«لقد ابتلع التطوريون الطعم وسلّموا بمزاعم ديبوا دون أي سؤال، وأعلنوا على العالم أنّ عمر هذا الإنسان القردي يبلغ 750,000 سنة. وقد حاول كثير من علماء التطور زيارة ديبوا لرؤية تلك البقايا ولكنه أبعدهم عنها. وبعد 35 سنة طالب العلماء بمشاهدة تلك العظام واختبارها بأنفسهم. اجتمع 24 عالماً أوروبياً ودرسوا البقايا العظمية. فقال عشرة منهم إنها عظام قرد. وقال سبعة: إنها عظام إنسان، وقال سبعة: إنها ليست الحلقة المفقودة. وقد قال ج. هـ. ويلز صاحب كتاب (الموجز في التاريخ): « إنها عظام قرد». حتى ديبوا نفسه اعترف في الأخير بأنها عظام قرد. ولكن إنسان جاوة القردي هذا ظلّ يُعرضُ في المتاحف، والمدارس، والكتب الجامعية في أرجاء العالم باعتباره الحلقة المفقودة بين الإنسان والحيوان، التي تثبت صحة التطوّر».



يوجين ديبوا

خديعة إنسان بيلتداون Piltdown Man hoax

بيلتداون موقع للحفريات في قرية بيلتداون بقرب مدينة سسكس Sussex في انجلترا اكتشف بها في سنة 1908 وسنة 1912 بقايا لكائن قردي وحفريات أخرى. وفي سنة 1913 وبقرب هذا الموقع عُثِرَ على فكّ قرد وسنّ لكلب، وذهبت الجمعية العامة لعلماء الحفريات الإنجليزية إلى قبول فكرة أنّ تلك البقايا من الحفريات تنتمي إلى مخلوق له قحف جمجمة آدمي وفكّ قرد. وفي سنة 1953 أُعلن عن فضيحة اسمها إنسان بيلتداون، وأنّ ما جاء بخصوص تلك الحفريات

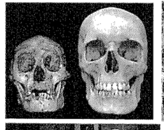


بيلتداون

التي زُعِمَ أنها لإنسان قديم ليس إلا خديعة، وأنّ قحف تلك الجمجمة ليست إلا لإنسانٍ حديث، وأن السن التي عثروا عليها ليست إلا سناً سقطت من فكّ ذلك القرد. وقد قام باختراع هذه الأكذوبة المكتشف تشارلز داوسن Charles Dawson. فهل كان العلماء مغفلين إلى هذا الحد حتى صدقوا هذه الأكذوبة؟ وهل من تفسيرٍ لهذا؟ يجيب ستيفن جي غولد Stephen Jay Gould عن ذلك مقدماً عدة تفسيرات، من بينها ما يُعرف بالتفكير الرغائبيّ wishful thinking وهو أن يرغب المرء في أن يكون ما يُفكّر فيه صحيحاً، أو بسبب الوقوع تحت تأثير التحيّز الثقافي cultural bias. وأنّ السبب الأخير لعب دوراً كبيراً في نقص التفكير النقديّ بين علماء الحفريات الإنجليز. وفضلاً عن ذلك فإن خديعة بيلتداون تثبت عدم عصمة المعرفة العلميّة. كما تبين أيضاً الطريقة التي ترتبط بها النظريات بالحقائق في العلم. كما أن ثمة سبباً آخر يُردّ إليه إنطلاء هذه الأكذوبة على جمهور العلماء وهو أنه لم يسمح لهم بالاطلاع على الأدلة الحفرية التي حُفِظت في المتحف البريطاني.

تشارلز داوسن

ستيفن جي غولد



المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي



تشارلز داوسن مع بعض العلماء يدرسون حفريات بيلتداون

إنسان نبراسكا Nebraska Man

في سنة 1922 أعلن هارولد كوك Harold Cook عن اكتشاف الحلقة المفقودة في نبراسكا بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بالعثور على إنسان نبراسكا.

لم يكن إنسان نبراسكا هذا إلا سنّاً واحدة، وواحدة فقط. وبعد خمس سنوات من الإعلان الأول عن هذا الاكتشاف، أي في سنة 1927، وفي المنطقة نفسها التي عُثِرَ فيها على تلك السنّ أُعلِنَ عن العثور على فكّ عظميّ، يحتوي على بعض الأسنان، تبيّن فيما بعد أنها لنوع من الخنازير المنقرضة. وقد شاع خبر هذا الاكتشاف الذي عُدَّ مُذهلاً في الأوساط العلميّة ولا سيما في الدوائر الداروينية، وكان الناس يظنون، إلى زمن قريب، أنّ بقايا إنسان نبراسكا الحفرية التي تمّ العثور عليها يمكن أن تشكّل هيكلاً عظمياً، أو نصفه، أو ثلثه على الأقلّ، وليس مجرّد سنٌّ واحدة، وفكّ لخنزير منقرض !! . والعجيب أن هذا الضرب من الدجل ما زال يجد من يصدّقه من أنصار الداروينية.

إنسان تشاد Chad Man

لم يتوقف البحثُ عن الحلقة المفقودة بين القرد والبشر، وظلت الأخبار تطالعنا من حين إلى آخر باكتشاف بقايا عظميّة لكائنات شبيهة بالإنسان، وكلّها يُزعم أنها الحلقة المفقودة.

غلاف مجلة الطبيعة

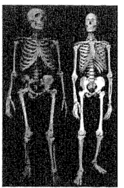
وآخر ما طالعتنا به مجلة (الطبيعة) Nature إعلانها عن العثور على جمجمة لإنسان في تشاد عمرها 7 ملايين سنة بحسب زعمهم.

وقد ظهر خلاف كبير بين العلماء بشأن أهمية اكتشاف هذه الجمجمة التي أُطلق عليها اسم توماي. ووصفت الجمجمة بأنها أهم اكتشاف في الخمسين

سنة الماضية، وذلك عندما أعلن عنها في وسائل الإعلام في شهر يوليو 2006 الماضي.

وقال العالم الفرنسي ميشيل برونيه الذي اكتشف توماي في تشاد، إن الجمجمة تابعة لاحد أسلاف الإنسان الحالي. وقال إن توماي عمرها 7 ملايين سنة.

ولكن كثيراً من العلماء أعربوا عن شكوكهم في عمر توماي، ونشروا انتقاداتهم.



وقال علماء، ومنهم بردجيت سينات ميلفورد ولبوف في مقالة في مجلة Nature، إن الجمجمة المكتشفة ليست جزءاً من الشجرة التطورية للإنسان على الإطلاق.

وقالوا: إن الجمجمة الجديدة ربما تكون تابعة لأحد أنواع الغوريلا أو لجنس حيواني انقرض في مرحلة من مراحل التاريخ.

ووضع العلماءُ وصفاً يختلف اختلافاً واضحاً عن الوصف الذي وضعه مكتشف الجمجمة. ويقولون إن الوجه القصير والأنياب الصغيرة تدلّ على أن الجمجمة لأنثى، ولا تدل على أنها لأحد أسلاف الإنسان الحالي.

وقال ولبوف، العالم بالأجناس البشرية في جامعة ميشيغان: «لا أعرف كيف نصف الجمجمة، ولكنها بالتأكيد ليست جمجمة إنسانية».

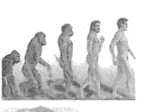
أمّا مكتشف الجمجمة فيقول إن العلماء المعارضين لا يقدمون أيَّ دليل على أنها ليست جمجمة غوريلا، ولا يقدمون أدلة على أنها ليست لإنسان».

وقال كريس سترينغر من متحف التاريخ الطبيعي في لندن: «بغض النظر عن أي شيء آخر فإن الجمجمة المكتشفة تتمتع بأهمية عظيمة».

وقال: «في رأيي، ما يزال الوقتُ مبكراً للبتّ فيما إذا كانت الجمجمة ذات علاقة بالخط التطوري».

وأضاف: «من الخطأ أن نعتقد أن ملامح الغوريلا والشمبانزي والإنسان لم تتغير عما كانت عليه في الأزمان السحيقة».

إنسان نياندرثال ليس جداً للبشر





جاء في صحيفة براقدا بتاريخ 2002/7/16: «أعلنت مؤخّراً مجموعة من علماء الجينات الألمان والأمريكيين برئاسة البروفيسور تابو Tabo من جامعة ميونيخ عن اكتشاف جديد، وهو أنّ إنسان نياندرثال الذي كان يُعدُّ المنطقة الوسطى بين إنسان بيثيكانثروبوس pithecanthropus والإنسان الحديث لا يمكن أن يكون الحلقة المفقودة في التطوّر، وأنّ مقارنة الحمض النووي DNA لبقايا إنسان نياندرثال مع الحمض النووي للإنسان الحديث تثبت أنّ إنسان نياندرثال لا يمكن أن يكون سلفاً للبشر. وهذا الاكتشاف الذي ذكره علماء الجينات يؤيده علماء الأنثروبولوجيا، مثل: شميت و تيسن Shmit and Tissen من ألمانيا والعالم البريطاني سترينجر Stringer . وكان إنسان نياندرثال سائداً بشكلٍ كامل في أوروبا منذ 200,000 سنة. وقد ظهر على المسرح منذ 40,000 سنة مضت منافسٌ جديدٌ لإنسان نياندرثال، عُرِفَ بإنسان كرومانيون Cro-Magnon الذي عُثِرَ عليه في أحد كهوف كرومانيون بفرنسا، وهو من مستوى عقلي أعلى من إنسان نياندرثال، وأدواته وأسلحته أكثر تطوراً. غزا هذا الكائنُ الشبيهُ بالإنسان الشّرقَ وأمعنَ في قتل أناسيّ نياندرثال، ومن بقي منهم حيّاً هرب إلى أماكنَ نائيةٍ من العالم. ولقد كانت تلك مقتلة كبيرة تشهد لها المدافن التي ضمت جماجم



البروفيسور سترينجر يعالج بقايا عظمية لإنسان نياندرثال

مكسورة لإنسان نياندرثال. وقد أثبت العلماء من خلال المقارنة التي أجروها على البقايا الحفرية أنّه لا يمكن أن يكون ثمة تهجين حدث بين إنسان نياندرثال وأسلاف الإنسان الحديث. وما لم يُعثر على مومياء متكاملة فإن كلّ الدعاوى تبقى محض ظنون.

وفي سنة 1995 عُثِرَ على مومياء في كتلة جليدية بمنطقة جبلية في وسط منغوليا يعود عمرها إلى 4000 سنة مضت. وكان للمومياء شعر أحمر طويل يصل إلى الكتفين، مع وجود وشم على السّاعدين.

والمثير في هذا هو أنّ بعض الأجزاء الداخلية وكثير من أجزاء المخ مصنوع من موادّ اصطناعية مجهولة. ولعلها خُلِقَت بأسلوب حكيم خلال عمليات معقّدة، عمليات أُنجِزَت بمستوىً عالٍ من التكامل إذا ما قورن بالعمليات اليوم. وقد قام الباحثان جوستين مانرز Justin Manners من الولايات المتحدة، وكنت جيننغز Kent Jennings من بريطانيا بدراسة المومياء، وقالا إنّ جراحة ميكانيكية أجريت على المومياء صُمّمت لخلق إنسان جزء منه بشريّ وجزء آخر آليّ Cyborg. ويقول العلماء أنّ تلك المومياء ربما كانت في حياتها أشبه بالإنسان الآلي (الروبوت). وليس لدينا في الوقت الحاضر ما يُثبت حضور كائنات من الفضاء الخارجيّ. وأول ما يأتي إلى الذهن تلك الكائنات التي تُذكر في الخيال العلمي وتُعرف باسم يوفو UFOs القادمة من كواكب أخرى».

خدع وأكاذيب عن أعمار ملفّقة لحفريات قديمة

في مطلع سنة 2005 أُعلن عن فضيحة بطلها البروفيسور راينر رودولف بروتش Reiner Rudolph Protsch أستاذ الانثروبولوجيا في جامعة فرانكفورت لمدة ثلاثين سنة. وقد أجبر بعد هذه الفضيحة على الاستقالة في خزيٍ.

وقد زعم بروتش أنه عثر على بقايا جمجمة في مستنقع يعود عمرها إلى 36,000 سنة تعتبر في نظره الحلقة الحيوية المفقودة بين الإنسان الحديث وإنسان نياندرثال. وقد تبيّن أنّ عمر تلك الجمجمة لا يتجاوز 7,500 سنة بحسب التقدير الذي وضعته وحدة التأريخ الكربوني بجامعة أكسفورد، حيث أرسلت لها حفريات عديدة لمعرفة عمرها التاريخي. والبروفيسور بروتش متهم بوضع أعمار وهمية طويلة لحفريات كثيرة بشكل خادع. فهو مثلاً يزعم أنه عثر على هيكل عظميّ لأنثى ماتت بقرب قرية سبير Speyer بجنوب غرب ألمانيا قبل 19,300 سنة قبل الميلاد. وقد تبيّن أنّ عمر بقايا هيكل المرأة المذكورة لا يتجاوز 1,300 سنة قبل الميلاد. كما زعم أيضاً أنّ عمر جمجمة اكتُشِفت بقرب بادربورن Paderborn في سنة 1976 يبلغ 27,400 سنة، وهذا يُعدّ أقدم بقايا بشرية وُجِدت في تلك المنطقة. وقد تبيّن الآن أنّ تلك البقايا ترجع إلى منتصف القرن الثامن عشر.



راينر رودولف

وعندما حققت اللجنة المكلّفة من جامعة فرانكفورت بالتحقيق مع بروتش تبيّن أنه يجهل استعمال آلة التأريخ الكربوني. وفضلاً عن دفع بروتش إلى الاستقالة من الجامعة فإنّ الشرطة الألمانية ما

تزال تحقق معه في بيع 278 جمجمة لقردة وشمبانزي من ممتلكات الجامعة لأحد العملاء الأمريكيين.

العمود الجيولوجي يدحض مزاعم التطوريين

أحد البراهين الشائعة عند التطوريين لإثبات صحة نظرية التطوّر قولهم إنه كلما حفرنا أعمق داخل الطبقات الصخرية، نجد أن المواد العضوية الأبسط تتزايد بشكل أكبر. وهذا ما يسمونه بالعمود الجيولوجي Geological Column. ولكن في الواقع العملي الحقيقي لا يوجد هذا العمود بشكل دائم في كلّ مكان على الأرض. وفكرة العمود الجيولوجي أن التطوريين يفترضون وجود أنواع معينة من الحفريات في كلّ طبقة من الطبقات الصخرية. وتختلف تلك الحفريات من طبقة إلى أخرى. وإذا وُجدت مثلاً حفرية في طبقةٍ ما، ووجدت الحفرية نفسها في طبقة أخرى في مكان آخر قال الجيولوجيون وعلماء الحفريات أن الطبقتين ترجعان إلى تاريخ جيولوجيّ واحد.

ولكن بسبب التصدّعات والانكسارات والفوالق التي حدثت في الطبقات الأرضية السفلى، تباعدت الطبقات المتماثلة والمتشابهة. والذي يدلّ على ذلك وجود الحفريات في كليهما.

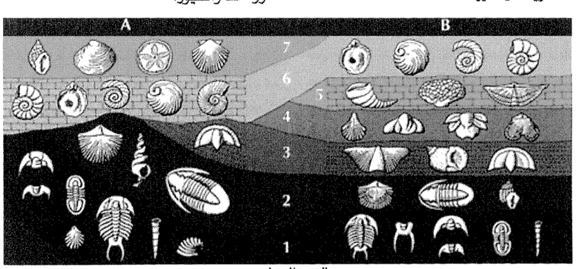
والواقع العملي يثبت فساد هذه الافتراضات، فقد وُجدت كائنات حيّة راقية في طبقات دُنيا، وكائنات بدائية في طبقات عليا.

كما وُجدت بقايا وآثار بشرية في طبقات صخرية وُجِدَت فيها بقايا عظام ديناصورات. والتطوريون يزعمون أن الديناصورات وُجدت على الأرض قبل وجود الإنسان بملايين السنين. والذي يترتب على هذا أحد خيارين: إمّا أن يُسلّم التطوريون بظهور الإنسان في عصر الديناصورات، أو أن يُسلموا بفساد العمود الجيولوجي الذي افترضوا وجوده، والخياران أحلاهما مرّ.

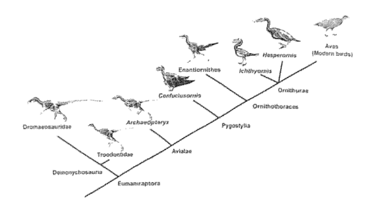
طائر الأركيوبتركس Archaeopteryx والديناصورات

يدّعي علماء التطوّر أنّ الطيور التي نراها اليوم هي كائنات متطوّرة من الديناصورات.

كما يزعم التطوريون أن حفرية الأركيوبتركس Archaeopteryx التي يبلغ عمرها 150 مليون سنة أعظم دليل حفريّ على التطوّر منذ القرن التاسع عشر وأنّها تحمل بعض خصائص الزواحف، ولذلك اعتبر هذا النوع من الطيور المنقرضة الحلقة المفقودة بين الزواحف والطيور.



العمود الجيولوجي

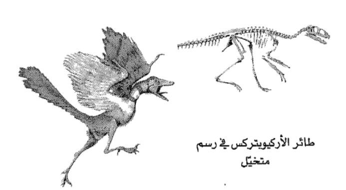


وهذا الزعم لم يثبت حيث تبيّن من خلال طيور حالية أنّ الأركيوبتركس هو طائر مجنّح كامل. وفضلاً عن ذلك، فإنّ نوعاً من الديناصورات Coelosaurs، وهي السلف الزاحف المزعوم للطيور، هو أحدث عمراً من طائر الأركيوبتركس بحسب ظهورها في سجل الحفريات، وهو ما يُحاول أن يتجنبه التطوريون.

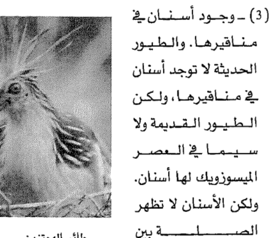
والسبب في زعمهم أنّ طائر الأركيوبتركس متطوّر عن الزواحف وجود أعضاء وصفات مشتركة ليست موجودة في الطيور، وهي:

(1) ـ وجود ذيل عظمي طويل مثل الزواحف. وقد ثبت أنّ بعض الطيور لها ذيل طويل.

(2) ـ وجود مخالب في أرجلها، ومخالب في أطراف أجنحتها. وقد تبيّن أن بعض فصائل الطيور الموجودة اليوم لها مخالب في أجنحتها، فضلاً عن وجود المخالب في أرجل الطيور الجارحة، مثل طائر الهواتزين Hoatzin الموجود في فنزويلا، والتوراكو Touraco في أفريقيا. وفي سنة 1983 عرض المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي أنواعاً عديدة من عائلات الطيور التي تحتوي أطراف أجنحتها على مخالب.



طائر الأركيوبتركس في رسم متخيّل

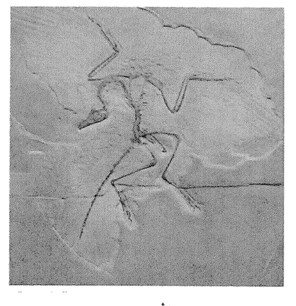


(3) ـ وجود أسنان في مناقيرها. والطيور الحديثة لا توجد أسنان في مناقيرها، ولكن الطيور القديمة ولا سيما في العصر الميسوزويك لها أسنان. ولكن الأسنان لا تظهر الصلة بين الأركيوبتركس والحيوانات الأخرى لأن بعض الأصناف المندرجة تحت أصناف أخرى من الحيوانات الفقرية بعضها فيه أسنان وبعضها لا يوجد فيه أسنان.

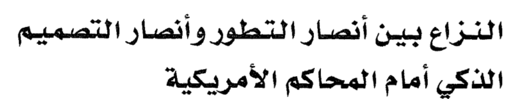


طائر الهوتزين

(4) ـ عظامها صُلبة وليست مجوّفة كالطيور. وهذه الفكرة مرفوضة لأن عظام الأركيوبتركس الطويلة معروف الآن أنها مجوّفة.



حفرية الأركيوبتركس



النزاع بين أنصار التطور وأنصار التصميم الذكي أمام المحاكم الأمريكية



أشتد النزاع مؤخراً بين الداروينيين أنصار نظرية التطور، وأنصار نظرية التصميم الذكي، وانتقل النزاع من الجدل العلمي إلى ساحات المحاكم والقضاء.

في أغسطس 1999 أجرت منظمة غالوب Gallup Organisation استطلاع رأي حول تدريس نظرية الخلق في المدارس العامة، فكانت النتيجة على هذا النحو:

الموضوع	مؤيد	ضد	لا رأي
تعليم نظرية الخلق والتطور معاً	٪68	٪29	3
تعليم نظرية الخلق بدلاً من التطور	٪40	٪ 55	٪5

وقامت مؤسسة DYG Inc. وهي شركة تقوم باستطلاعات للرأي، بإجراء استطلاع للرأي بين البالغين في أعقاب القرار الذي اتخذه مجلس التعليم بولاية كانساس الذي يقضي بعدم الحاجة إلى تعليم نظرية التطور في المدارس العامة بالولاية. وقد أسفر التصويت عن النتائج الآتية:

- ❖ نصف الأمريكيين البالغين لم يسمعوا مطلقاً عن «علم الخلق».
- ❖ 60 ضد قرار مجلس ولاية كانساس للتعليم القاضي بإسقاط نظرية التطور من المعايير العلمية بالولاية.
- ❖ 83 ٪ يعتقدون أن التطور ينبغي أن يُدرّس في المدارس العامة، من بين هؤلاء:
- ❖ 20 ٪ يقولون إن التطور فقط ينبغي أن يُدرّس في المدارس.
- ❖ 17 ٪ يقولون إن التطور فقط ينبغي أن يُدرّس في الفصول العلمية، وعلم الخلق ينبغي أن يُدرس في الفصول الأخرى غير العلمية.
- ❖ 29 ٪ يسمحون بتدريس النظريتين كلتيهما داخل الفصول العلمية.نظرية التطور باعتبارها نظرية علمية، ونظرية علم الخلق باعتبارها عقيدة.
- ❖ حوالي 70٪ يشعرون بأن نظرية التطور ونظرية علم الخلق ستنسجمان معاً.
- ❖ أقل من 30٪ يرون تدريس علم الخلق في الفصول العلميّة كاعتقاد علمي.
- ❖ 13 ٪ يريدون تدريس كلتا النظريتين باعتبارهما علماً.
- ❖ 16 ٪ يريدون تدريس نظرية علم الخلق باعتبارها وحدها النظرية العلمية.

وفي يناير 2002 أجرت القناة الأولى للأخبار Channel One News استطلاعاً شمل 12,000 مدرسة عامة في الولايات المتحدة، حول السؤال الآتي:

أي نظرية ينبغي أن تُدرّس في المدارس؟ نظرية الخلق ؟ ام نظرية التطوّر، أم نظرية الخلق والتطور معاً ؟ فكانت النتيجة على النحو الآتي:

تدريس نظرية الخلق فقط	تدريس نظرية التطور فقط	تدريسهما معاً
٪31	٪17	٪52

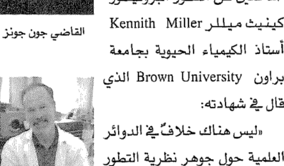
وفي الثامن عشر من شهر التمور/ أكتوبر 2004 أصدر مجلس مديري المدارس بمقاطعة دوفر قراراً بناء على تصويت أعضاء المجلس (4 أصوات مقابل 3) يقضي بما يلي:

«ينبغي أن يُنبّه الطلاب في المدارس إلى وجود فجوات ومشاكل في نظرية داروين، وفي نظريات التطور الأخرى بما فيها نظرية التصميم الذكيّ. (ملاحظة: أصل الحياة لا يُدرّس)».

وفي التاسع عشر من شهر الحرث/ نوفمبر 2004 أعلن المجلس المذكور أنه ابتداءً من أول أينار/ يناير 2005 يُطلب من المعلّمين قراءة العبارة الآتية على تلاميذ الفصل التاسع في مادة البيولوجيا في المدارس الثانوية بدوفر:

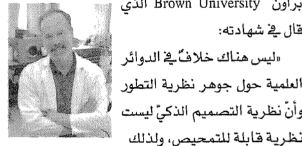
«تقضي المعايير الأكاديمية في ولاية بنسلفانيا تدريس الطلاب نظرية التطور لداروين وإجراء الامتحان فيها. ولأن نظرية التطور مجرد نظرية، فإن اختبارها والتأكد من صحتها يستمر كلما اكتشف دليلٌ جديد. والنظرية ليست حقيقة. والفجوات موجودة في النظرية لانعدام الدليل. ونظرية التصميم الذكيّ هي تفسير لأصل الحياة يختلف عن مذهب داروين. وكتاب Pandas and People متوفر للطلاب الذين قد يرغبون في فهم ما يترتب على نظرية التصميم الذكيّ. ومع احترام أي نظرية، يُشجّع الطلاب على فتح عقولهم وأذهانهم. وتترك المدرسة مناقشة أصل الحياة للتلاميذ الذين يريدون ذلك ولأسرهم.»».

وفي 14 الكانون/ ديسمبر 2004 أقيمت دعوى ضد هذا القرار أمام محكمة المقاطعة بوسط بنسلفانيا التي أصدر قاضيها جون جونز John Jones في 20 / 12 / 2005 حكماً بناء على المواد (2201، 2202) S.C28، و(1983) U.S.C 42 لمصلحة المدّعي يقضي بأن سياسة تدريس نظرية التصميم الذكي التي يقدمها المدّعى عليه تنتهك التعديل الأول لدستور الولايات المتحدة، والمبدأ رقم 1، 3 من دستور الكومنولث لبنسلفانيا.



القاضي جون جونز

وكان من الشهود الذين استمعت المحكمة إليهم من المدافعين عن التطور البروفيسور كينيث ميللر Kennith Miller أستاذ الكيمياء الحيوية بجامعة براون Brown University الذي قال في شهادته:



كينيث ميللر

«ليس هناك خلافٌ في الدوائر العلمية حول جوهر نظرية التطور وأنّ نظرية التصميم الذكيّ ليست نظرية قابلة للتمحيص، ولذلك فقد رُفِضَت من قِبَلِ العُلَماء.».

أنصار نظرية التطور في أستراليا يقرعون أجراس الخطر

لم ترفض نظرية التصميم الذكي من التدريس في المدارس الأمريكية بموجب الحكم الذي أصدره القاضي جون جونز بناءً على أنها لا تقوم على أسس علميّة كما يزعم أنصار الداروينية. ولكنها رُفِضَت لمخالفتها لدستور الولايات المتحدة الأمريكية الذي يقضي بعلمانية الدولة، وبفصل الدين عنها. وذلك ما جاء صراحةً في منطوق الحكم القضائي المشار إليه والوارد في آخر صفحة من حيثيات القضية ص 139.

ولذلك تنادى أنصار التطور، في بلدان كثيرة، لمناهضة نظرية التصميم الذكي إحساساً منهم بأن نظرية التطور ربحت جولة قضائية وليست معركة علمية.

ففي إئتلاف ضمّ أكثر من 70,000 من العلماء الأستراليين والمعلمين طُلِبَ من المدارس عدم تدريس

نظرية التصميم الذكي على أنها علم لأنها فشلت في إثبات كونها نظرية علمية. وقاموا في 20 التمور/ أكتوبر 2005 بطبع رسالة مفتوحة نُشِرت في كبريات الصحف الأسترالية ، قام بالتوقيع عليها نخبة من الأساتذة والباحثين على رأسهم عميد كلية العلوم بجامعة ويلز نيو ساوث البروفيسور مايكل آرتشر Michael Archer والبروفيسور سو سيرجنتسون Sue Serjeantson المديرة التنفيذية لأكاديمية العلوم الأسترالية، وبرادلي سميث Bradley Smith المدير التنفيذي لفيدرالية العلوم الأسترالية والجمعيات التكنولوجية . وقد جاء في خاتمة هذه الرسالة ما يلي: «وعليه، فإننا نُهيب بالحكومة الأسترالية ومؤسساتها التعليمية ألا تسمح بتدريس نظرية التصميم الذكيّ. والقبول بتدريس هذه النظرية يعني القبول بتدريس وجهات نظر غير علمية مماثلة كالتنجيم، وثني الملاعق، وأنّ الأرض مسطحة».

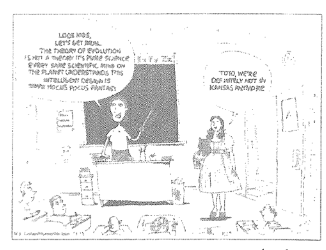
نظرية التطور ونظرية التصميم الذكي في الرسوم الكاريكاتورية

لم يكن الإعلام في أمريكا واوروبا بمعزلٍ عن الصراع الدائر بين أنصار النظريتين، لا سيما بعد صدور الحكم القضائي في ولاية بنسلفانيا بحظر تدريس نظرية التصميم الذكي في المدارس. وقد حفلت الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة بمظاهر هذا الصراع، حيث عكست رأي الفريقين. ولعلّ الرسوم الكاريكاتورية أكثر تعبيراً عن مبلغ هذه الأزمة التي ستتفاقم في المستقبل، وأنها ستؤدي في نهاية المطاف لا محالة إلى تعديلٍ جوهريّ في الدستور الأمريكي الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة بسبب التناقض الذي وقع فيه وهو دفاع المؤسسات القضائية عن نظرية التطور ذات النزعة الإلحادية مع تصدعها العلمي، وتهاوي أركانها يوماً بعد يوم بسبب التطور العلمي المتسارع الذي بات يقترب شيئاً فشيئاً من نظرية الخلق المستقل، وبمعنىً آخر من الدين، وذلك ما يتعارض مع الفلسفة التي بنيت عليها الدساتير العلمانية.



بعد صدور الحكم بمنع دراسة التصميم الذكي:
ولكنك ما زلت حراً في دراسة التصميم الذكي

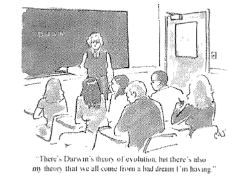




انظروا أيها الأطفال، نظرية التطور ليست مجرد نظرية. إنها علم حقيقي وكل عقل علمي على الأرض يفهم ذلك. والتصميم الذكي خيال وهراء

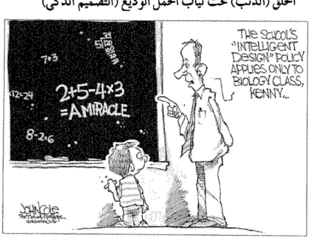


الخلق (الذئب) تحت ثياب الحمل الوديع (التصميم الذكي)



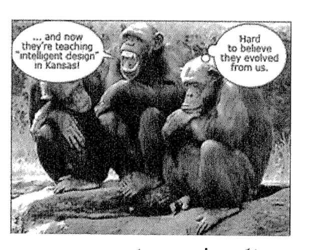
"There's Darwin's theory of evolution, but there's also my theory that we all come from a bad dream I'm having."

هناك نظرية داروين للتطور، ولكن هناك أيضاً نظريتي وهي أننا جميعاً أتينا من حلم رديء رأيته



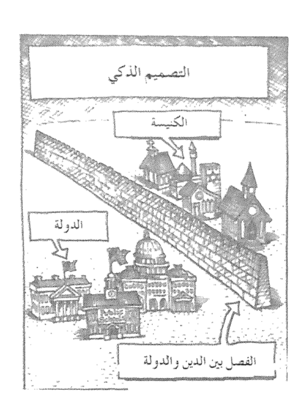
كيني سياسة المدرسة في التصميم الذكي تطبق فقط في فصل البيولوجيا

2 + 5 – 4 × 3= معجزة



ـ يشق عليّ تصديق أنهم انحدروا منّا

ـ وهم الآن يدرسون التصميم الذكي في كانساس!!



أدلة التصميم الذكي

PROOF of "INTELLIGENT DESIGN"

EVOLUTION IS AN ATHEIST PLOT!

DARWIN IZ DUM!

EARTH: A SIX DAY JOB

WE HAVEN'T EVOLVED

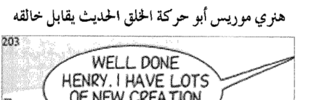
SCIENTISTS: REPENT!

- داروين مغفل
- التطور مكيدة إلحادية
- العلماء زواحف



- الغوريلا المسلوب الحق: هذا الرجل يدعي نسبي. وهو يقول إنه انحدر مني.
- والآن يا سيد داروين، كيف تهينه هكذا؟

هنري موريس أبو حركة الخلق الحديث يقابل خالقه





أحسنت صنعاً هنري، لديّ كثير من الخلق الجديد أريك إياه

نظرية التطور في الفكر العربي الحديث


داروين في أواخر أيامه

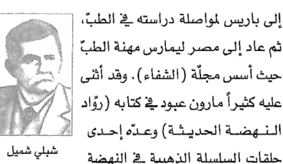
لم يكن العالم العربي بعيداً عما يجري في العالم من جدلٍ حول نظرية التطوّر التي عُرِفت عند المفكرين العرب باسم نظرية النشوء والارتقاء. وليس من الغريب أن يتناول أولئك المفكرون هذه النظرية بعد فترة قصيرة من صدور كتاب (أصل الأنواع) لتشارلز داروين في العقد الأخير من القرن التاسع عشر واستمر الجدل محتدماً إلى ستينيات القرن العشرين، ولما ينته بعد.

وقد أصاب الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (الإنسان في القرآن الكريم ص 97) حيث قال: «قلما يتصور القارئ العصري أنّ مذهباً كمذهب التطور يشيع في الشرق العربي قبل مائة سنة، ويتصدى للردّ عليه عدد من الكتّاب كذلك العدد الذي بقيت لنا بعض كتاباته وانطوى أكثرها في زوايا المطبوعات المهجورة من المصنفات والنشرات الصحفيّة، لأن القارئ العصريّ يحسب أن مذهب التطوّر قد وصل إلى الأمم الشرقية وهي في «جاهلية» لا تبلغها دعوة عالم أو مفكّر من أبناء الأمم الأجنبيّة، ولكن الواقع أنّ «جاهليّة» القرن التاسع عشر لم تكن في شرقنا العربي حجاباً دون المذاهب الفكريّة التي يطلع عليها الأوروبيّ المثقف في حينها، ولم يكن مذهبٌ كمذهب التطور لينعزل في حيّز محدود بين جدران وطن واحد وهو يتحدث عن نسب الإنسان حيثما كان..».

صدى نظرية التطور في الشرق العربي والإسلامي

شبلي شميّل (1853 - 1917)

شبلي بن إبراهيم شميّل وُلِد في بيروت، ومات في مصر. ويُعدُّ أشهر المدافعين عن التطور في الشرق والمناصرين له، ولعلّه أوّل من عرّفَ العربَ بداروين ودعا إلى نظريته في النشوء والارتقاء. درس الطبَّ في الكليّة السورية الإنجيلية التي أسسها البروتستانت الأمريكان، وتخرّج طبيباً عام 1871. سافر في عام 1875 إلى باريس لمواصلة دراسته في الطبّ، ثم عاد إلى مصر ليمارس مهنة الطبّ حيث أسس مجلّة (الشفاء). وقد أثنى عليه كثيراً مارون عبود في كتابه (روّاد النهضة الحديثة) وعدّه إحدى حلقات السلسلة الذهبية في النهضة الحديثة. يقول مارون عبود: «في سنة 1871 ترك شبلي المدرسة إذ صار طبيباً جسمانيّاً، ثم عالماً صريحاً،


شبلي شميل

وفيلسوفاً جريئاً لا يُحابي أحداً. كان حادّ الذهن، سريع التصوّر، نابغة في التعليل، ألمعياً في اكتشاف الحقائق. وكان أشهر الأطباء في التشخيص الطبي فكأنما يُوحى إليه. وبلغت منه الفراسة أنه علّل حوادث كثيرة بالاستهواء الذاتيّ قبل شيوع هذا العلم في أوروبا.. وهذا النابغة العظيم هو زعيم فكرة التطوّر والنشوء والارتقاء في عالم الضّاد. حاز شهادة الطب يوم كانت معركة النشوء والارتقاء حامية الوطيس في الغرب، فنقل رحاها إلى الشرق».

في سنة 1885 صدرت الطبعة الأولى من كتابه الخطير (فلسفة النشوء والارتقاء) أي بعد خمس وعشرين سنة فقط من صدور كتاب أصل الأنواع لداروين (1859). وفي سنة 1910 أعادت طبعه مجلة (المقتطف) التي يرأسها صديقه يعقوب صرّوف الذي كان يتلقّى العلمَ معه في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت والتي عُرِفت فيما بعد باسم (الجامعة الأمريكية). وقد ضمت هذه الطبعة مقدمة الطبعة الأولى والثانية وكتابه (شرح بخنر على مذهب داروين)، ورسالة (الحقيقة) التي ردّ فيها على منتقديه. وقامت مؤخراً دار الجيل بإعادة نشر كتابه (فلسفة النشوء والارتقاء).

وقد وصفه الأستاذ العقاد في كتابه (الإنسان في القرآن الكريم) بقوله: «أما أنصار مذهب النشوء في الشرق العربي فقد كان أشهرهم وأفصحهم بياناً الدكتور شبلي شميّل وقد كاد يسبق داروين وأصحابه إلى الأخذ بالنظريات النشوئية على علاتها، وقد سبق الماديين الغربيين إلى نفي كلّ صفة روحية ، أو غيبية في الإنسان، إذ قال في مقدمة ترجمته لشرح بخنر على مذهب داروين « إنّ الإنسان على رأي هذا المذهب طبيعيّ هو وكلّ ما فيه مكتسَب من الطبيعة. وهذه الحقيقة لم يبق سبيل للريب فيها اليوم، ولو أصرّ على إنكارها من لا يزال مفعول التعاليم القديمة راسخاً في ذهنه رسوخ النقش في الحجر».

جمال الدين الأفغاني (1838 ـ 1897)


جمال الدين الأفغاني

يُعد السيد جمال الدين الأفغاني أيضاً من أوائل الكاتبين الذين تناولوا نظرية داروين بالردّ في كتابه الشهير (الردّ على الدهريين). وهو وإن لم يكن مخصّصاً للرد على نظرية التطور ابتداءً، إلا أنه تناولها بالنقد بشكلٍ عام قد يخلو أحياناً من الدقة مما يوحي بأن الأفغاني لم يطّلع على كتاب (أصل الأنواع)، وإنما عرف شيئاً يسيراً من محتوياته مما نُقِلَ إليه. وردّ الأفغانيٌّ على داروين يعتمد على العقل والاستنتاج المنطقي، وليس على نتائج العلوم التجريبية كعلم الأحياء والجيولوجيا، والكيمياء التي لم يكن على دراية بها. ومع ذلك فإن بعض ردوده لا تخلو من وجاهة، وتدلّ على عقل كبير كدفعه لفكرة أنّ الأعضاء تضمحل وتختفي بالإهمال وعدم الاستعمال.

حسين الجسر الطرابلسي (1845 ـ 1909)


غلاف كتاب الرسالة الحميدية

حسين محمد الجسر عالم سنيّ من لبنان، عُرِفَ بتآليفه القيّمة في الدفاع عن الإسلام، ومن أشهرها كتابه (الحصون الحميدية). وكان رحمه الله من أوائل المسلمين الذين درسوا نظرية التطوّر ، وكان من أكثر العلماء اعتدالاً في نقدها. وفي

سنة 1888 صنّف حسين الجسر كتابه المشهور (الرسالة الحميدية) في الردّ على المذاهب الماديّة متعرّضاً للداروينية باعتبارها من المذاهب المادية المحدثة. وقد لخّص العلامة نديم الجسر مفتي طرابلس أقوال أبيه في كتابه الذائع الصيت (قصة الإيمان). ولم يتجاسر عالم دينيّ قبل الشيخ حسين الجسر أن يقول: «إنّ مذهب داروين عند ثبوته لا يتناقض مع فكرة وجود الله الخالق الحق لكلّ شيء». والجسر لا يرى أنّ مذهب النشوء والارتقاء، وما جاء فيه عن أصل أنواع الإنسان والحياة ينطوي على أمورٍ بعيدةٍ عن الحقيقة، أو متعارضة مع أحكام الدين تعارضاً قطعيّاً كما يحسب البعض. فالجسر يرى أنّ الأمر المهم الضروريّ هو أن نعتقد بأنّ الله تعالى هو الخالق للعالم، ولما فيه من أنواع. وبعد هذا الاعتقاد لا فرق بين القول بمذهب الخلق أو القول بمذهب النشوء والارتقاء من مادة أصلية خلقها الله تعالى، ثم كوّن منها الأنواع ، وفرّعها بطريق النشوء والارتقاء وفق نواميسَ وضعها الله في هذا الكون. ومع ذلك يرى الجسرُ أن مذهب النشوء والارتقاء لا يزال مذهباً مختلفاً في صحته، ولم تقم عليه الدلائل القاطعة، التي من شأنها أن تحملنا على تأويل ظاهر النصوص المنزّلة، وأنه متى قامت الدلائل القاطعة على صحة هذا المذهب جاز القولُ بهِ ، ووجب تأويل النصوص والتوفيق بينها وبين ما قام عليه الدليل القاطع. واليوم، وبعد انقضاء قرن ونصف على صدور كتاب (أصل الأنواع)، لا تزال نظرية التطور مجرد نظرية، بل أكثر ضعفاً ووهناً.

إبراهيم الحوراني (1844 - 1916)

بعد سنة من صدور كتاب شبلي شميّل (فلسفة النشوء والارتقاء) وفي سنة 1886 أصدر إبراهيم بن عيسى الحوراني من علماء حمص وأدبائها كتاباً في الرد على شبلي شميّل بعنوان (مناهج الحكماء في مذاهب النشوء والارتقاء) وأردفه بكتاب آخر هو (الحق اليقين في الرد على مذهب داروين).

جرجس فرج صفير (؟ - 1928)

في سنة 1890 أصدر الخوري جرجس بن فرج صفير الماروني أحد مدرسي الفلسفة في قرنة شهوان بلبنان كتابه (في أصل الإنسان والكائنات) في الرد على الدكتور شبلي شميّل، نهج فيه منهج الحوار بين خصمين سمى أحدهما الإنسانَ القرديّ، والآخرّ الإنسانَ الآدميَّ . وينتهي الجدل بين هذين الكائنين إلى عجز الإنسان القردي عن إقامة الدليل على تحدّر الإنسان الآدمي من سلالة متطورة من القردة، وينتهي أيضاً ببطلان صحة دعوى التطوّر التي يلهج بها شبلي شميل جرياً على رأي داروين.

محمد رضا آل العلامة التقي الأصفهاني (1870 - 1943)

بعد نحو ثلاثين سنة من صدور كتاب (الرد على الدهريين) للأفغاني صدر كتاب (نقض فلسفة داروين). لمحمد رضا بن محمد حسين بن محمد باقر الأصفهاني من علماء الإمامية بالنجف. يقول العقاد: «هو باحث فاضل من علماء الشيعة تحرّى النظر في مجموعة وافية من مراجع مذهب النشوء العربية والإفرنجية التي وصلت إلى الشرق الإسلامي بعد كتاب (الرد على الدهريين) . ولم يقنع بما اطّلع عليه من هذه المراجع ، بل أرسلَ في طَلَبِ غيرها من المراجع المستحدثة، ولكنه ألّف كتابه ولم ينتظر وصولها إليه لولا الباعث الدينيّ كما جاء في مقدمة الكتاب». ويرى

المؤلف في هذا الكتاب أنّ مذهب النشوء ليس من مذاهب الإلحاد، لأن القول بالنشوء لا يقتضي إنكار الخالق، وإنما يتسرّبُ إليه الإلحاد من تفسيرات الماديين لمقدماته على الوجه الذي يوافق نتائجهم المقررة عندهم قبل ظهوره. ويرى أنه «لم يرد نصّ صريح من الكتاب ولا متواتر من السنة في كيفية الخلق، أو أنّ هذه الأنواع كلها خُلقت خلقاً مستقلاً، ووجِدَت من العدَم ابتداءً، وسواء كانت آباء الجمل جمالاً، أو كانت ضفادع تنقّ في الماء، فإنّ أدلّة الصنع عليهما في الحالين ظاهرة، وفيها على وجود الصانع الحكيم آيات باهرة. وأنّ فرحة الملاحدة بهذه الآراء وجعلها أساساً للإلحاد من أغرب الأشياء».

الأسقف خير الله أسطفان

من نصارى الشرق الذين تعرضوا لنظرية التطور الأسقف خير الله أصطفان الذي أصدر كتاباً بعنوان (صفوة علم اليقين في حقيقة مذهب داروين) في سنة 1929. وقد ساق جملة من البراهين على رفض تحوّل الإنسان عن غيره من الحيوان، وطالب بالحلقة المفقودة التي توصل بين الإنسان والحيوان التي «لم يُرَ لها أثرٌ أو عينٌ بين الأحياء ولا بين الأموات، لا في الأحافير ولا في المتحجرات». ويرى الأسقف أن مذهب النشوء لا يناقض الدين إذا ثبت.

إسماعيل مظهر (1891 ـ 1962)

إسماعيل مظهر، باحث مصري، صاحب مجلة (العصور) الشهيرة. درس في أول حياته العلمية علوم الأحياء ثم تحول إلى الأدب والفلسفة. اقترن اسمه بنظرية التطوّر لأنه أوّل من قام بترجمة كتاب (أصل الأنواع) لداروين سنة 1918 وأعيد طبعه في سنة 1928. ومن مؤلفاته (قاموس النهضة 1954)، و(قاموس الجمل والعبارات الاصطلاحية الإنجليزية والعربية 1951)، وله مؤلفات عديدة أخرى. وكان إسماعيل مظهر يميل إلى التوفيق بين نظرية التطور والدين.

سلامة موسى (1887 ـ 1958)


سلامة موسى

سلامة موسى كاتب مصري ليبرالي وأحد دعاة الاشتراكية الفابية في مصر، وأحد طلائع العلمانية فيها. تخرّج في مدرسة يعقوب صروف التي تمثلها مجلة (المقتطف)، ومدرسة فرح أنطون التي تمثلها مجلة (الجامعة)، ومدرسة جورجي زيدان التي تمثلها مجلة (الهلال). تأثر ببرنارد شو، وجورج ويلز، وفريدريك نيتشه، وقد أثنى بإعجاب على هؤلاء وآخرين في كتابه (هؤلاء علموني). ولم يخف تأثيرهم في مؤلفاته التي كان أولها (مقدمة السوبرمان) الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1910 عن دار الهلال، وكتابه (نشوء فكرة الله) الذي صدر عن دار الأخبار سنة 1912 ، وكتابه (الاشتراكية) الذي صدر عن الدار المصرية الأهلية سنة 1912. وقد تجاوزت مؤلفاته الأربعين من بينها كتابه (نظرية التطور وأصل الإنسان) الذي صدرت طبعته الأولى عن المطبعة العصرية سنة 1957. وقد توسّع سلامة موسى في مفهوم التطور، كما فعل هربرت سبنسر، حيث تجاوز التطور عالم الأحياء إلى عالم الاجتماع الإنساني. وقد بلغ به الإفراط في الإيمان بنظرية التطور أن قال في كتابه (اليوم والغد): «إني أؤمن بنظرية التطور. وربما كان أكبر ما يدفعني إلى الإيمان بها أنها ليست من الحقائق العلميّة فقط، بل

إنها نظرية الرجاء والتواضع. ومعنى ذلك أنني أؤمن بها للغريزة الدينيّة التي في نفسي.». ويقول في كتابه (نظرية التطور وأصل الإنسان) ص 21: «فالإحساس بحقيقة التطوّر هو نوعٌ من الديانة الطبيعيّة، بها نشعر أننا وجميع الأحياء أسرة واحدة نشترك وإياها في وحدة وجودية».

جميل صدقي الزهاوي (1863 - 1936)


جميل صدقي الزهاوي

جميل صدقي الزهاوي شاعر عراقي ينحدر من أصول كردية، له شعر كثير يغلب عليه الطابع الفلسفي وإن لم يكن الرجل فيلسوفاً بالمعنى الحقيقي. وكان مضطرباً في تفكيره متناقضاً في آرائه. وقد أثار جدلاً كبيراً في الأوساط العلمية والثقافية في مصر والعراق، ورُمي بالإلحاد والزندقة. ولم يكن له حظ من اللغات إلا معرفته بالعربية والتركية، ولذا كان أكثر ما اطلع عليه من تآليف الغرب في الفكر والأدب ما تُرجم في وقته لهاتين اللغتين. وله عدد من المصنفات المطبوعة والمخطوطة من أشهرها كتابه (الكائنات) قامت بطبعه مجلة المقتطف في سنة 1896، وهو ينقسم إلى ستة أقسام ويقع في نحو 230 صفحة، عالج فيه موضوعات علمية بمنطق فلسفي، كماهية الفضاء، والزمان، والمادة، والقوة، والحياة. وله رسالة صغيرة في الرد على منكري التوسّل والكرامات والخوارق، عنوانها (الفجر الصادق) كتبها تزلفاً للسلطان عبد الحميد ونكايةً في أتباع الوهابية لأن موضوعها لا ينسجم مع فلسفته المادية التي يدعو إليها والتي تستخف بالغيبيات، ولذلك تنصّل بعد زمنٍ منها، وقال بعد زوال المحاذير إنه اضطرّ إلى ذلك اضطراراً. والعجيب أن الرصافي الشاعر قرّظ هذا الكتاب ببيتين من الشعر أثبتا على غلافه. وله من المؤلفات عدد من الدواوين الشعرية، كان أولها (الكلم المنظوم)، و(الأوشال)، و(الرباعيات)، و(اللباب)، و (الثمالة)، و(نزغات إبليس) الذي عهد إلى سلامة موسى بطبعه بعد وفاته خوفاً من آثار وقعه في النفوس بعد طبعه. وله من المؤلفات أيضاً رسالة (الخط الجديد) نُشِرت في الجزء العاشر من السنة العشرين من مجلة المقتطف (1896/10/1) دعا فيها إلى تغيير الخط العربي بخطٍ آخر ابتدعه، وقد أثارت هذه الرسالة زوبعة فكرية كبيرة.

والزهاوي من المأخوذين بنظرية التطوّر، ولولعه بها كتب قصيدته الشهيرة (سليل القرد) التي نشرتها مجلة الرسالة في سنة 1936 وذلك قبل وفاته بقليل. وفيها يقول:

عاش في الغاب القردُ دهراً طويلا
قبل أن يلقى للرقيّ سبيلا
وُلِدَ القردُ قبل مليون عامٍ
بشراً فارتقى قليلاً قليلا
أيُّ شيءٍ ألمّ بالقِردِ حتى
هجَرَ الغابَ نَجْلُهُ والقَبيلا
إنه لولا العقلُ كان ضعيفا
وعليه الحياةُ عِبْئاً ثَقيلا
وعلى رجليه مشى بعد أن سا
رَ على أرْبَعٍ زماناً طويلا
اتخذ الصخرَ بعد نحتٍ سلاحاً
يتقي الوحْشَ ضارياً أن يغولا

إنّ عقلَ الإنسانِ خيرُ سلاحٍ
ولقد تفضُلُ العقولُ العقولا
يا له من تطوّرٍ حوّل الـ
قردَ لإنسانٍ يُحْسِنُ التخييلا
ولقد فارقَ القبيلةَ إلا
أنه ظلّ حَبْلُه موصولا
وَلدَتهُ عروسةُ الغابِ من قِرْ
دٍ جميلٍ فكانَ قِرْداً جميلا
عاشَ أبناؤه دهوراً وما إنْ
عرفوا تحريماً ولا تحليلا
بعد فجرِ الإنسانِ كانَ غُدوٌّ
وأرى أنّ للغُدوِّ أصيلا
دُوَلٌ فوق الأرضِ ذات احتشام
غير أني في خشيةٍ أن تزولا
إنني أخشى للنشوء انقلاباً
فيعود الإنسانُ قِرْدَاً كسولا

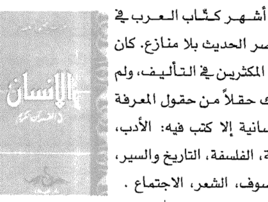
وفي قصيدة أخرى يقول:

يقولون إنّ النفسَ حقٌّ وجودُها
فلا ينبغي إنكارُها وجُحودُها
فقلتُ لهم هذا جميلٌ وعَلّه
خيالاتُ عَقْلٍ شاردٍ لا أريدها
ولم يَكُنِ الإنسانُ إلا ابنَ غابةٍ
على فجْأةٍ قد أنجبته قرودُها

وفي قصيدة ثانية يقول:

كلُّ ظني أنّ الحياةَ على الأر
ضِ بدت من تفاعُلِ الكيمياءِ
وهي ليست في كلّ ذلك إلا
مظهراً من مظاهرِ الكهرباءِ
ولّد الكهرباءُ في الأرضِ أحيا
ءً بدت قبلَ البرّ في الدأماءِ
ثمّ إنّ الحيوانَ بعد دهورٍ
صار إنساناً ماشياً باستواءِ
وقضت سُنّةُ الوراثةِ فيه
أن تكونَ الأبناءُ كالآباءِ

عباس محمود العقاد (1889 ـ 1964)


غلاف كتاب الإنسان في القرآن الكريم للعقاد

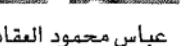
أشهر كتّاب العرب في العصر الحديث بلا منازع. كان من المكثرين في التأليف، ولم يترك حقلاً من حقول المعرفة الإنسانية إلا كتب فيه: الأدب، اللغة، الفلسفة، التاريخ والسير، التصوف، الشعر، الاجتماع.

وكان العقاد ـ رحمه الله ـ من أحسن من تكلّم عن نظرية التطور في كتابه (الإنسان في القرآن الكريم) بسبب إطلاعه الواسع على المؤلفات التي كتبها بالإنجليزية في وقته مؤيدو النظرية ومعارضوها.

وبعد أن استعرض العقاد المذاهب المختلفة في نظرية التطور، وأقوال المؤيدين لها والمعارضين، اختار التوقف وعدم إصدار حكم لها أو عليها ريثما تسفر البحوث اللاحقة عن صحتها أو بطلانها. يقول ص 120: «ولكنّ الكتّابَ الذين تناولوا هذا الموضوعَ من

الوجهة الدينيّة قد أخطأوا - دينيّاً وعلميّاً - في إنكارهم باسم الدين أموراً لا تزال قيد البحثِ بين الإثبات والنفي، ويجوز أن تُسْفِرَ بحوثُ الغدِ عن إثباتها بما يقطع الشكَّ فيها، كما يجوز أن ينفيها بما يزيل موضع الخلاف فيما بين عقائد الدين وحقائق العلوم». وليت العقادَ ادرك ما بلغته العلوم اليوم التي ما انفكّت تصف الداروينية بأنها خرافة، وخديعة، وأسطورة، وأكاذيب، كما مرّ بك آنفاً.





عباس محمود العقاد

محمد أحمد باشميل (1915 - 2005)

كاتب داعية له مصنفات قيّمة، منها: سلسلة معارك الإسلام الفاصلة (غزوة بدر، أحد، الأحزاب، بني قريظة)، وله كتاب (صراع مع الباطل)، وكتاب (لا، يا فتاة الحجاز)، وكتاب (لهيب الصراحة)، وكتاب (الإسلام ونظرية داروين). وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1964. استعرض باشميل الجوانب الإلحادية في نظرية التطور عند لا مارك، وهيكل، وبخنر. وبيّن، نقلاً عن بعض العلماء، فسادَ القول بالتولّد الذاتي، وبطلانَ قوانين التطور الأربعة: الانتخاب الطبيعي، تنازع البقاء، المطابقة، الوراثة. وينتهي كتاب (الإسلام ونظرية داروين) إلى ما وصل إليه العقاد وقبله حسين الجسر، وهو أنّ الخوضَ في هذه النظريّة، التي لا تتعدى محض الافتراضات ولا ترقى إلى القطع، لا طائل من ورائه.

غلاف كتاب الإسلام ونظرية داروين

محمد حسن آل ياسين (1931 - 2006)

كاتب عراقي شيعي له مؤلفات عديدة في الدفاع عن الإسلام في مواجهة الاتجاهات الماديّة. ومن مؤلفاته رسالة قيمة بعنوان (المادة بين الأزلية والحدوث)، و(هوامش على نقد الفكر الديني) وهو ردّ على صادق جلال العظم، و(الإسلام والسياسة)، و(الإسلام والرق) وقد اهتم بدراسة نظرية التطوّر فصنف في ذلك رسالته المفيدة (الإنسان بين الخلق والتطور) التي نُشِرت طبعتُها الأولى في بغداد سنة 1976. وقد أعيد طبعها بعد ذلك مرتين في القاهرة (1977)، وفي بيروت (1983)، وهي تقع في جزئين. وهو بعد أن يسوق أقوالاً لبعض العلماء للبرهنة على فساد القول بالتطور يخلص في نهاية الرسالة (ص 119) إلى القول بأنّ «التطوّر الدارويني، كما شرحه داروين، قد انهار تماماً تحت ضربات علم الوراثة الحديث، كما أنّ التطوّر القائم على الطفرة لم يقم على صحته دليل».



غلاف كتاب الإنسان بين الخلق والتطور

أنور عبد العليم

أنور عبد العليم، أستاذ مصري، وباحث في علوم البحار بكلية العلوم بجامعة القاهرة، ألّف كتابين في نظرية التطوّر هما: (قصة التطوّر) وهو الكتاب رقم 4 من سلسلة المكتبة الثقافية، وكتاب (قصة



غلاف كتاب قصة الحياة ونشأتها على الأرض

الحياة ونشأتها على الأرض) وهو الكتاب رقم 100 من السلسلة نفسها التي تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. وقد صدر هذا الكتاب الأخير في يناير 1964. يقول المؤلف في مطلع كتابه (قصة الحياة ونشأتها على الأرض): «لقد مرّ التفكير في أصل الحياة ونشأتها بمراحل عديدة على مدى العصور المختلفة، وفقاً لازدهار الفكر والثقافة الإنسانية في تلك العصور أو ركودهما. ولا ريب في أنّ بعض الآراء التي تواترت إلينا كانت فلسفية محض أو جدلية عقيمة. كما كان من هذه المراحل أيضاً الطور المعملي التجريبيّ بغية إثبات نشوء الحياة من مادة عديمة الحياة». ولا يرى الكاتب أن البحث في أصل النشوء يتنافى مع الدين، بل يذهب إلى أنّ الإيغال في مثل هذه الموضوعات يفضي في النهاية إلى إثبات الخالق بلغة الدين، أو الصانع بلغة الفلسفة.

ولم يفت الكاتب أن يتعرّض لبعض النظريات التطوريّة مثل نظرية أوبارين، ونظرية برنال.

هارون يحيى

أكبر عالم مسلم ينتقد الداروينية

ولد عدنان أوكطار في أنقرة عام 1956، وهو يعتبر من رجال الفكر البارزين في تركيا. ويولي عدنان أوكطار أهمية كبيرة للقيم الوطنية والأخلاقية، ويرى أن تبليغ هذه القيم المقدسة إلى الآخرين يعد رسالةً إنسانيةً. وقد بدأ صراعه الفكري منذ عام 1979 عندما كان طالباً في كلية الفنون الجميلة جامعة المعمار سنان. وطوال فترته الدراسية كانت الفلسفات والإيديولوجيات المادية هي المسيطرة على الساحة من حوله. وفي هذا المناخ قام بأبحاث مفصّلة حول تناقضات هذه الإيديولوجيات، و توصل في النهاية إلى أن الداروينية القائمة على نظرية (النشوء والارتقاء) هي التي تمثل تهديداً حقيقياً لقيمنا الوطنية والأخلاقية، وهي الأساس الذي بنيت عليه الإيديولوجيات المدّمرة، فأعدّ لذلك مجموعة من الكتب بيّن فيها الكوارث التي جلبتها هذه النظرية على تركيا والعالم، وأجاب فيها بشكل علمي على إدّعاءاتها الواهية وفضح تناقضاتها الصارخة.

وقد نشرت مجلة «New Scientist» في عددها الصادر في 22 أبريل 2000 مقالاً ذكرت فيه أنّ عدنان أوكطار أصبح «بطلاً عالمياً» بفضل كشفه لزيف نظرية التطور، وإثباته بالبراهين والحجج لحقيقة الخلق. وقد ركز الكاتب في مؤلفاته كذلك على موضوعي الماسونية والصهيونية لما لهما من تأثير سلبي على تاريخ الإنسانية والسياسة العالمية. وقد ألف عدنان أوكطار كتباً دينية أخرى في مواضيع مختلفة مثل الإيمان والخلق القرآني، وقد تجاوز عددها المائة كتاب.

استعمل عدنان أوكطار الاسم المستعار «جاويد يالجن» في بعض كتبه، ولكن القسم الأكبر منها نشره بالاسم المستعار هارون يحيى. وهذا الاسم المستعار يتكون من اسمي نبيين كريمين في إشارة إلى ذكرى النبي هارون و النبي يحيى عليهما السلام اللّذيْن ناضلا ضد أفكار الإلحاد والجحود.

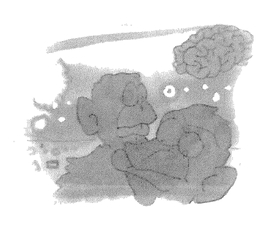
وأما ختْمُ النبيّ عليه الصلاة والسلام الذي وضعه الكاتب على غلاف جميع كتبه فهو يشيرإلى محتويات هذه الكتب وهو يرمز إلى أنّ القرآن الكريم هو آخر

الكتب السماوية وأنّ النبي ﷺ خاتم الأنبياء. وسعى المؤلف في جميع كتبه إلى أن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما النبراس الذي يتحرك على ضوئه، وكان هدفه دائما هو زعزعة الأسس التي قامت عليها النظم الفكرية التي تتّسم بالإنكار والجحود ونقضها الواحدة تلو الأخرى وإسكاتها بتبيين «كلمة الفصل».

والهدف الثابت في جميع مؤلفات الكاتب هو إيصال رسالة القرآن إلى الناس كافة، ومن ثم دفعهم إلى التفكير في وجود الله تعالى ووحدانيته وتنبيههم إلى عاقبة المصير في الآخرة، وهي من القواعد الإيمانية الأساسية في القرآن.

ويوجد إقبال كبير على قراءة كتب هارون يحيى في دول كثيرة من العالم، من الهند إلى أمريكا، ومن إنجلترا إلى اندونيسيا ومن بولونيا إلى البوسنة وإسبانيا والبرازيل. وقد تمت ترجمة هذه الكتب إلى أغلب اللغات العالمية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والأوردية والعربية والألبانية والروسية والبوسنية والإيغورية والإندونيسية وغيرها من اللغات. وقد أصبح هناك مُتابعون كثيرون، في شتى أنحاء العالم، يَحرصون على قراءة كل كتاب جديد يكتبه المؤلف.

وكانت هذه المؤلفات، التي تلقى تقديراً منقطع النظير في أرجاء الأرض كلها . وراء إيمان الكثير من الناس، أو سبباً في تثبيت إيمان عددٍ كبير آخر منهم. وكل شخص يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها، يشعر بوقعها عليه ويتوصل بكلّ يسر إلى الحكمة البالغة التي هي ميزتها، ويحسّ بحلاوة العمق الإيماني الكامن فيها ويتمتع بجمال أسلوبها، ويقتنع بصدق مضمونها. ومن خصائصها أيضا سرعة تأثيرها في القلوب والعقول و لك لصحة ما جاء فيها فلا يمكن دحضها أوإبطالها. ويحتوي كل كتاب من هذه الكتب على حقائق دامغة مدعّمة بقوة الدليل فلا يمكن لأحد أن ينكرها.



ويعطينا ذلك فكرة على ما يتمتّع به الكاتب من كمال الحكمة و رجاحة العقل و صدق الإيمان، وهي نِعَمٌ منّها الله عزّ وجلّ عليه ، فوّظفها بإخلاص وتفانٍ لكشف الحقائق الإلهية في الخلق.

وقد خصصت النشرة الصادرة عن المعهد العالمي للأبحاث الإسلامية مقالاً مطولاً حول هارون يحيى.

وهذا المعهد الذي تأسس بالاشتراك مع الجامعات الهولندية ينشر أعمالاً مختلفة عن المجتمعات الإسلامية في مختلف المناطق.

كما كتب الدكتور مارتن ريكسنجر مقالاً بعنوان «هارون يحيى وعملية بعث الإسلام». وقد جاء في مقدمة هذا المقال أن مؤلفات المسلمين المتعلقة بالرد على نظرية التطور بقيت قاصرة حتى عام 1980. وحدث الانتقال الكبير في هذا الموضوع لأول مرة في تركيا، حيث تبيّن أن هارون يحيى يكشف في هذه المؤلفات بشكل واضح المآزق التي وقعت فيها نظرية التطور. ويضيف أن عدد الكتب التي ألفها هارون يحيى قد تجاوزت 180 كتاباً. وجاء في المقال كذلك أن هارون يحيى يرأس شرفيا «وقف الأبحاث العلمية»، وقد أشرف هذا الوقف منذ عام 1898 على ملتقيات علمية حول موضوع «حقيقة الخلق»، وأضاف الكاتب بأن هذه المؤتمرات قد انتشرت بسرعة في جميع بلدان العالم.

نظرية التطور خديعة اتخذت مظهراً علمياً..

مقابلة مع أكبر نصير لحقيقة الخلق في العالم الإسلامي

البروفيسور هارون يحيى

أجرى المقابلة بالإنجليزية وعرّبها د. الصديق بشير نصر

«عند الترتيب لإجراء هذه المقابلة، أصرّ الأستاذ هارون يحيى على استبدال عبارة حقيقة الخلق بنظرية الخلق، إيماناً منه بأنّ مسألة الخلق ليست مجرّد نظرية قابلة للشك. لاسيما بعد أن أخذت البراهين العلمية تتزايد بشكلٍ مثير ما يجعل مسألة الخلق حقيقة واقعة لا ريب فيها»

س: أستاذ هارون يحيى، ثمة من يَعتقدُ أنَّ حقيقة الخلق ستحل محلّ نظرية التطوّر في غضون بضعة عقود قادمة؟ ما رأيكم في ذلك؟

ج: في الواقع، نحن نشهد مع تزايد إدراك الناس مرحلةَ تحوّلٍ تاريخي. فالفلسفات الإلحادية التي سيطرت على العالم لعدة قرون بدأت تتداعى بشكلٍ سريع. وأكثر العوامل أهميّةً التي عجّلت في هذا الانهيار قيام البرهان الجليّ على فساد نظرية التطوّر التي تُقدّم الأساس العلميّ المفترض للفلسفات الإلحادية. إنّ نظرية التطوّر عقيدة تلقّت صفعة قويّة بفعل المكتشفات العلمية في القرن العشرين.

إنّ المكتشفات التي أظهرتها فروع العلم المختلفة مثل علم المتحجّرات Paleontology، والكيمياء الحيوية، وعلم الجينات قد دحضت نظرية التطوّر من جوانب مختلفة ومتعددة. وقد حاصرت تلك الحقائقُ النظريةَ الداروينية في ركنٍ معزول حتى نهاية القرن العشرين.

وتنتشر حقيقة الخلق بين العلماء في كثير من البلدان الأوروبية الكبيرة، ولا سيما في الولايات المتحدة. ويصف العلماء الذين يؤمنون بحقيقة الخلق النظرية الداروينية بأنها أكبر خطأ في تاريخ العلم، وأنها وُلِدت نتيجة لخديعة فرضتها الفلسفة المادية على العلم.

إنّ المكتشفات العلمية تبيّن أنّ ثمة تصميماً يكمن في الموجودات الحيّة، وهذا بدوره يثبتُ مسألة الخلق. باختصار، يؤكّد العلمُ مرّة أخرى حقيقةَ أنّ اللهَ قد خلقَ كلَّ الموجودات الحيّة. ومع ذلك لا تزال بعض الدوائر تبني آخر خندق للدفاع عن الداروينية وإبقائها حيّة. ولم تكن تلك المحاولات إلا الأنفاس الأخيرة للداروينية قبل احتضارها. ولن يلبث أن يرفع أنصار نظرية التطوّر الراية البيضاء، وهو ما سيحدث بإذن الله وعونه. وقد اعترف كثير من التطوريين بهزيمتهم منذ أمدٍ بعيد. ففي الأشهر الأخيرة مثلاً أشار أحد علماء التطوّر إلى كتاباتي في مجلة تُعنى بالتطور تُطبع في ولاية كانساس بالولايات المتحدة الأمريكية قائلاً: «لا صراع بعد اليوم مع القائلين بالخلق، لقد ربحوا الحرب.. في سنة 1998 كان بمقدوري دفع ستة من أعضاء الأكاديمية التركية للعلوم للتحدث ضد مذهب الخلق. واليوم من المستحيل دفع أيّ واحد منهم». والإلحاد، الذي ظلَّ

لقرونٍ يُصوّر بأنه منهج العقل والعلم، نشأ في جوّ من الجهل واللاعقلانية البغيظة.

س : إنّ الدفاع عن نظرية التطور لم يُبْنَ على مناهجَ علميّةٍ ، وإنما بُنِيَ على محضِ افتراضاتٍ تدعمها الحركاتُ الإلحادية. ولذلك نرى أنَّ أنصارَ نظرية التطوّر هم بالفعل ملاحدة لا يؤمنون بقوةٍ فوق الطبيعة تكمن وراء الحياة. وقد قال أحد التطوريين : «إنّ التطور هو أعظم محرّك للإلحاد تمّ اختراعه». ونتيجةً لذلك فإنّ ردود فعل أنصار نظرية التطوّر ضد حقيقة الخلق كانت سياسية إلى أبعد حد، ولم تكن علميّةً ، مُستغلّةً التشريعات الدستوريّة التي تشجّع الأفكار العلمانية في أمريكا وأوروبا. فهل يستطيع المرءُ أن يقول إنّ نظرية التطوّر هي دفاع عن مقاصد إلحادية أكثر من كونها دفاعاً عن العلم.

ج : بالطبع. فنظرية التطوّر خديعة اتخذت مظهراً علميا، ولم يكن الدفاع عنها إلا من أجل الإبقاء على الإلحاد حيّا. فهي لم تتأسس على العلم ، ولكن على مسح الدماغ ، والدعاية، والخدع. وبالرغم من عجزها عن تفسير الكيفية التي جاء بها بروتين واحد إلى الوجود بمحض المصادفة، فإنّ التطوريين يزعمون أنّ هذه البروتينات تجمعت مع بعضها البعض في نظام معيّن خلال ملايين التطابقات لإظهار خليّة حيّة، وأن ملايين الملايين من تلك الخلايا تجمّعت لتكوين كائنات حيّة، وأيضاً بمحض المصادفة، وأنّ تلك الكائنات الحيّة جاءت لتكوّنَ أسماكا، وأن الأسماكَ خرجت إلى اليابسة لتكوّن زواحف، وطيوراً ، وثدييات ، وهكذا جميع الملايين من الأنواع المختلفة على الأرض.

وهذا الزعمُ عارٍ عن الصحة، وليس له دليلٌ ولا تفسير علمي. والمقصد الوحيد وراء مناصرة هذا هو التأكيد على بقاء النظام اللاديني والماديّ والفكري. لأنه إذا هُجِرَت نظريّة التطوّر، فلا يبقى إلا الإيمان





من مؤلفات البروفيسور هارون يحيى

بالخلق. والإيمان بالخلق يستلزم بالضرورة الإيمان بالدين، والعيش في عبوديةٍ لله وحده بأداء الواجبات الدينية. وملاحدة العصر الحديث، مثلما هو الحال خلال حقبِ التاريخ، ليس بمقدورهم رؤية الناس يعيشون في الدين. والأمل الوحيد لتلك الدوائر هو نظرية التطوّر. ولذا فإنهم يفعلون ما بوسعهم لكي لا تُهجر النظرية، ولو لم يكن لهم دليل عليها.

من الذي يسعى إلى إثبات نظرية التطور؟

س : لقد وصفتم نظرية التطور بأنها خديعة كبرى، وجعلتم ذلك عنواناً لأحد كتبكم. وقد وصفها آخرون بأنها (وهمٌ)، و (خرافة). ومع ذلك فإنّ هذه الخرافة ما تزال تلقى الاحترام والتعظيم في بعض المؤسسات العلميّة ومراكز البحوث. فمن يقف وراء هذه الخرافة ؟

ج : إنّ مؤسساتٍ ماديةً ذات تنظيم عالٍ تقف وراء هذه الخرافة، الخديعة. وليس ثمة شكٌ أن الماسونيّة هي القوة التي قدّمت أكبر جهد لفرض نظرية التطوّر على المجتمع. وأقوى أداة وظفها الماسونيون لخدمة ذلك كانت وسائل الإعلام. وقد قامت قوى عديدة معادية للدين تقودها الماسونية بمحاولات لإثبات نظرية التطوّر وفرضها على المجتمع باستخدام الأكاذيب والأدلة الزائفة. وأكثر تلك الخدع العلميّة تمّ فضحها. وفضلاً عن ذلك فإنّ أولئك الذين احتالوا لفرض نظرية التطوّر على المجتمع ورأوا أنّها أعظم

مهمة للماسونية كان يهدفون إلى إنجاز تلك المهمة بواسطة وسائل الإعلام.

والإعلام إداةٌ فعّالةٌ توظفها مجموعات قويّة للسيطرة على أساليب التفكير في المجتمع.

ويمكنك ملاحظة أنّ بعض المجلات والصحف الكبيرة التي تؤمن بالتطوّر ولا سيما في العالم الغربي قد أنتجت تقارير تتعامل مع نظرية التطوّر في مراحل منتظمة. وقد أنشأت تلك التقارير عموماً الغطاء القصصي للنظرية. وقد ظهر ذلك في عناوين رئيسية مثل: «تقدّم جديد في نظرية التطوّر» أو «اكتشاف كبير في التطوّر» أو «إثبات مهم يؤيد الداروينية»، وإن لم يكن ثمة (دليل) لا (جديد) ولا (كبير) على الإطلاق. كما أنها تميل إلى التعامل مع قصص علمية لا أساسَ لها تتعلّق بالتطوّر، أو، أو بشكلٍ آخرَ مع حفرية من الحفريات لا تثبت التطوّر.

وفضلاً عن ذلك، هناك نقطة جديرة بالاهتمام في هذه التقارير، وهي أنها كُتِبَت بأسلوب يتحدّث عن التطور، وهو مجرّد نظريّة، وكأنه حقيقة مطلقة ثابتة. وأغلبُ الناس الذين يقرأون التقارير، أو يلقون عليها نظرةً يكونون انطباعاً بأنّ التطوّر حقيقة مطلقة أُثبتت منذ عقود مضت.

وبالإضافة إلى الإعلام، يمكن للمرء أن يرى الصورة نفسها عندما ينظر إلى المراجع، ودوائر المعارف وكتب علوم الإحياء. وكلّ تلك المصادر تقريباً تصف نظرية التطوّر بأنها حقيقة مطلقة.

باختصار، الإعلام والمصادر الأكاديميّة تحت سيطرة القوى اللادينيّة أخذت على عاتقها القيام بمهمة تلقين المجتمع هذه النظريّة بالدفاع عن وجهة نظر في التطوّر. وقد كان التلقين فعالاً إلى درجة أنّ نظرية التطوّر تحوّلت بشكل تدريجيّ إلى شيءٍ مقدّسٍ ومُحرّم. فإنكار التطور يوصفُ بأنه معاداة للعلم، وجهل بالحقائق. ولهذا السبب، وبالرغم من ظهور ثغرات كثيرة في التطور والاسلوب الذي واجه به علماء التطوّر تلك الثغرات منذ خمسينيات القرن الماضى وحتى الوقت الحاضر، فإنه بات أقرب إلى المستحيل إيجاد أيّ آراء نقديّة للتطور بين الدوائر العلمية ومؤسسات النشر سواء أكانت تركيّة أم أجنبية. وأكثر الأساليب انتشاراً في مواجهة الاطروحات العلمية المخالفة لنظرية التطور عدم طبعها، وعدم تمكين أصحابها من المناصب الجامعية. وما تزال هذه المعايير مستمرة.

وبعونٍ من الله وبقوة الإرادة أخذت هذه الحال تتغيّر بشكل سريع، وهي ستختفي قريباً إن شاء الله.

س: يزعم خصوم حقيقة الخلق أنّ قبول النظرية هو ردّة ووقوع في حمأة اللاهوت، ويحذرون من من أنّ نظرية الخلق تؤسس لإنهيار علمي. ومن جهة أخرى يصفها أنصارها بأنها انتصار للعلم. فما رأيكم في هذا ؟

ج: حقيقة الخلق حقيقة ساطعة. وهي جلية وواضحة حتى إن كلّ واحدٍ يمكنه فهمها ورؤيتها في في كلّ شيءٍ حولنا. والنظام المُحكَم في خلية مفردة، مثلا، يشير بوضوح إلى وجود الله وقدرته. ووظائف الخلية تشبه تماماً مصنعاً يعجّ بأدوات تنقل البروتينات داخلها، وآلاتٍ تستخدم الإنزيمات في تصنيع البروتينات، وحرّاسٍ في غشاء الخليّة تتحكم في الدخول إليها والخروج منها. فهل من الممكن أن يحدث كلُّ هذا في وسطٍ صغيرٍ جداً لا يُرى بالعين المجرّدة بفعل ذرّاتٍ لا واعية تتجمّع مع بعضها البعض بمحض المصادفة ؟ إنّ كلّ من يُصدّق بأنّ مصنعاً مثل هذا يأتي إلى الوجود تلقائيّاً يقع في مغالطة منطقية كبيرة.

وثمة حقيقةٌ جليّةٌ جدّاً وهي أنّه بينما تحاول نظرية التطوّر أن تحافظ على مكانتها بالخديعة والدعاية، فإن البراهين على الخلق تظهر أكثر فأكثر مع كلّ يومٍ يمر. والانتصار سيكون بالفعل إلى جانب فكرة الخلق. وذلك هو الوعد الإلهي الذي جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[سورة الأنبياء، الآية: 18]

س: هل تعتقد أنّ نظرية التصميم الذكي، ونظرية التطور يمكن أن تدرّسا في المدارس جنباً إلى جنب ؟

ج : يمكن أن تُدرّس نظرية التطور في المدارس بشرطٍ واحدٍ فقط : التحذير منها. وبكلماتٍ أخرى، لعله من المفيد أن نُخْبِر التلاميذَ كيف خَدَعَت نظريةُ التطوّر جميع البشر لنحو مائة وخمسين سنة، وكيف أحدثت تأثيراً سحرياً في الإنسانية ببراهينها الفاسدة وأساليبها الدعائية ، وكيف خُدِعَ أكثر الناس ذكاءً من أساتذة وعلماء بفعل هذه النظرية. وفضلاً عن ذلك، فإنه من الخطأ أن تُدرّس باعتبارها بديلاً عن الخلق لأنه لا تمتلك الدليل ولا التفسير المنطقي لتقدمه للتلاميذ.

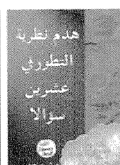
س : هل تتوقع، من وجهة نظرك الخاصة، أنّ نظرية التطور ستختفي قريباً؟

ج : بالتأكيد أتوقع ذلك. وكما ذكرت فإنّ اللهَ أوحى بأنّه سيظهرُ الحقَّ على الباطل، وأن ذلك بات قريباً جدا، وهناك علامات على انكسار نظرية التطور، وإن شاء الله سيسود نور الإيمان في العالم.

نظرية التطور في طريقها إلى الاختفاء

س: تضع الدساتير العلمانية العراقيل في طريق خصوم نظرية التطوّر ، وأنصارها يحسنون استخدام تلك العراقيل. وهذا يعني أن المعركة بين الأنصار والخصوم أصبحت قضائية، ولا سيّما في الولايات المتحدة الأمريكية. فما هي الخطوة القادمة ؟

ج: لقد حدث تقدّم هائل وسريع في العقود الأخيرة على وجه الخصوص. ولن يكون بمقدور أحد أن يصمد طويلاً أمام الحقائق التي سيفضي إليها العلم والعقل ، حيث هناك تقدم مذهل في الولايات المتحدة، وتطوّر في الموضوع نفسه في تركيا أيضا.





من مؤلفات البروفيسور هارون يحيى

من هذه التطورات ظهور حقيقة الخلق في الكتب المدرسية. وتعرّف عامة الناس على حقيقة الخلق هو أجدى وأهم من تدريسها في المدارس. وفي أغسطس نشرت مجلة العلم Science تحليلاً يتعلّق بنظرية التطوّر في 34 بلدا. وبحسب ما جاء في هذا التحليل ظهر أن تركيا هي أقلّ البلدان قبولاً لنظرية التطوّر، وتأتي بعدها في المرتبة الولايات المتحدة.

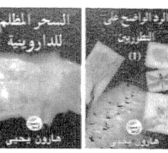
وقد جاء في تقرير نُشِرَ بصحيفة الجارديان البريطانية بتاريخ 15 أغسطس 2006 تحت عنوان (كيف وصلنا إلى هنا؟) أنّ 30 ٪ من الطلاب الإنجليز لا يؤمنون بالتطور. وأنّ هذه النسبة كانت أقلّ في الماضي، ويستنتج التقرير من ذلك أنّ « نظرية التطور في طريقها إلى الاختفاء ».

وإذا أدرك الجمهورُ هذه الحقيقة، فإنّ القوى المادية لن تؤثر فيهم، ولن يكون للدعاية ولا لوسائل الأعلام التي تستخدمها أيّ تأثير. ويمكن القول «إنها يقظة في عقل الجمهور». وهم الآن يقدرون على التمييز بين الحقّ والباطل إذا نظروا في تقرير عن التطوّر. وسوف يكون من المستحيل بعد هذا، بإذن الله، أن يتقبلوا التلقين من دعاة التطور. وبعبارة أخرى، إنّ حقبة جديدة بدأت لن يكون لمحاولات أنصار التطور فيها تأثير إن شاء الله.

س: في الماضي جابه رجال اللاهوت نظرية التطور، وهي اليوم تُجابه بالعلماء. فهل تعتقد أنّ العلم اليوم أدرك وجود الله ؟







من مؤلفات البروفيسور هارون يحيى

ج: كلّ من يفكّر، ويستخدم العقل والوعي يمكنه أن يبصرَ وجودَ الله بوضوح. فظهور الثمار اللذيذة ذات الرائحة الطيبة من تربة جافة مظلمة دليل ساطع على وجود الله سبحانه.

والنفس البشرية علامةٌ على وجود الله. وكيف يمكن لجسمٍ ما يتكوّن من ذرات غير مدرِكة أن يفكّر، ويستمتع، ويبتهج، ويحبّ ؟ كلّ هذا لا يمكن أن يفسّر بمعنى مادي. ومجرد التفكير في تلك الأشياء يكفي للإيمان بوجود الله.

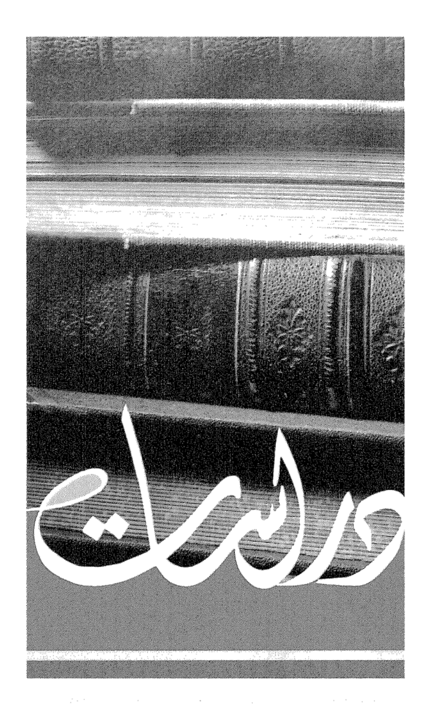
س: ماذا ينبغي على علماء الطبيعة، وعلماء الدين القيام به لمجابهة النزعات الإلحادية، مثل نظرية التطور ؟

ج: إنّ أهم ما ينبغي القيام به إقامة الأدلة والبراهين على وجود الله بكلّ وضوح، باستخدام لغةٍ سهلة ومقنعة. فالصحف، والمجلات، وبرامج التلفزة، والأفلام، والإعلانات الدعائية توظّف للترويج لفكرة مادية العالم والحياة. وللتغلب على هذا التلقين السلبي يجب أن نوظّف الأساليب نفسها لإثبات وجود الله ووحدانيته، أو أساليبَ أشد وأقوى. وللكتب والعروض الوثائقية دور كبيرٌ في هذا المجال. وشبكة المعلومات الدولية وسيلة عظيمة ، وهي منحةٌ من الله، ويجب أن تُسْتَغَلَ الاستغلالَ الأمثل.

ومن المهم جدّاً توظيف أسلوب منفتحٍ صريح بعيداً عن الدعاوى السطحيّة لتفسير وجود الله ووحدانيته، وبيان أهميّة العيش بالقيم الأخلاقية الدينيّة ، ومعنى الموت والحياة الأخروية. ونشرُ هذه المساعي بقدر ما يُمْكِنُ خدمةٌ لا تقدّر بثمن. ونحن، على سبيل المثال، نقوم بطبع كتبنا وتوزيعها مجاناً على موقعنا بالانترنت. وبمقدور كلّ واحدٍ الحصول على مطبوعاتنا وأعمالنا الوثائقية مجانا. وبذلك يكون بوسعنا الوصول إلى أكبر عدد من المتلقين من قرية في نيجيريا إلى مدينة صغيرة في روسيا . ويجب على كلّ امريء ألا يستخفَّ بأهمية العون الذي يقدّمه رجلاً كان أم امرأة. كما ينبغي عليهم تفسير وجود الله ووحدانيته بقدر الاستطاعة مبتدئين من الوسط الذي يحيط بهم ، والله وحده يتولى النتائج. وما نقوم به من عمل لا يعدو كونه فريضة دينيّة ، وإظهاراً لحبنا لله. وربنا جلّ شأنه هو من يتولّى نصر المؤمنين.

س: أخيراً، أستاذ هارون يحيى، ما هي مخططاتك للمرحلة القادمة؟ وهل تعتقد أنّ الصراع العقلي الدائر بين أنصار نظرية التطوّر وخصومها، سيتحوّل من المجتمعات الغربية إلى المجتمعات الإسلامية؟

ج : في الواقع، إنّ تلك المناظرات قد انتقلت بالفعل إلى المجتمعات الإسلامية. وقد نتج عن تلك المناظرات التي جرت في تركيا في هذا الموضوع خلال العقد الماضي تسليمُ التطوريين بهزيمتهم. وكما ذكرتُ آنفا، اعترف التطوريون الأتراك بنهاية الحرب وأنّ النصرَ حليفُ أنصار الخلق. والمرحلة المقبلة، إن شاء الله، هي اجتثاث نظرية التطوّر والاتجاهات المادية من العالم. وسوف يشهد هذا الجيل بإذن الله ورحمته أياماً ملؤها السلام والأمن والمحبّة، وكلّ ذلك بفعل الإيمان بالله وبالقيم الدينية الأخلاقية. وسواءٌ أحب غير المؤمنين أم كرهوا فإنّ نور الله سيضيء أرجاء الدنيا، حاملاً معه الخير والجمال. إنّ التدمير الكامل لنظرية التطوّر واجتثاثها، والقضاء على أسس الإلحاد يتسم بالأهمية القصوى والعجلة. وسوف نرى جميعنا، إن شاء الله، التحوّلَ الذي سيحدث في جميع أرجاء العالم في المستقبل القريب.



الإرهاب بين الدلالة والإطلاق

دراسة لغوية في ضوء واقع الاحتكاك الثقافي

الإرهاب بين الدلالة والإطلاق

دراسة لغوية في ضوء واقع الاحتكاك الثقافي

د. عبد الماجد القاضي*

هذه دراسة لغوية، ظل يفتعل بها فكر الباحث، وهو يراقب التطورات الطارئة في المحيط اللغوي ببالغ الاهتمام خلال السنوات العديدة الماضية.

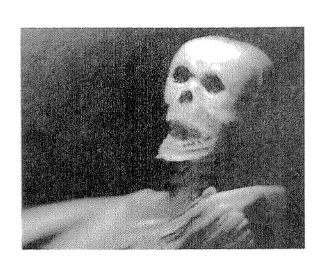
الدراسة تحتوي على ما ترجح لدى الدارس من التمييز بين المواقف الدلالية على أساس الطرح الموضوعي، دون الاحتفال بتبني أي موقف، حول تعريف الظاهرة، خارج إطار البحث اللغوي، أي أن الحديث هنا، يدور حول الخلاف في صحة تسمية الظاهرة بالإرهاب، دلالة ولغة، وليس في عدم شرعية المسمى عقلاً وقانوناً.

* باحث وأستاذ جامعي / الهند.

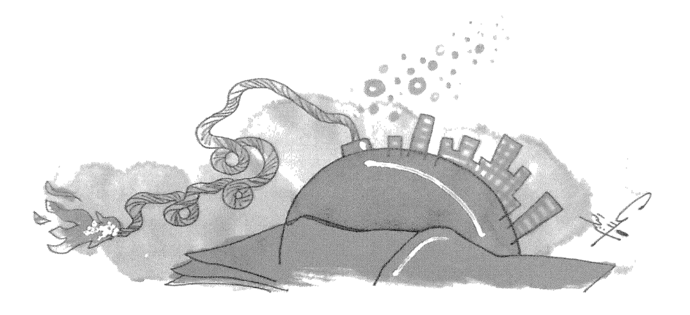
لم تشهد اللغات في مراحل التطورات الدلالية لمفرداتها، من تظافر العوامل الخارجية وفرض هيمنتها قسراً وجبراً، مثل ما عاشت اللغة العربية تجربته في كلمة الإرهاب، خلال الآونة الأخيرة.

كانت المادة البائسة طريحة الهدوء والخمول، في القواميس وفي غضون السياقات اللغوية العادية، قبل أن يتم اختطافها وتغيير ملامحها، وتحويل معالمها، ومن ثَمَّ سيقت إلى أسواق الإعلام، وتلقتها الآذان الصاغية والقلوب الواعية، بالقبول والرضا، ونفق سوقها مجردة من هُويتها الدلالية، التي توارثتها على مدار تاريخها المعلوم؛ واستمر منذ ذلك تطوافها في أرجاء المعمورة، حاملة عبئًا ثقيلاً من الهُوية المحلمة.

كثرت الأقاويل في الإرهاب، مصطلحاً ومدلولاً، وطال فيه الحديث، واتسع نطاقه، حتى تكلم فيه كل من هب ودب، وندد به القاصي والداني، وتبرأ منه كل من يحسب به ومن لا يحسب، عن طواعية أو مطاوعة، فهو حقاً كابوس مخيف للجنس البشري، وخطر داهم لهذه المعمورة، حتى أن السلام والسعادة والرخاء، ألفاظ بلا مدلول، ما دام المجتمع البشري محاطاً بهذا الخطر، ورغم توافر المبررات الكافية لهذا الاهتمام الزائد، بهذه الظاهرة على صعيد الواقع، فإن رحلة الكلمات المرافقة لهذا التطور، حدث غريب جداً في تاريخ الدلالات اللغوية، وهي تجعلنا نحس بحاجة ملحة، إلى دراسة المادة من المنظور اللغوي، وجوانبها الدلالية على الساحة اللغوية، وتتبع مواطن التناقض، على محيط الواقع، حتى يمكن إعادة الأمور إلى نصابها، في تحليل مدلول الكلمة، في ضوء الواقع اللغوي، وتتبع مراحل التطور في دلالتها، حتى ندرك تماماً، كيف سقطت هذه الكلمة ضحية مع ضحايا الغزو الإعلامي، والزحف العسكري، آخذين بعين الاعتبار ما تضمنت الظاهرة من تحد سافر للثوابت العقيدية والرموز الحضارية.



التعبير عن الحالات الذهنية والنفسية، مجال معقد بحكم كونها وراء متناول المحسوس الظاهر، وأما التعريف بوحدة تعبيرية تغطي حالة من تلك الحالات، فهو أمر صعب بالتأكيد، لأنه لا يمكن رسم صورة الدلالة التجريدية، بألوان الحس الظاهرة، وبالتالي يضطر الباحث إلى الاستعانة بالوحدات التعبيرية الأخرى، التي تدل على حالات شبيهة أو متماثلة، للكشف عن حقيقة تلك الحالة، رغم كونها الملاذ الأخير، فإن هذه العملية تبعد الدارس عن نقطة تركيزه، وتحدث خلطاً وخللاً بين التصورات والمفاهيم، وذلك لأن كل كلمة تأتي بدلالة تخصها دون غيرها، فإذا قمنا بتفسير الأبعاد الدلالية لكلمة بكلمة أخرى، بحجة كونها ذات دلالة مشتركة، فإن ذلك ربما يوصلنا لدى حدود الهدف، إذا كان مجال دلالتهما من المعاني المدركة بالحواس، أو كان من قبيل المألوف والمبتذل، لكن الأمر يختلف كثيراً، إذا كانت المواد اللغوية ذات صلة بالمجالات التجريدية المعقدة، لأن كل خطوة في ذلك الاتجاه سوف تدفعنا إلى المتاهات التي لا عودة منها. ولكي نفهم قلة جدوى ذلك المنهج، نفترض على سبيل المثال أننا بصدد تعريف شخص عن ظهر الغيب، أمام مجموعة من الناس الذين لم يروه ولم يعرفوه من قبل، فإذا بدأنا بالقول بأنه محمود مثلاً، وبالمناسبة يكون الأخير معروفاً لدى الجميع، فهل يكون ذلك مجدياً في كشف هُوية هذا الشخص، وهل يكفي هذا في إعطاء صورة



واضحة عن شخصيته بحجة كونه يشترك مع محمود في خصائص، لا تعد ولا تحصى؟ كلا وألف كلا، فإنهما شخصان مختلفان، ولكل منهما شخصية تنفرد بميزات، لا يأتي عليها الحصر.

إنطلاقاً من هذه النقطة، حاولنا اقتفاء آثار هذا الشخص، لنظفر برؤيته ولو بالنظرة العجلى، وهو في المقهى مع زملائه، وتتبعناه في غدواته وروحاته، لكي نعرف عاداته في المشي، والحديث والمعاملة، ولازمنا ظله في الأسواق والمكتبات والملاعب، ولم نترك مظنة من مظان وجوده، إلاّ التمسناه فيها، لنتمكن من جمع أكبر كمية ممكنة من المعلومات، حول شخصيته، وفي نهاية المطاف خلصنا إلى المادة الموضوعية، الكافية لإثبات هُويته وشخصيته المتميزة.

بدأنا هذه الجولة السريعة، للوصول إلى تصور دلالي واضح، للرهبة والإرهاب، فسألنا الأسفار اللغوية عنهما، فأجابت باختصار شديد، بأنهما: الخوف والتخويف. لم تكن الإجابة كافية فلم نقتنع بها، لأن مجرد وجود الكلمة الأخرى، يدل على تباين الساحات الدلالية، فالتجأنا إلى الطريقة الميدانية، وحاولنا تتبع السياقات التي وردت المادة فيها، فإن السياقات اللغوية، أدق دلالة على تحديد الدلالات والخصائص المعنوية، كما حاولنا أن نقف مع الكلمة وقفات متأنية، لاستجلاء التطور الدلالي الذي حصل فيه، خلال المراحل التاريخية، تلمساً للانطباع الواضح، عن الإيحاءات الدلالية، التي ظلت تساير سياقاتها، وفعلاً جاءت الأنماط اللغوية، التي تطورت بالسياقات المختلفة، بصورة واضحة عن الخصائص الدلالية، لمادة الرهبة والإرهاب.

في رحاب الكتاب الكبير:

لقد وردت المادة بمشتقاتها، اثنتا عشرة مرة في القرآن الكريم.

ثلاثياً مجرداً، في قوله تعالى:

﴿...وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

[سورة البقرة، الآية:40]

وفي قوله سبحانه:

﴿... إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

[سورة النحل، الآية:51]

وفي قوله جل وعلاً:

﴿...وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[سورة الأعراف، الآية:154]

ومن باب أفعل، في قوله تبارك وتعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

[سورة الأنفال، الآية:60]

ومن باب استفعل، في قوله سبحانه:

﴿...وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة الأعراف، الآية:116]

كما وردت مصدراً في الآية:

﴿...وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾

[سورة القصص، الآية:32]

وفي آية أخرى:

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾

[سورة الحشر، الآية:13]

وفي آية:

﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [سورة الأنبياء، الآية:90]

وكما ورد الاسم المشتق منه، ثلاث مرات في قوله تعالى:

﴿...إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [سورة التوبة، الآية:34]

وفي قوله سبحانه:

﴿...ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية:82]

وفي قوله تعالى:

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة، الآية:31]

وفي قوله جل وعلا:

﴿...وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الحديد، الآية:27]

الرهب في اللغة :

إكتفت معظم القواميس، بذكر الخوف في بيان معنى المادة، يقول ابن منظور: رهِب بالكسر يرهب رَهبة ورُهباً بالضم ورَهَباً بالتحريك أي خاف، ورهب الشيء رَهْباً ورَهَباً ورَهْبة خافه، والاسم الرُهب والرهبوت ورجل رهبوت، وترّهب بمعنى توعد، وترهب الرجل، إذا صار راهباً يخشى الله، والترهب التعبد، وأرهب ورهب واسترهب أخافه فزعه(1).

من الظواهر اللغوية الغريبة، التي عجزت الكلمات عن وصفها، هي المواد اللغوية، التي تشترك مع غيرها في تغطية مساحات دلالية، أو ظلال معنوية، دونما توفير الآليات التي تساعد في وضع الخط الفاصل بين القدر المشترك والجزء المفترق. ومن شأن محاولات التفسير، أنها قد تزيد المشكلة تعقداً، لأن الحقائق التجريدية، دوماً تنفلت من سيطرة اللفظ، لتبقى متسترة، بمعنوياتها، التي تتسم بنوع من الغموض.

فإذا قمنا بمقارنة الرهب بالخوف، والخشية والفزع والرعب، وما إلى ذلك من الكلمات الدالة على أنواع الاستجابات النفسية، حيال المواقف الخاصة، فليس إلى ذلك من سبيل، إلا من خلال تتبع سياقاتها واستقراء ظروف الكلام، التي وردت فيها، لأن الترادف الحقيقي، مستحيل في اللغة، حيث إن كل كلمة تنفرد بالدلالة التي لا تنازعها فيها كلمة أخرى، مهما تقاربت أو تماثلت أو تداخلت، في تغطية أجزاء المساحات الدلالية المشتركة.

نعود من الاستطراد إلى موضوعنا، مادة الترهب، لنستكشف كنه دلالتها، من خلال سياقاتها في النصوص اللغوية، المعروفة بموثوقيتها ومصداقيتها تاريخياً ولغوياً؛ فقد استوعب النص القرآني الكريم، أشكال المادة بصياغاتها العديدة، حيث وردت ثلاثياً مجرداً، ثلاث مرات، وثلاثياً مزيداً فيه بحرف مرة، ومزيداً فيه بثلاثة أحرف مرة كذلك، كما وردت مصدراً ثلاث مرات، وورد الاسم المشتق من المادة أربع مرات.

وإذا رجعنا إلى الظروف الكلامية التي سايرت سياقاتها، فإنها في إيراداتها مصدراً، وثلاثياً مجرداً

(1) ابن منظور: لسان العرب. لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي ج/هـ ط/2 1997 ص/337-338. والجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح، بيروت. دار العلم للملايين، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ج/1 ط/ 2/ 1979 ص / 140.

لم ترد إلا في سياق الحالة النوعية، المتوخاة في علاقة الإنسان بربه، والتي تنظم مسيرة سلوكه داخل الحدود المرسومة، فهي كلمة واحدة، تحدد الكيفية النوعية للاستجابة الإنسانية، في تعامله مع ربه على المستوى السلوكي والتفكيري والعاطفي. فالرهب في حقيقته المبدئية من أفعال القلوب التي تتجلى في السلوك، وليست حالة نفسية طارئة، مثل الخوف، أو ممزوجة بالعاطفة، والانفعال السلوكي والقليل الأمد، مثل الخشية. إن هناك ظلالاً متحركة، تواكب المادة اللغوية، وتسهم في تكييف الأجواء الدلالية المتميزة، فإذا حاولنا رسم المشهد الدلالي، الذي يلازم هذه المادة، والظلال التي تواكبها، والأجواء التي تحيط بها، والإيحاءات التي لا تنفك عن مسايرة المشهد، فإن النقطة الدلالية التي ترمز إليها المادة، هي الوضع الانفعالي، المشوب بالإجلال والهيبة والوعي بالمصير تفكيراً، والالتزام في السلوك على النحو المطلوب شرعاً، والكف عن انتهاك المحظور قانوناً، وإذا وضعنا مادة رهب، مقابل ضدها رغب، في ضوء المنهج التقابلي القائل: «وبضدها تتبين الأشياء» استبان لنا جانب التحرز والوقوف لدى الحد المرسوم، تفادياً من الضرر والعقاب المستلزم، تجاوز الحد.

ويوجد لدى علماء اللغة انطباع بأن نوع الاستجابة، التي تدل عليها الكلمة تبدو خاصة بالله دون غيره، استنباطاً من العبارة السائرة «الرهباء من الله والرغباء إليه»(2).

الراهب والرهبان والرهبة:

يقول القاضي محمد عبد الجبار السماوي اليماني: «الرهبان جمع راهب، وأصله من الرهبة، التي هي بمعنى الخوف من الله تعالى»(3).



ما علاقة الـ (إرهاب) بـ (الرهبة) والراهب والرهبان؟

انطلاقاً من هذه النقطة، نستطيع أن ندرك الأبعاد الدلالية، في كلمة الراهب المشتق من المادة ذاتها، حيث إن مجرد تصور الرهب، يستلزم طرف التلقي وطرف المصدر، وبما أن طرف التلقي، أو المتصف بالصفة يبدو في الموقف الإيجابي، الذي يتمدح به والذي أصبح رمزاً للالتزام التام، بل اشتهر بتجاوزه إلى أبعد من هذا، بالتزام ما لم يلزم، فإن الطرف المصدر يختص بميزة الشرعية، وهو الآخر في الموقف الإيجابي، عقلاً وعرفاً وشرعاً، ونستخلص في ضوء هذه الظاهرة الدلالية، أن الرهب وصف إيجابي، بالنظر إلى منشأه وتأثيره، لأنه يعبّر عن حالة تنظيم العلاقة بين طرفين، في إطار حدود مرسومة المعالم.

يستلفتنا وجود صيغة المادة، من باب أفعل في قوله سبحانه:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

[سورة الأنفال، الآية:60]

وتتملكنا الحيرة أن هذه الكلمة، التي تتكرر على أسماعنا صباح مساء، وتثير الزوابع على النطاق الدولي، ونجد أنفسنا أمام علامة استفهام كبيرة، تسائلنا عن التوفيق، بين موقف الكلمة في سياق الآية، وموقفها في سوق الإعلام المعاصر، ولقد سبق أن استعرضنا بعض

---

(2) خليل بن أحمد الفراهيدي: العين ج/4 ص/47 على القرص المدمج، مكتبة المعاجم والغريب والمصطلحات، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، الأردن، عمان، الإصدار الأول 1999، www.turath.com .

(3) القاضي محمد عبد الجبار السماوي اليماني: الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشذرات اللغوية، بيروت، دار الآداب (مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء) ط/1 1989 مج/2 ص/ 190.

سياقاتها، للتعمق في تحديد مساحة تغطيتها الدلالية، وقد عرفنا من خلال ذلك، أنها لا تتحمل السلبية التي درج الإعلام الحديث على تحميلها إياها.

ولقد شهدت النصوص اللغوية، عبر مراحل تاريخ الكلمة، أن الإرهاب دوماً، تضمن دلالة الردع والذود، كمفهوم مختزل للمشهد الدلالي الواسع. كانت العرب تقول: «أرهب الإبل عن الحوض، أي ذادها عنه، وأرهب عنه الناس بأسه ونجدته، يقول الشاعر:

إنا إذ الحربُ تُساقيها المالْ
وجعلت تلقح ثم تحتال
يُرهب عنا الناسَ طعنٌ إيغال
شَزْرٍ كأفواه المزاد الشلشال[4]

ويقول أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة: «الترهب، التعبد، ومن باب الإرهاب، وهو قدع الإبل من الحوض وذيادها»[5].

السياق القرآني

أما السياق القرآني، فهو أوضح على انطباق الدلالة المتوارثة، حيث سبق الأمر عن الاستعداد والأخذ بأسباب القوة، حسب المستوى المطلوب على ساحة الواقع، حيث تضمن تأمين الحرية والبقاء بالعز والشموخ، ويضمن مجرد الاستعداد ردع الأعداء، عن التفكير في الاعتداء. ولا تتعدى دلالة الإرهاب والذود (Deterrence)، الذي هو حق مشروع بحكم العقل والمنطق، على مستوى الفرد والأمة والدولة، وهي الحقيقة التي كانت ولا تزال مبدءًا لتنظيم العلاقات، بين وحدات المجتمع البشري، وبين الدول، وهي الحجة التي يتم بها إنتاج الأسلحة وامتلاكها.

ولم يقتصر الأمر على تلازم دلالة الردع، بكلمة الإرهاب فحسب، وإنما أصبحت نقطة تعبير عن التفكير العربي، والحكمة الشعبية السائرة، حيث كانت العرب تقول «رهبوت خير من رحموت»[6]، أي كونك مرهوباً خير من كونك مرحوماً، لأن الأول يقتضي العزة والقوة والثاني يقتضي البؤس والذلة، فهي إذن، تمثل قيمة من أهم القيم الاجتماعية، التي تعكس وجهة الأمة العربية، عن القوة ومدى ترابطها بالمكانة الاجتماعية حسب مقاييسها.

وإذا رجعنا إلى ما تضمنت كلمة الإرهاب في الآية الكريمة، وفي المثل السائر من زاوية أخرى، لتحليلها منطقياً، وجدناها تنطوي على أهمية القوة المادية، التي تحدد مستوى تجاوب الآخرين، كما تحدد مستوى المعاملة على صعيد الواقع، وهي حقيقة مادية من أهم الحقائق الكونية.

السياق الأدبي

حاولنا تصفح الدواوين الشعرية القديمة، وأمهات كتب اللغة والأدب، فوجدنا أنها التزمت جانب الحيطة والحذر، وأنها نادراً ما استعملت كلمة الإرهاب، لخصوصية مجالها الدلالي.

جاء في كتاب قِرى الضيف لعبد الله بن محمد بن عبيد (ت 281 هـ):

من تابعت أمر المروءة نفسه
فنيت من الحسرات والأفكار
لا تكثرن عليّ إن أخا الحجا
برم بقرب الصاحب المهذار
خوفتني بالنار جهدك دائباً
ولججت في الإرهاب والإنذار[7]

وردت الكلمة في البيت، في سياق التنبيه والإنذار

4 ـ الزمخشري: أساس البلاغة ص 260 ـ 261.

5 ـ أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، إيران، قم، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ط/ 1404، مج / 2 / ص 447.

6 ـ ابن منظور: لسان العرب ج/هـ ص/ 337. وبطرس البستاني: محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، صبعة جديدة 1983 ص / 354.

7 ـ عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان: قرى الضيف، الرياض، أضواء السلف 1997/ ط/ 1 تحقيق: عبد الله بن حمد بن المنصور ج/1 ص/454.

بالعواقب، فدلالة التخويف هنا، ليست لذات التخويف، أو لأي باعث من البواعث السلبية.

وردت الكلمة في سياق عبارة طويلة، في وثيقة أمان -على ما يبدو- عند القلقشندي (ت 821 هـ) في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء «.... ولما مهده له عندنا اعترافه الذي هو له في الحقيقة أقوى شفاعة، ولما تحققناه من أنه لم يفعل ذلك، إلا لوفور الطاعة التي أوجبت له الإرهاب، إذ الهرب من الملوك طاعة، وكيف لا وقد تيقن سخطنا الشريف وعلم وخشي مهابتنا الشريفة»؟[8] هنا دلالة الكلمة واضحة، على معنى العظمة والطاعة، والانقياد مما يستلزمه الخوف من انتهاك القانون أو الوقوع في المحظور.

أورد أحمد بن المقري التلمساني في كتابه «نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب» عبارة جاء فيها: «...وقال في المطمح في حق بني عباد، وأوليتهم ما صورته الوزير أبو القاسم محمد بن عباد هذه بقية منتماها في لخم ومرتماها إلى مفخر ضخم وجدهم المنذر بن ماء السماء ومطلعهم من جو تلك السماء، وبنو عباد ملوك أنس بهم الدهر، وتنفس منهم عن أعبق الزهر وعمروا ربع الملك وأمروا بالحياة والهلك، ومعتضدهم من أقام وأقعد وتبوأ كاهل الإرهاب، واقتعد وافترش من عريسته وافترس من مكايد فريسته...»[9] الإطلاق هنا، يتضمن دلالة القوة والمناعة والبأس، الذي يتكفل ردع الثوار والأعداء.

وهكذا نجد المادة تتصرف في إطار متقارب، على مدار ألف وخمسمائة سنة تقريباً، من تاريخها المعلوم. وتتسم في كافة صياغاتها وسياقاتها بإيجابية أجوائها الدلالية، وقد لازمها عنصر مراعاة جوانب المنطق السلوكي بين الطرفين ـ طرف المصدر وطرف المتلقي - كجزء لا يتجزأ من الإيحاء الدلالي.

الفرق بين أرهب واسترهب:

اتضح من خلال الدراسة السالفة، في ضوء السياق القرآني، والنصوص اللغوية الموثوقة بها، أن الإرهاب، يتضمن دلالة الردع المشروع عن موقف مشروع، ويتجلى جمال العربية ودقة إمكانياتها التعبيرية والاشتقاقية في قوله تعالى:

﴿...وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة الأعراف، الآية:116]

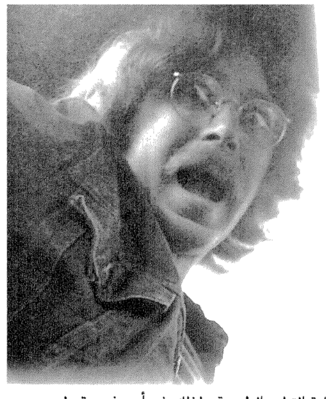
حيث أعطى المادة تغييرًا بسيطًا في بنيتها، بعداً دلالياً آخر. وذلك لأن الموقف الذي جاء السحرة لمناصرته لم يكن له نصيب من الشرعية، جاءوا لترسيخ أسس الدكتاتورية الفرعونية، وتأييد سياساته القمعية، ضد بني إسرائيل. وجاءوا يتحدون نبياً عظيماً، منصوراً من فوق السماوات، وهم مزودون بالحبال والعصي ليسحروه ويرهبوه ويهزموه بها، تضمنت كلمة استرهب كافة هذه الآفاق الدلالية، كما تضمنت أنها كانت محاولة متكلفة فاشلة، وتضمنت كذلك، أن موقف السحرة لم يحظ بالشرعية، كما أن الموقف الفرعوني الذي جاءوا للدفاع عنه، لم يكن له نصيب من الشرعية هو الآخر، وقد كشفت الستار عن هذه الإمكانيات الدلالية الهائلة، زيادة السين والتاء ومجيئهما من باب استفعل. ومن خصائص هذا الباب، أنه يدل على الطلب والمحاولة والتكلف[10]. فدلت كلمة استرهب، على محاولة الردع الفاشل وقلة شرعية الموقف المدافع عنه.

التطورات الراهنة في مجال تقنية المعلومات والإعلام عرضت اللغات وتلقائية طبيعتها لأخطار الذوبان والاندماج.

8 ـ أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء دمشق/ دار الفكر 1987 ط/1 تحقيق: د. يوسف طويل ج/13 ص/53.

9 ـ أحمد بن محمد محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، 1968 تحقيق: د. إحسان عباس ج/4 ص/22.

10 ـ لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق ط/26 مقدمة ـ ز ـ .



أما ترجمة الكلمة الإنجليزية Terrorism بالإرهاب، فإنه يبدو اعتداء على اللغة، وتشويهاً لصورتها - بفرض شيوع ذلك بصورة عفوية - وعلى افتراض الخطأ المتعمد، فهي محاولة غير مشكورة، لخلط المفاهيم وإثارة الشبهات، حول الثوابت العقيدية والحضارية، ويدل ذلك على مدى عجزنا عن الدفاع عن قضايانا اللغوية والثقافية، وإخفاقنا في التعبير عن الواقع اللغوي من المنظور الموضوعي.

الإرهاب بين التطور الدلالي والتحميل الدلالي:

وهنا من المحتمل أن يقول قائل إن التطور الدلالي حقيقة لغوية صارمة، وإن المادة كانت تتضمن دلالة الردع والذود، ثم حصل فيها تطور دلالي، حتى أصبحت تعرف لدلالتها الحديثة المتعارفة.

لا شك أن من المبادئ اللغوية، التي باتت تؤكدها الدراسات اللغوية قاطبة، أن التطور الدلالي في المفردات اللغوية، يخضع لقوانين كونية صارمة، وهي تلقائية لا تقبل التلقين والتدخل؛ والتطور الدلالي له عوامل كثيرة، منها: لغوية وأخرى اجتماعية وثالثة اجتماعية نفسية[11].

ومن خصائص التطور الدلالي، أنه لا يحدث بصورة فجائية سريعة، بل يستغرق مدة طويلة، قبل أن يتم، ويحدث عادة مندرجاً بالانتقال، إلى معنى آخر قريب منه، وتظل الدلالتان سائدتين جنباً إلى جنب، حتى تترجح كفة الأخيرة، ثم تنتقل إلى مفهوم ثالث متصل، وهكذا دواليك[12].

أما التطور الدلالي المفاجئ، وبالأحرى التحميل الدلالي، الذي حدث في مادة الإرهاب، بجعلها البديلة العربية لمصطلح Terrorism الإنكليزية، فإنه لا يستوعب المقدمات التلقائية المسوغة، لإدراجه في عملية التطور الطبيعية، ولذلك فهو أمر غير مقبول، إنه حدث فريد من نوعه، في اللغة العربية، ويشكل بعداً نوعياً في تلقين الدلالات، التي تعبّر عن أفكار مستوردة، كما أنه يمثل ظاهرة تعطيل جانب كبير، من مساحة قدراتنا التمييزية ومواهبنا التفكيرية.

إن التطورات الراهنة، في مجال تقنية المعلومات والإعلام الجماهيري، والشبكة العنكبوتية، التي وسعت إمكانيات المثاقفة، فوق مدى الحسبان قد عرضت اللغات وتلقائية طبيعتها لأخطار الذوبان والاندماج، وربما يعتبر علماء اللغة هذا التطور، أخطر شأناً من كافة الأحداث الكونية الأخرى، التي حدثت في تاريخ البشر، لأنه سوف يحدد مصاير اللغات والثقافات والحضارات، في عالم أحادي القطب، حيث تتمحور التوجهات السياسية والاقتصادية والثقافية، حول ذلك القطب متجاهلة كافة النظم والقيم.

لقد كان التطور الدلالي، لكلمة الإرهاب قضية نموذجية، تشهد لضخامة الدور الذي يمثله الإعلام بأجهزته المتنوعة، في ترسيخ جذور الآراء والأفكار، مهما كانت محابية أو منحازة، وكان إيذاناً لبداية

---

11 ـ د. علي عبد الواحد الوافي: علم اللغة، القاهرة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، شارع كامل صدقي ط/1962 ص/290.

12 ـ د. علي عبد الواحد الوافي: المصدر نفسه ص/290.

اعتمدنا النسخة الإلكترونية على القرص المدمج بالتفاصيل التالية:

« مكتبة الأدب العربي »الإصدار الأول 1419 هـ/ 1999م

مرحلة جديدة، لسريان منطق القوة كمنطق معترف به، وطغى جبروته على النواميس الكونية، التي كانت تتصرف في الشؤون اللغوية وفي جريانها مجرى الطبيعة.

وإذا تناولنا القضية من المنظور الثقافي، وعلى مستوى المشهد العالمي، ودور القوى المتصرفة فيه، وجدناها جزئية بسيطة، تلتقي عندها تيارات العولمة السياسية والاقتصادية والثقافية، لتدفع مشروعها الموحد نحو أهدافه.

تمثلت العولمة الثقافية، في شتى المظاهر الثقافية، متمشية ومتكاتفة مع زحف العولمة السياسية الطموحة، فكانت ناطقة باسمها، في حملاتها التي أطاحت بالنظم المتحدية لسيادتها الكونية المطلقة. والعولمة الثقافية تواكب مسيرة العولمة الاقتصادية بإسهاماتها النوعية، لتمهيد المسار وتسويغ الأفكار وتجنيد العقول، وتتخذ منهجية التنميط الثقافي، نمطاً ذا صبغة واحدة، تتجاهل قيم التعددية والتنوع، التي هي بمثابة حجر الزاوية، لاستقالية الثقافات وكياناتها المنفردة.

تميز العصر الراهن بالسيطرة الإعلامية، ذات البعد الواحد واكتسحت تغطيتها الدعائية وأحادية طرحها وخطابها، الموقف كله، حتى انعدمت إمكانية تواجد الخطاب الآخر، ونهوضه لمستوى الموقف المطلوب، وأصبح العالم كله، في موقف المتلقي المجبول على التلقي، دون أن يكون له نصيب من الإسهام، يدل ولو رمزاً على وجوده على الساحة الزمنية.

ويشهد المهتمون بالقضايا اللغوية ظاهرة أخرى، لا تقل غرابة وشذوذاً عن ظاهرة التلقين الدلالي، وهي انتقائية الإطلاق، وتأتي هذه الانتقائية إستراتيجية إعلامية، تدمغ عبرها مقاومة ضحايا الاحتلال بالإرهاب، وتعبّر عن الاعتداءات الإجرامية، بالإجراءات الأمنية المشروعة، وهنا تتأكد قلة موضوعية العولمة، في اعتبار المواقف المبدئية، حيث إنها تعتبر الشرعية، مع من كان قوياً، بينما تعتبر الضعيف مجرماً، وخارجاً على القانون فقط لأنه ضعيف.

كانت الانحرافات الفكرية والسلوكية، موجودة على مستوى الأفراد والحكومات، في تاريخ البشر، لكن الطغاة لم يتستروا بستائر العبارات الجميلة، ليدعوا لأنفسهم العصمة والمثالية، وكان الاستعمار استعماراً، ولم يكن عولمة أو نظاماً كونياً جديداً، وكان الغزو غزواً ولم يكن حرباً استباقية (pre-emptive war)، وكانت الحرب حرباً، ولم تكن حملة لإحلال العدل، وتتجلى الثورة المنهجية التي اتخذتها العولمة، في نحت المصطلحات الأخّاذة، ليتسنى لها ترسيخ أسسها الفكرية، وتثبيت المفاهيم، ولتبلغ التبعية السياسية والثقافية، المستوى الذي تفقد فيها الشعوب، حقها في تسمية الأشياء بمسمياتها.

تتجلى الثورة المنهجية التي اتخذتها العولمة، في نحت المصطلحات الأخّاذة، ليتسنى لها ترسيخ أسسها الفكرية، ولتبلغ المستوى الذي تفقد فيها الشعوب، حقها في تسمية الأشياء بمسمياتها.

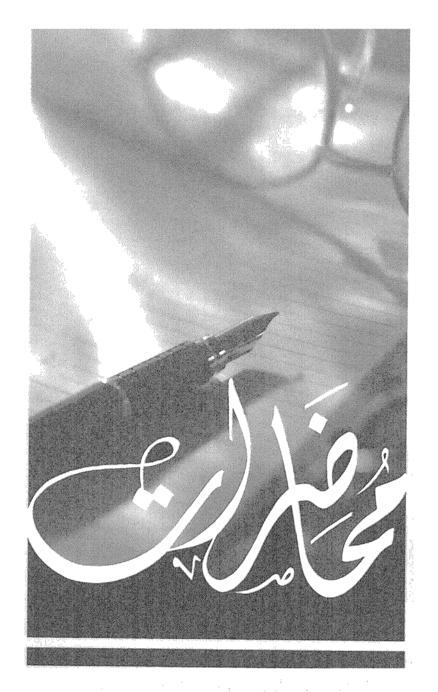
ختام الجولة

❖ اتضح لنا من خلال الدراسة السياقية، أن مادة الرهب، لا تتحمل السلبية، ودلالتها في كافة أشكالها الإشتقاقية، تلتزم بموقف الشرعية منشأً وتلقياً ـ اللهم إلا الصورة الاشتقاقية الواحدة ـ استرهب ـ، فهي تصور موقف الزيف والسلبية، والخروج على القانون.

❖ رغم أن مسيرة التطورات الدلالية، لا تقبل التلقين والتصويب فإن خطورة استهداف الثوابت والرموز الحضارية، تؤكد ضرورة إعادة النظر في استخدام المادة في سياقها الحديث.

❖ انطلاقاً من خصوصيتها الدلالية، التي حددت لها مجالاً أخص، ندر استعمالها في كتب اللغة والأدب على مدار التاريخ.

❖ البديل العربي الصحيح لكلمة Terrorism، هو الاسترهاب، إذ أنه يتضمن عدم شرعية الموقف، وقلة إجداء الوسيلة، كما أنه يحتوي على الطابع السلبي.



الحكم الرشيد والنظام العالمي الجديد
في القرن الحادي والعشرين



الحكم الرشيد والنظام العالمي الجديد في القرن الحادي والعشرين *

البروفيسور فرانسيس فوكوياما **
نقلها عن الإنجليزية: أحمد محمد عثمان ***


البروفيسور فوكوياما

هذه المحاضرة المهمة التي ألقاها الباحث والمفكر الأمريكي (فرانسيس فوكوياما) أمام عدد من الباحثين والمفكرين وأساتذة الجامعات والكتّاب العرب؛ تلبي طموح القراء ممن تشغلهم لسنوات أطروحات فوكوياما، ويتوقون إلى معرفة المتغيرات التي طرأت على منهجيته ومنطلقاته، باعتباره أحد الذين قاموا بالتنظير واستشراف مسارات النظام العالمي الجديد.

ومن المعروف أن البروفيسور (فرانسيس فوكوياما) هو مؤلف كتاب (نهاية التاريخ) الذي صدر قبل ثلاثة عشر عاماً، وكان له أثر كبير على المفكرين في العالم، ومنذ ذلك التاريخ قام بتأليف كتابين عن (الثقة العالمية) و(الفضائل الاجتماعية). وتبع ذلك بكتابين آخرين عن (بناء الدولة) و(دور الحكومات). أما أحدث كتبه فهو عن السياسة الخارجية الأمريكية، وخصوصاً الحرب في العراق. وهو في كتابه الأخير ينتقد بشدة تورط الإدارة الأمريكية في تبنيها مذهب الحرب الإستباقية، وكيف أن هذه الإدارة وضعت كل الأخطار في سلة واحدة تحت مسمى (الإرهاب)، وفي هذا السياق يخلص (فوكو ياما) إلى القول بالحرف:

«لذلك فإنني أعتقد أن الإستراتيجية العامة للإدارة الأمريكية تضمنت جملة من الأفكار والحجج، لكن تلك الأفكار كانت لسوء الحظ خاطئة بصفة أساسية».

وتبقى الإشارة إلى أن المداخلات التي استمع إليها البروفيسور (فوكوياما) من المشاركين كانت موضع تقديره البالغ، وربما تسهم مستقبلاً في دفعه إلى المزيد من إعادة النظر في المرجعيات الفكرية التي شكلت منهجيته، وكان من بينها كتاب (صدام الحضارات) للبروفيسور (صموئيل هنتنغتون) الذي ينعته بـ(أستاذي).

---

* محاضرة ألقيت بقاعة المجمع الاستثماري لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بتاريخ: 16 هانيبال 1374 من وفاة الرسول ﷺ (أغسطس 2006 مسيحي).

** باحث ومفكر وسياسي / أمريكا.

*** مترجم، ليبيا.



البروفيسور فرانسيس فوكوياما:

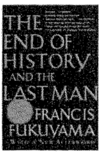
أود أن أتحدث باختصار عن بعض الأفكار والمواضيع التي وردت في كتبي المختلفة، والتي يصب مجملها في مسار واحد، وأريد في البداية أن أتحدث قليلاً عن كتاب (نهاية التاريخ) وماذا حدث لتلك الفكرة منذ أن طرحتها. وسوف أتحدث عن مشاكل التنمية والنمو وبناء الدولة، وأخيراً سأتحدث عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، لأنه خلال السنوات الأخيرة كانت السياسة الخارجية الأمريكية مبنية على استنتاجات نظرية عن العلاقة بين الديمقراطية والإرهاب والاستقرار، وهي أفكار تطرقت إليها في كتابي (نهاية التاريخ) وكتبي الأخرى، ودعوني أبدأ بالأطروحة حول (نهاية التاريخ).

تاريخ إنساني عالمي متطور

إن مفهوم (نهاية التاريخ) بالطبع مألوف بالنسبة لأتباع ماركس، وكان كارل ماركس قد أخذ الفكرة عن الفيلسوف الألماني (هيغل) بما في ذلك فكرة (نهاية التاريخ)، وهذا المفهوم مبني على أساس أن هناك تاريخا إنسانيا عالمياً متطوراً، ابتداءً من المجتمعات البدائية، مروراً بالمجتمعات الزراعية، ووصولاً إلى المجتمعات الصناعية.

إن نقطة التحول في هذا التطور الإنساني بالنسبة لكارل ماركس ونهاية التاريخ تكمن في بناء المدينة الشيوعية الفاضلة، وقد كتبت (نهاية التاريخ) في الأشهر الأخيرة من سنة 1988 م، وفي ذلك الوقت كان الاتحاد السوفييتي يمر بسياسات الانفتاح وتحرير اقتصاده المركزي، وبذلك فإن النظرة الماركسية لنهاية التاريخ ببساطة لم تر الحياة، لأن العالم لم يتطور باتجاه المدينة الشيوعية الفاضلة المبنية على التخطيط المركزي للاقتصاد، وإذا كانت هناك نقطة تحول للمجتمعات في الواقع فإنها كانت باتجاه الديمقراطيات الغربية الحرة واقتصاد السوق، وكان ذلك هو الأطروحة، أي أنه كان هناك تقدم وتطور وعصرنة، وفي جميع المجتمعات فإن عملية الحداثة مرت عبر عدة مراحل كانت في معظمها شبيهة ببعضها البعض.

أعتقد أنه ليست كل مظاهر



كتاب نهاية التاريخ

الحداثة في المجتمعات العصرية محبذة، فهناك سياسات التنفير والعزلة والجريمة، والعديد من المشاكل الاجتماعية في الدول الديمقراطية المتقدمة، ولكن في الجانب الآخر هناك مستويات المعيشة العالية، والرعاية الصحية، ومعدلات مرتفعة لمتوسط العمر المتوقع، وفرص الحصول على التعليم... الخ. وهي أمور تتمناها الشعوب في مختلف أرجاء العالم لها ولأطفالها. وكمثال على ذلك - بالنسبة لي - فإن الرغبة الموجودة لدى الكثير من الشعوب في الدول الأقل نمواً في حرية الحركة عبر الحدود والسفر إلى البلدان المتقدمة؛ يشير إلى أن هذه الرغبة هي طموح جامح لدى تلك الشعوب.

ومن وجهة نظري فأنا لست مؤرخاً متحجراً أو متزمتا لأفكار حول مراحل محددة مسبقاً لمسيرة التاريخ، مثلما هو الحال مع الماركسيين، فأنا أعتقد أن عمليات التحديث والعصرنة والتنمية هي عمليات غير مستمرة، وتعاني العديد من العقبات والأزمات، وهناك طرق بديلة للحداثة، فعلى سبيل المثال قامت كل من ألمانيا واليابان بتطوير وتحديث اقتصادهما بوتيرة أسرع مما كان الحال عليه بالنسبة للولايات المتحدة وبريطانيا. وكانت هناك أزمات وعودة إلى الوراء، فخلال عقد الثلاثينيات من القرن الماضي كان هناك ابتعاد وتخلٍ عن الديمقراطية... لذلك كان هناك انقطاع في هذا العملية الكلية، وهي (تطور الأحداث التاريخية).

محدودية وسائل الاتصال بين الثقافات سوف يعمق سوء الفهم ويؤدي للصدام

الحداثة والتنمية

ولكن في النهاية فإن الحداثة والتنمية عملية ستستمر، وإذا ما نظرنا حول العالم اليوم فإن قصة العصرنة والحداثة بادية للعيان، فكل من الصين والهند - وهما أكبر بلدان العالم من حيث السكان - جزء لا يتجزأ من هذه العملية، فقد سجلت الصين على مدى عدة سنوات أعلى معدلات نمو اقتصادية مقاساً بالناتج المحلي الإجمالي، تراوحت بين معدلات تقارب 10٪ سنوياً، وقد تضاعف اقتصادها مرتين خلال عقدين من الزمان، وارتفعت مستويات المعيشة بها، وتم إنقاذ مئات الملايين من سكانها من الفقر. ونفس القصة تنطبق على الهند، خصوصاً منذ العام 1991 م، فإن انفتاح الاقتصاد الهندي قد ساعدها في العديد من الجوانب على دخول الأسواق العالمية، بعدما أنشأت الهند مراكز تكنولوجية تنافس على المستوى العالمي، وتسبب الكثير من القلق للأمريكيين، كما أن الهند دخلت عصر المعلوماتية على الرغم من حقيقة أن معظم سكانها لا يزالون تحت مستوى خط الفقر، وأن الهند لا تزال من بين الدول النامية.

لذا فكلتا الحالتين (الصين والهند) واللتان تسكنهما نسبة كبيرة من سكان العالم، تخطوان خُطًى شبيهة بما فعلته اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وبعض دول جنوب شرق آسيا التي تحولت من دول عالم ثالث إلى دول عالم أول، خلال فترة تراوحت بين أربعين وخمسين سنة، وهي وتيرة أسرع بكثير مما استغرقته بريطانيا والولايات المتحدة.

ومن وجهة نظري فإن الرغبة في الحداثة والتنمية هي تقريباً رغبة عالمية، ولا يوجد سوى القليل من الدول التي لا ترغب في المشاركة في هذا العملية، لكنني أعتقد أن الرغبة في العيش في ديمقراطية حرة، مثلما هو الحال في أوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان، ليس بالضرورة مرغوباً على مستوى العالم بصفة مطلقة، فهناك في الواقع العديد من المجتمعات ذات الأنظمة الاستبدادية التي قامت بتحديث اقتصادياتها، مثلما هو الحال مع سنغافورة وكوريا الجنوبية، وكذلك اليابان في مراحلها الأولى، حيث كانت محكومة من قبل دكتاتوريات عسكرية، وفي حالة الصين التي تقوم حالياً بتحديث اقتصادها في ظل حكم الحزب الشيوعي الصيني، لذلك ليس هناك بالضرورة أي رابط بين التحديث والتنمية من جهة،

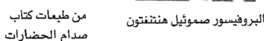
والديمقراطيات السياسية من جهة أخرى.

أعتقد أن الرابط بين التحديث والعصرنة والديمقراطية يحدث فقط عند مستويات أعلى من التطور، لذلك عندما تصل إلى مستويات دخل فردي تقارب ستة آلاف دولار، مقاساً بالناتج المحلي، وهو المستوى الذي حققته كل من تايوان وكوريا الجنوبية خلال الثمانينيات من القرن الماضي؛ عندها تحدث تغيرات في المجتمعات تخلق طلباً داخلياً على التمثيل السياسي وعلى محاسبة المسئولين وعلى مزيد من المشاركة السياسية، لأنه عند تلك النقطة تكون هناك طبقة متوسطة داخل المجتمع تنشأ عن مستويات عالية من التعليم، وتكون هناك تنظيمات خاصة بالعمالة وبالمجتمع المدني، وهي التي تتبنى المطالب بوجود قدر أكبر من المحاسبة للمسئولين السياسيين. إن الاختبار الكبير سوف يأتي من بلد كبير مثل الصين، فحالياً يبلغ معدل دخل الفرد من (2000 إلى 2500 دولار) مقاساً بالناتج المحلي، لذلك ما زال أمامها الكثير قبل أن تصل إلى ذلك المستوى الذي تحدثت عنه، لكن هناك مؤشرات على أن هناك مطالب بقدر أكبر من المشاركة السياسية.

كانت تلك الفكرة العامة لمفهوم نهاية التاريخ لدى أصحاب النظريات والمفكرين من أمثال أستاذي البروفيسور صموئيل هنتنغتون الذي ألَّف كتاب (صدام الحضارات) منذ عدة سنوات، والذي جادل فيه بأنه لا توجد عملية عالمية للتحديث والعصرنة، ولكن هناك أنظمة ثقافية متوازية ومتعددة مثل المسيحية الغربية والعالم الإسلامي والمجتمعات الكونفوشيوسية في شرق آسيا والمجتمع الهندي، فتلك ستكون الوحدات الأساسية للحضارة، وفي النهاية سيكون هناك تحول في المؤسسات، وسيكون هناك تحديث في ظل هذه الثقافات السائدة. وأعتقد أن من بين الأشخاص الذين يغذون هذه النظرية أمثال أسامة ابن لادن والعديد من الإسلاميين الراديكاليين الذين يؤمنون بأن الخط الفاصل في التطور العالمي مرتبط بالثقافة، ومبني على الدين، وأن هناك مسارات



البروفيسور صموئيل هنتنغتون



من طبعات كتاب
صدام الحضارات

مميزة لكل مجموعة ثقافية، لذلك فإن محدودية وسائل الاتصال بين تلك الثقافات سوف يعمق سوء الفهم ويؤدي للصدام. أما من وجهة نظري فإنني لا أعتقد بأن هناك أية عوائق تمنع المجتمعات الإسلامية من التحديث ومن التحول نحو الديمقراطية، مثلما هو الاعتقاد السائد لدى العديد من شعوب شرق آسيا أنه من الممكن للمجتمعات الكونفوشيوسية أن تواكب التحديث والعصرنة والتحول نحو الديمقراطية.

هذه الخلاصة الواضحة من خلال تجارب القرون الماضية، وهذا هو محور النقاش والجدل القائم حالياً، فهناك العديد من الناس الذين يجادلون بأن الثقافة ببساطة ليست من بين ركائز أو محاور التطور، وإنما المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المحتكرة، لذلك فإن جميع تلك المؤسسات الثقافية يجب أن تزول.

وسأعطيكم مثالاً على ذلك يتمثل في دور المرأة في المجتمع، فمن الواضح أن هناك عدم مساواة وتفرقة بين الجنسين في العديد من المجتمعات، بما في ذلك المجتمعات الغربية الديمقراطية، وفي اعتقادي فإن الفرق بين مجادلة هنتنغتون ومجادلتي أنا الشخصية؛ هو أنه سيجادل بأن الميول والنزعات الثقافية الداخلية تحدد دور المرأة في المجتمعات، بينما أنا أجادل بأن الدول تتطور وتتشكل خلال عملية التحديث، فإذا كان لديك نظام اقتصادي يمنع نصف عدد سكانه من المشاركة ومن الإبداع واستخدام المهارات في دفع عجلة

الاقتصاد؛ عندها سينشأ عن ذاك الوضع مجتمع فارغ في جانب من جوانبه، من خلال حرمان المجتمع من ميزة مشاركة النصف المعطل، لذلك وفي وجود نظام عالمي تنافسي فإن تلك المجتمعات سوف تتخلف عن الركب.

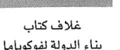
وإذا نظرنا إلى تجربة شرق آسيا سنجدها توضح أثر التحديث على دور المرأة، فمنذ مائة سنة مضت لم تكن المرأة في شرق آسيا ضمن القوى العاملة، وكان دورها ينحصر في إنشاء ورعاية العائلة، أما اليوم فإننا إذا نظرنا إلى اليابان أو الصين أو كوريا؛ فسنجد مستويات عالية من العمالة النسائية تشارك في عملية التحديث لتلك البلدان.

بناء الدولة

أما الآن فدعوني أتحدث عن الملاحظة التي ذكرتها في كتاب لي عن (بناء الدولة) منذ ما يقرب من أربع سنوات، وهو يتحدث أساساً عن دور الدولة في التنمية، لأنني أعتقد أن هناك سوء فهم لهذا الدور، ليس فقط في الدول النامية، ولكن أيضا في واشنطن والعديد من المؤسسات المالية الدولية التي تمول التنمية العالمية.

هناك لا مساواة وتفرقة بين الجنسين في العديد من المجتمعات، بما في ذلك المجتمعات الغربية الديمقراطية

لقد شكلت الدولة عاملاً أساسياً في الحياة الاقتصادية عبر القرون، وخصوصاً القرن الماضي، وإذا ما نظرنا إلى دولة مثل الولايات المتحدة أو بريطانيا في بداية القرن الماضي فإن القطاع العام بكل منهما لم يمثل سوى (7٪) من الناتج المحلي الإجمالي، وهو الحال أيضاً في بريطانيا في العام 1900 م، ولكن بحلول العام 1960 م كان القطاع العام في الولايات المتحدة يمثل (40٪) من الناتج المحلي الإجمالي، وفي الدول الإسكندنافية كان الرقم (من 60 إلى 65٪)، وهناك بالطبع الدول الشيوعية، حيث كان القطاع العام يمثل ما يقرب من (100 ٪)، لأنه في الواقع كان هناك قطاع خاص من الأفراد العاملين لحساب أنفسهم، وفي الاتحاد السوفييتي كان (90 ـ 95٪) من النشاط الاقتصادي يخضع لسيطرة الدولة، وفي الصين الشيوعية كانت النسبة (80 ـ 85٪).



غلاف كتاب
بناء الدولة لفوكوياما

لذا كان هناك دور كبير للدولة، وفي عقدي السبعينيات والثمانينيات كانت هناك براهين واضحة على أن تلك الدرجة المفرطة من تدخل الدولة في الاقتصاد أصبحت تشكل عاملاً مدمراً للنمو الاقتصادي، ونتج عن ذلك ركود اقتصادي. وبالنسبة للدول الشيوعية فإنها لم تتمكن من الانتقال إلى مرحلة ما بعد الاقتصاد الصناعي.

وحتى في العديد من الدول الغربية في غرب أوروبا التي تبنت سياسة الرعاية الاجتماعية، مثل بريطانيا التي قامت بتأميم العديد من الصناعات؛ كان هناك مزيج من التضخم ومعدلات نمو منخفضة، لكن ذلك أدى إلى ثورة مضادة قادها أشخاص من أمثال مارغريت تاتشر، بهدف تقليص دور الدولة، وخصخصة الصناعات التي كانت تخضع للقطاع العام، وإلغاء بعض القيود، وفرض معدلات أقل من الضريبة بهدف مساعدة القطاع الخاص. وخلال الثلاثين عاماً الماضية أعتقد أن هذا هو الإطار العام المعتمد في بريطانيا.

بالنسبة لليبيا ـ وبالطبع فإن الكثير من المشورة والنصيحة تأتي من المؤسسات المالية الدولية ويبدو أنها تسير نحو تقليص القطاع العام والتوجه نحو الخصخصة وإلغاء بعض القيود وما شابه ذلك، وهذا بالطبع ما يقدمه صناع القرار في تلك المؤسسات.

وأودُّ أن أخوض في التفاصيل التاريخية للسياسات

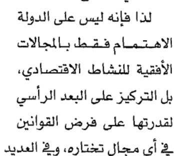
التي اتخذتها واشنطن لحل أزمة الديون في أمريكا اللاتينية، والسياسات التي تبنتها استجابة لتلك الأزمة في بداية الثمانينيات، والتي تمثلت في حل جملة من المشاكل بكل من الأرجنتين والبرازيل والمكسيك. وكانت المشكلة الرئيسية تتمثل في كيفية تقليص الإنفاق الحكومي، وكانت هناك حاجة لتبني سياسات نقدية فعالة لوضع ذلك موضع التنفيذ. لكن ذلك النهج تم تبنيه ليصبح سياسة عامة لتشجيع التنمية بطرق أدت في بعض الأحيان إلى عدم فعاليته، وفي أحيان أخرى ساهمت في تأخير آفاق التطور والتنمية عند تطبيقه.

مجالات الدولة ونشاطها

وأعتقد أن المشكلة الأساسية هي أن هناك بعدين مهمين لقدرة الدولة على انخراطها في الاقتصاد: أحدهما نسميه مجالات الدولة، وهي ببساطة عدد من الأنشطة التي تنظمها الدولة أو التي تخضعها لسيطرتها، وفي حالة الأنظمة الشيوعية السابقة فإن مجالات الدولة كانت بنسبة (100٪) من كل الأنشطة الاقتصادية، أما فيما يتعلق بالأنظمة المتطورة التي تخضع لسيطرة السوق فإن تلك النسبة تنخفض عن (30٪) من الاقتصاد الذي يخضع للقطاع العام، لكن المسألة المهمة هي ما مدى النسبة التي تتحكم فيها الدولة في الاقتصاد؟. أما البعد الآخر فهو بعد رأسي لكل نشاط يمكن للدولة أن تقوم به على الوجه الأفضل إلى حد بعيد، ونعني بهذا مقدرة الدولة على فرض القوانين والدساتير ضمن حدودها الإقليمية.

عالم الاجتماع الألماني (ماكس فيبر) حدد مفهوم الدولة على أنها «احتكار للقوة الشرعية أو القوة القسرية التي لها القدرة على فرض سلطة القانون على منطقة إقليمية محدد» وكان ذلك هو المفهوم التقليدي للدولة خلال فترة التنمية التي شهدتها أوروبا. وأنا أعتقد أن ذلك التعريف ينطوي على الكثير من الحكمة، لأنه إذا لم تستطع الدولة أن تفرض سلطة القانون فلا يمكنها أن تخلق الشروط الأساسية للتنمية الاقتصادية. وأنا أضيف أن معظم علماء الاقتصاد التقليدين بجامعة شيكاغو سيعترفون بسهولة بأنه إذا فشلت الدولة في توفير الاحتياجات الأساسية للمواطنين مثل الأمن على الأرواح والممتلكات، والأمن الخارجي، وسيادة القانون، وحقوق ملكية عقارية آمنة، ونظام تجاري قانوني قادر على حل النزاعات، وبناء البنية التحتية الأساسية، وتنظيم تدفق المعلومات؛ فإن من الصعب جداً أن يحدث أي نشاط اقتصادي للقطاع الخاص.


ماكس فيبر



لذا فإنه ليس على الدولة الاهتمام فقط بالمجالات الأفقية للنشاط الاقتصادي، بل التركيز على البعد الرأسي لقدرتها على فرض القوانين في أي مجال تختاره، وفي العديد من الجوانب. إذا كان الهدف هو التنمية الاقتصادية السريعة؛ فإن الهدف النهائي للإصلاح هو أنه إذا كان لديك مجتمع به الكثير من القيود المفرطة التي تفرضها الدولة؛ فإن عليك أولاً خفض مدى تدخل الدولة في الاقتصاد، ولكن أيضاً زيادة قدرة الدولة على القيام بالأنشطة التي يتوجب على جميع الدول القيام بها.

خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي كانت العديد من الدول النامية الانتقالية التي تأخذ المشورة من واشنطن، ومن العديد من المؤسسات المالية الدولية، قد استوعبت جيداً مفهوم تقليص تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، لكنها لم تتلق الرسالة حول الحاجة إلي زيادة قدرة الدولة في بقية المجالات التي ظل دور الدولة فيها غير فعال.

وأعتقد أنكم قرأتم أن المشكلة الكبرى في روسيا هي أنهم كانوا تحت إغراء تقليص حجم تدخل الدولة في الاقتصاد بصورة سريعة، دون قدرة المؤسسات الحكومية على إدارة بعض الأشياء البسيطة مثل سيادة القانون في شوارع موسكو، وكذلك حينما تعلق الأمر

بالخصخصة، فإذا تمت تلك العملية دون قدرة الدولة على حماية حقوق صغار المساهمين في انتقاء الخيارات بطريقة نظيفة وتتسم بالشفافية؛ فإن ما سينتج عن ذلك هو أن ريع المزادات العلنية لأصول الشركات العامة سيذهب ببساطة إلى الذين يملكون معلومات داخلية، والعديد منهم في الحكومة أو في اللجان التي تشرف على تلك المزادات.

عندها ستصبح عملية الخصخصة برمتها ملطخة بالفساد، وسوف تؤدي إلى فقدان النظام ككل لشرعيته، وهذا ما حدث على سبيل المثال في قطاع النفط والغاز الروسي، حيث تمت خصخصة القطاع وانتهت عملية الخصخصة بتملك أولئك المسئولين القائمين والمشرفين على عملية الخصخصة لشركات ومؤسسات القطاع، ولذلك فإن هذه المشكلة تكررت في العديد من الاقتصاديات النامية الانتقالية، وقد أدت إلى ضعف الثقة فيما يسمى في أمريكا اللاتينية باسم (الليبرالية الجديدة).

أعتقد أن ذلك كان المسار الخطأ، فالمشكلة - في الحقيقة - ليست في الاتجاه العام نحو إقصاء دور الدولة وإفساح المجال أمام القطاع الخاص، لكنها تكمن في نسيان أن على الدولة أن تمارس بعض الوظائف الإشرافية، والحاجة إلى استمرار الدولة في توفير بعض المستلزمات الضرورية والملحة لعامة الشعب، وبالتالي عند تطبيق هذه الإصلاحات سوف يتوسع مجال دخول القطاع الخاص إلى السوق.

وعند الحديث عن أماكن أخرى من العالم، وخصوصاً في إفريقيا، هناك مشاكل حادة فيما يتعلق بقدرات الدولة، فقبل ظهور الاستعمار الأوروبي لم يكن هناك ما يشبه الدولة الأمة في هذا الجزء من العالم، وأعتقد أن العديد من المجتمعات الإفريقية مزقها الاستعمار الأوروبي وأوقعها في دائرة الفوضى، وأن الاستعمار في العديد من الحالات لم ينخرط في عملية (بناء الدولة) مثلما حدث في حالة الهند مثلا، لذلك ترك الاستعمار هذه القارة في إرث مضطرب فيما يتعلق بقدرة مؤسسات الدولة على توفير الخدمات الأساسية والضرورية.

أعتقد أن مشكلة التنمية بالنسبة للعديد من البلدان هي مشكلة متزامنة، من حيث جعل الدولة تتوقف عن التدخل اللامجدي، والذي يأتي بنتائج عكسية على الاقتصاد، وفي نفس الوقت زيادة قدرة الدولة على توفير الحماية القانونية، وسيادة القانون، والتأسيس لاقتصاد مبني على سيادة الإجراءات والنظام العام.

السياسة الخارجية الأمريكية

دعوني، أخيراً، أتحدث بصورة مختصرة عن السياسة الخارجية الأمريكية، لأن العديد من المسائل التي طرحتها والتي كانت محل نقاش لدى العديد من الأكاديميين؛ هي مسائل نظرية، ولكن في العديد من جوانبها دخلت إلى السياسة العامة خلال فترة السنوات الخمس الأخيرة، وهي الفترة التي أعقبت أحداث 11 سبتمبر، وتمثل تأثيرها في إعادة صياغة السياسة الخارجية الأمريكية.

العديد من المجتمعات الإفريقية مزقها الاستعمار الأوروبي وأوقعها في دائرة الفوضى

أعتقد أنه من الصدق القول: إن الولايات المتحدة قد تأذت من الهجمات التي حدثت خلال العام 2001م، ولقد أمضت إدارة بوش العديد من الوقت في استنباط سياسة غايتها الاستجابة - وبصورة كلية وشاملة - لهذا التحليل المتعلق بتحديد ماهية المشكلة الأساسية. وفي العديد من الجوانب فإن ذلك التحليل تغلغل في فكر العديد من السياسيين الذين أطلق عليهم (المحافظون الجدد) وهؤلاء مجموعة من المفكرين الذين يرجع ميراثهم الثقافي إلى الثلاثينيات من القرن الماضي، حيث بدأ معظمهم حياته السياسية في أقصى اليسار في السياسة الأمريكية، وكانوا - إلى حد بعيد - خارج اللعبة السياسية في أمريكا.

وكان لدى هؤلاء العديد من الأفكار اليسارية

والتقدمية، لكنني أعتقد أنه ـ وإلى حد كبير ـ وكنتيجة لتجربتهم خلال الحرب العالمية الثانية؛ فقد تحركوا باتجاه يمين الوسط، لسببين: الأول يتعلق بتجربة (ستالين) في الاتحاد السوفيتي السابق، والاعتراف بأنه إذا تم السير بإفراط نحو تحقيق مجتمع المساواة؛ فسيؤدي ذلك إلى نتائج اجتماعية سيئة جداً سوف تقوض طموحات الشعوب التي اتبعت ذلك المسار، والحقبة الستالينية بالطبع أنتجت سجون الغولاغ، ومعسكرات الاعتقال، والمجاعة، والعديد من النتائج الفظيعة، والتي أدت في النهاية إلى انهيار الاشتراكية.

أما بالنسبة للتجربة الثانية، وهي المتعلقة بالحرب العالمية الثانية، حيث كانت القوة الأمريكية العسكرية العامل الحاسم في هزيمة ألمانيا النازية والإمبراطورية اليابانية، وفي خلق نظام ديمقراطي بعد الحرب في كل من أوروبا الغربية وشرق المحيط الهادي؛ فإن ذلك أسس لما يعرف بفترة الحرب الباردة التي سادت العلاقات بين الشرق والغرب.

الإستراتيجية العامة للإدارة الأمريكية تضمنت جملة من الأفكار والحجج، لكن تلك الأفكار كانت لسوء الحظ خاطئة بصفة أساسية

لذا فإن هؤلاء (المحافظين الجدد) آمنوا بأهمية القوة العسكرية الأمريكية في المحافظة على نظام عالمي مستقر أولاً، وثانياً التشكيك في آفاق نجاح ما يسمى الهندسة الاجتماعية، فكلتا الفكرتين، وخصوصاً فكرة القوة العسكرية الأمريكية، أدت إلى صياغة ما يسمى بـ (مذهب بوش السياسي)، ولاستجابة إدارة بوش لأحداث 11 سبتمبر. لقد قامت الإدارة بوضع إطار عام نظري لعرض وبسط الأسباب والمبادئ والأسس المنطقية لسياستها.

وفي معظم الإدارات الأمريكية هناك استراتيجية للأمن القومي يصدرها البيت الأبيض تسبق إعلان الحرب، وفي تلك الاستراتيجية عرضت إدارة بوش سلسلة من البراهين والحجج لتبرير ما قامت وما ستقوم به، ولقد بدأت تلك الاستراتيجية بمقدمة عن أن أنواع الهجمات الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة مدفوعة بأيديولوجيا (مجموعة من المفاهيم المتطرفة) يعتنقها أفراد وليس دولاً. لقد كانت شبكة إرهابية تتخطى حدود الدول، لذا لا يمكن استخدام نفس الموارد التقليدية لاحتواء ذلك الخطر وردعه، مثل تلك التي استعملتها الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة ضد الخطر النووي السوفييتي، حيث إن أسامة بن لادن والقاعدة لا يمكن أن يردعهم التهديد بالرد النووي.

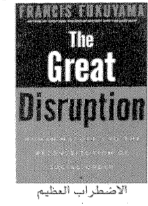
الحرب الاستباقية

أعتقد أن تلك المقدمة مبررة، لكنها استمرت في التوسع في التفاصيل حول مذهب الحرب الاستباقية، وهي أنه بما أن أمريكا لم تتمكن من الدفاع عن نفسها ضد تلك الهجمات؛ فإن عليها نقل الحرب إلى أماكن تواجد الإرهابيين، والذي ـ من وجهة نظرهم ـ برر ليس فقط نقل الحرب إلى أفغانستان ولكن أيضاً إلى العراق. وأعتقد أنهم بفعلهم هذا قد قاموا بالخلط بين تهديدين مختلفين: الأول وهو الخطر الإسلامي الذي مثله السلفيون المتطرفون القادمون من مناطق مثل السعودية وباكستان والمرتبطون بأسامة بن لادن من جهة، و من جهة أخرى الخطر الذي مثله صدام حسين والنظام البعثي في العراق، والذي كان مشكلة بالنسبة للعراقيين وللمنطقة ككل، لكنه كان مختلفاً تماماً عن الخطر الإرهابي الذي تمثل في أحداث 11 سبتمبر.

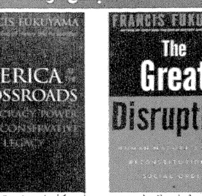
لكن الإدارة الأمريكية وضعت كل تلك الأخطار في سلة واحدة تحت مسمى (الإرهاب)، ثم واصلت تبرير التدخل ضد العراق بتبني مذهب (الحرب الإستباقية). وأعتقد أنهم بالغوا في تقدير درجة الخطر الذي مثله صدام حسين، حيث إن العراق لم يمثل خطراً وشيكاً، بل خطراً ربما يتطور خلال سنوات قليلة قادمة، لكن الإدارة طرحته كخطر وشيك بهدف الحصول على الدعم الشعبي لتلك الحرب.

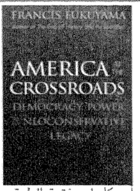
أما الجزء الآخر من السياسة الأمريكية، والذي

بعض مؤلفات البروفيسور فرانسيس فوكوياما



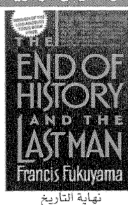
الاضطراب العظيم







أمريكا على مفترق الطرق



نهاية التاريخ

أعتقد أنه على علاقة بما ذكرته في كتابي (نهاية التاريخ)، والحوار والنقاش النظري الذي تبع ذلك يتعلق بدور الديمقراطية في جلب النظام إلى الشرق الأوسط، فقد ذكرت إدارة بوش بوضوح أنها تعتقد أن السبب الأساس وراء التهديد الإرهابي الإسلامي في الشرق الأوسط هو غياب الديمقراطية في هذا الجزء في العالم، ولذلك، وكجزء من استراتيجية الإدارة الأمريكية بعيدة المدى لاجتثاث الإرهاب، رأت أن تقوم بتشجيع الديمقراطية في المنطقة بداية من إنشاء عراق ديمقراطي، وبفعلهم ذلك، أشاروا إلى الأفكار التي طرحتها في كتابي (نهاية التاريخ). وعلى الرغم من أنهم لم يستعملوا نفس الألفاظ بصورة مباشرة، إلا أنهم استعملوا مفردات جعلت الكثير من الناس يربطون بينها وبين الحجج التي استخدمتها في كتابي (نهاية التاريخ) مثل: «إن الرغبة في الديمقراطية رغبة عالمية» .. «إن العراقيين على وجه الخصوص سوف يرحبون بالغزو الأمريكي»، وأن ذلك الغزو هو فرصة لبناء ديمقراطية حديثة.

وأعتقد أن أحد الأسباب وراء المأزق هو أن العديد من المسئولين في إدارة بوش اعتقدوا أنه بمجرد القضاء على صدام حسين سيكون هناك تحول سريع، وإلى حد ما غير مؤلم، إلى ما يشبه الديمقراطيات الغربية في ذلك البلد. وأنا أجد كل ذلك حزيناً ومؤسفاً، لأنني أعتقد أن تلك أسباب وأفكار مضللة وخادعة لم تكن موجودة في كتابي، وكما ذكرت فإن الرغبة في التطوير والتنمية والتحديث عالمية، أما الرغبة في الديمقراطية فليست بالضرورة عالمية، وإنما تظهر بعد مرور وقت، وعلى المدى القصير فإن التطوير والحداثة يمكن أن تنتج عنه أنظمة استبدادية، وفي بعض الظروف قد ينتج عنه رد فعل لبعض القوى، ولقد رأينا ذلك في بعض أجزاء الشرق الأوسط.

لذلك فإنني أعتقد أن الاستراتيجية العامة للإدارة الأمريكية تضمنت جملة من الأفكار والحجج، لكن تلك الأفكار كانت لسوء الحظ خاطئة بصفة أساسية، ومن خلال التحليل الجذري، ونتيجة لذلك، فإنهم قد شجعوا سياسات إسرائيل فيما يتعلق بلبنان، ومحاولاتها زعزعة الاستقرار في هذا البلد من خلال الغزو الأخير. وكلتا السياستين بالغتا في قدرة القوة العسكرية على إنجاز أهداف سياسية في هذا الجزء من العالم، ولسوء الحظ أيضاً فإنني أعتقد أن ذلك قد جعل الموقف أسوأ مما كان عليه فيما يتعلق بالمصالح الأمريكية والديمقراطية والاستقرار العام في هذه المنطقة، وأعتقد أنني سوف أنهي محاضرتي عند هذه النقطة، لأنني على يقين أن هناك العديد من الملاحظات والتعقيبات والأسئلة.

ولا أودُّ أن أتحدث عن الموقف في الوقت الحاضر، لأنني شخصياً غير واثق مما سيؤول إليه الوضع في المنطقة، خصوصاً في ظل التعقيدات الموجودة، والتي استحدثت نتيجة لفرط رد الفعل من طرف السياسة الخارجية الأمريكية.

شكراً لكم جميعاً على انتباهكم واهتمامكم وأنا أرحب بأية أسئلة.

أ. د. مهدي امبيرش ❖

الأمين المساعد لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية:

أستاذ فوكوياما، أنا شخصيًا أستاذ فلسفة تاريخ، وأكتب الآن كتابًا موسوعيًا بعنوان (نهاية الليبرالية وإنسانها الأخير، مشروع ضد فوكوياما)، إن ما لاحظه الكثيرون ممن قرؤوا كتابك (نهاية التاريخ، والإنسان الأخير)، والذي أشرت إليه في هذه المحاضرة، أنك تتعمد الأسلوب الانتقائي في الدفاع عن أطروحتك وفكرتك. لقد وضع السيد فوكوياما أطروحته متكئاً على التصور الأفلاطوني للشكل السياسي، والذي قسمه، حسب نظرته للجسد البشري، الى ثالوث: القوة المتفكرة، أو (الثيموس)، وهي تكمن في الرأس، حيث الثيموس، هو الغيبي، وبالمفهوم اللاهوتي، هو الإلهي، وهو في الشكل السياسي وفق التصور الافلاطوني، الرئيس، أو القوة الاستعلائية، التي تصدر إملاءاتها على الجزء السفلي، أو (الديموس)، الجماهير، أو الدهماء، المحكومة بالغرائز، وبين الثيموس، ومنها (Theory)، نظرية، وبين الديموس، ومنها (Democracy)، تأتي القوات المسلحة، أو الشرطة، التي يقابلها في الجسد (الثيموس)، أو القوة الغضبية، التي تحول دون أن يصعد الجزء الشهواني، أو الجماهير إلى مستوى الرأس أو الرئيس، وهو الجزء الذي يطلق عليه السيد فوكوياما (الكرامة)، أو تأكيد الذات، حيث يرى أن الشكل الليبرالي، المؤسس على الفلسفة الأفلاطونية، قد نجح في تحقيق ثنوية الثيموس والديموس، ولكن الفراغ كان في فشل الليبرالية في تحقيق الثيموس، الذي يقدمه أفلاطون باعتباره في الصدر، حيث القوة الغضبية، ويعقد فوكوياما في كتابه المشار إليه فصلاً بعنوان (رجال بلا صدور)، ففوكوياما يريد أن يصلح الشكل الجمهوري، وفق التصور الأفلاطوني، أي أن يملأ الفراغ، فيكون الإنسان الأخير، أو الإنسان المعتدل، في تصور أفلاطون، والذي يقسم المجتمع إلى طبقات ثلاث، أو إلى قوى ثلاث، يكون الاعتدال والعدل في أن تبقى كل طبقة في مكانها، وأن تؤدي وظيفتها التي خلقت لها.


أ.د. مهدي امبيرش

لقد نصح السيد فوكوياما من يتصدى لدراسة التاريخ ولفلسفة التاريخ أن يقرأ كل التاريخ، وهذا مهم جدًا، خاصة إذا نظرنا إلى التاريخ على أنه سجل الوعي والإرادة والفعل الإنساني الذي يؤكد كينونة الإنسان دون تجزئة أو قطيعة، أي تحقق الكينونة ضمن واقع الصيرورة والتغير والتحول، إلا أن السيد فوكوياما لا يتوخى العمل بهذه النصيحة، وهو يتحدث عن الإسلام مثلاً وعن المسلمين، في أسطر معدودة، ولا يولي أية أهمية لفلاسفة ومفكري العرب المسلمين، خاصة الذين اهتموا بموضوع التاريخ وفلسفة التاريخ وبالعلاقات الاجتماعية التي تنتج التاريخ بالمفهوم الإنساني، والليبرالية التي ينافح عنها، بدأت متخذة عداءً للتاريخ المنجز الذي حققته البشرية، والذي تراه الإنجلوسكسونية تاريخًا ميتافيزيقيًا، وأنه وهم، وعلى رأي فرنسيس بيكون، هو تاريخ الكهوف والأصنام، التي يجب تجاوزها، وأن التاريخ الحقيقي هو التاريخ الوضعي، فوحده في نظرهم هو التاريخ العلمي، أي أن الإنجلوسكسون أعلنوا القطيعة مع التاريخ الذي تقدمهم، ومن حقهم اليوم وقد امتلكوا القوة أن يصدروا ڤيتو على حركة التاريخ، وأن يقرروا نهايته. إن الموقف المادي الوضعي والواقعي من التاريخ، هو

❖ تفضل الاستاذ الدكتور مهدي امبيرش بتزويدنا بمداخلته مكتوبة. (التحرير)

الذي سمح لهذه الليبرالية، ولموقف الإنجلوسكسون من التاريخ، أن يتبنوا الفردية، وهذا يعيدنا، مع مراعاتنا للتزييف الديموغوجي، موقف السوفسطائيين، الذين كما يرى أحد أقطابهم، وهو بروتاغوراس، أن الإنسان الفرد هو معيار الحقيقة، مع التذكير بأن المشروع التفكيكي الفردي السوفسطائي، والذي دعم بنظرية الذرات لـ (ديموقريطس)، هو موقف تطلبه مواجهة التركيب السقراطي الأفلاطوني، لمصلحة سيطرة أثينا، فالإنجلوسكسون كانوا مضطرين إلى نفي التاريخ، ومواجهة المشروع الإيطالي الجرماني، الإيطالي السلفي التراجعي، والجرماني التفوقي، وكذلك المشروع الفرنسي الذي يتجاوز الفردية إلى الشخصانية.

والذي هو الآخر رد فعل على المشروع والشرعية التي تدعيها إيطاليا، والتي يؤسس عليها الألمان مشروعهم التفوقي، الذي فلسف له هيغل في جدله التركيبي، فالإنجلوسكسون، وللعقدة اتجاه المتحقق من التاريخ والمنجز الحضاري والمدني؛ تبنوا - كما أشرت - الفردانية والتفكيك، واعتمدوا الخطاب، وصناعة المصطلحات، وتقديم مفاهيم لها، وأحيانًا تشويه المتفاهم عليه، أو تزييفه، كما تبنى هؤلاء ثنوية الصدام بين معسكري الليبرالية الفردية، والماركسية الشمولية، حيث تصير أمريكا هي لوغوس، أو بلغة هيغل (Synthesis)، مركب النقيضين، حتى إذا ما سقط المعسكر الأول، كان من الضرورة ضمن هذه الثنوية ومشروع التركيب أن يقسم العالم إلى شرق شرير وغرب خيّر، وتكون الليبرالية الأمريكية هي لوغوس هذا المركب، تحت اسم ما يعرف (بالكوكبة) أو (العولمة)، وهذا سيقود في النهاية إلى القول بنهاية التاريخ كنتيجة، تمامًا مثلما هو الحال في مشروع هيغل، عندما قدم الجرمان روح التاريخ، وأعلن نهاية الأيديولوجيا، ومثلما يطرح اليوم تحت أسماء موت الإنسان، الذي يذكرنا بأطروحة الألماني (نيتشه)، (موت الإله)، وإن كان سارتر من الوجوديين، وصديقته سيمون دي بفوار، قد أعلنا موت الإنسان، وهما يدافعان عن المشروع الشخصاني الفرنسي كما تقدمه الوجودية، التي جاءت تعبيرًا عن أزمة القلق نتاج الحرب العالمية الثانية، وما تعرض له الفرنسيون من جراء المشروع النازي الهتلري، وللعداء التاريخي الاجتماعي الفرنسي الألماني، وربما يأتي هذا الإحباط، بعد أحداث ثورة الطلاب في أواخر الستينات في فرنسا، وتداعياتها والتي شهدت نهاية الوجودية.

إن أطروحة فوكوياما إنما تعبر عن أزمة وإفلاس المشروع الليبرالي، بقيادة اليانكي الأمريكي، والقول بنهاية التاريخ يكشف عن أزمة نفسية، كما عبر عنها المحلل النفسي اليهودي فرويد بأنها نزعة الموت، أو الثاناتوس، أي نزعة العدمية والسكون، التي تسبقها غريزة التدمير والصادية، التي يكشف عنها صنو مشروعه، الفيلسوف الليبرالي (هنتغتون) صاحب أطروحة (صدام المدنيات والإنسان الأخير).

القول بالرقمية ولغة الأرقام، ومصطلح القطب الوحيد، الذي يستتبع تحويل الشعوب إلى ذرات، بعد تفكيكها كلها تكشف عن هذا الرعب الذي تواجهه الليبرالية

إن النزوع إلى التجريد، والقول بالرقمية ولغة الأرقام، ومصطلح القطب الوحيد، الذي يستتبع تحويل الشعوب إلى ذرات، بعد تفكيكها، وإزالة حدودها الثقافية، ضمن دعوى نهاية الجغرافيا، ونهاية الحدود، وأن العالم صار قرية صغيرة؛ كلها تكشف عن هذا الرعب الذي تواجهه الليبرالية، وهي تنعي نفسها، أمام إدراكها أنه حتى بمراعاة المادية، فإن التاريخ هو الحياة، والحيوية، وقد كشف فوكوياما هو الآخر عن خوفه من إعادة الاعتبار إلى البيولوجيا، والدراسات الجينية، التي تفرض التقدم في طريق المعرفة، مشروعًا لاكتشاف الحقيقة، والذي يكشف عن وهم نهاية التاريخ والإنسان الأخير.

أ. إبراهيم الغويل*

مقرر عام مؤتمرات الدعوة الإسلامية:


إبراهيم الغويل

... في هذه اللقاءات الفكرية يستمع بعضنا إلى بعض، ونتبادل الآراء، ونستمع إلى وجهة نظر كل منّا، فليست هناك مواقف محددة مسبقاً تمثل رأياً... بل هناك تنوع آراء، في هذه البلاد يسمح لكلٍّ أن يعبّر عن جهة نظره... ونحن لا ننكر خياراتنا الفكرية والثقافية.. ولكن كل المؤسسات الجماهيرية هي للجميع.. وليست لقناعة محددة أو فكرة محدودة ← فكل من له هم ثقافي من أي نوع يستطيع أن يعبّر.. وأن يقول رأيه.. ويوضح رؤية.. وسيسهم كل ذلك في المسار العام الذي له شرعته التي ينطلق منها.. ومساره الواسع.. ووجهته نحو السلام.. والرخاء/كفاية وعدلاً.. والتعايش والتعارف.. وأوسع حوار وأوسع مشاركة...

لقد تناولت المحاضرة نوعاً من الاستعراض لكتب المؤلف وكنت أتوقع أن (نهاية التاريخ) سيكون له أكبر قسط، وكنت أتوقع أن يكون هذا لأنه هو الذي اشتهر، رغم أننا نعتبر أن الـ (Master Piece) للبروفيسور فوكوياما هو كتابه (The Trust) حيث اختبر محطات عديدة، وحيث أوضح الدور الأساسي للثقافة حتى في المجال الاقتصادي، واعتبره رأسمالاً أساسياً...

والكتاب الأخير الذي كتبه حول (America at the crossroads) إلاّ أنني في رؤية التاريخ لا أحمّل البروفيسور فوكوياما ما انتهى إليه، لأنها رؤية ضمن الرؤى التاريخية للغرب... وهذه الرؤية القائمة على فكرة نهاية التاريخ تعود، كما رصدها أحد الباحثين (على أن هناك من يعود بها إلى ما قبل هذا..) إلى نحو قرنين من الزمان، فقد «أعلن الفيلسوف الألماني (هيجل) أن التاريخ انتهى عام 1806م لأنه رأى في دحر نابليون للملكية البروسية في معركة (يينا) انتصاراً لمثل الثورة الفرنسية، وبشيراً بامتداد الدولة التي تجسد مبادئ الحرية والأخاء والمساواة في العالم».

ثم رأى «كارل ماركس» - أشهر من روجوا فكرة نهاية التاريخ - أن التاريخ سيصل نهايته بتحقيق اليوتوبيا الشيوعية التي ستحل في النهاية جميع التناقضات السابقة عليها... في ما رأى عالم الاجتماع الألماني «فيبر» أن الأخلاق البروتستانتية هي روح الرأسمالية، وأن الرأسمالية هي نهاية التاريخ... وبعد أن اسقط التاريخ نفسه مادية «ماركس».. بدأ «فوكوياما» (...) بإعلان انتصار الغرب الرأسمالي، والوصول إلى نهاية التاريخ... وقد أكّد افكاره في كتابه «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وكانت غايته ليست إلا تسجيل (اللحظة الأمريكية) في تاريخ البشرية، أي: انتصار أمريكا بعد سقوط النظم الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وشرق أوروبا، باعتبار تلك اللحظة نهاية التاريخ... في غمرة هذا السياق يأتي كتاب «صموئيل هانتنجتون» صدام الحضارات: إعادة تشكيل النظام المالي «الصادر العام 1996» ليتنبأ بأن نهاية التاريخ هي نهاية صراع بين الحضارات، وبمعنى أدقّ: صراع بين الحضارة المسيحية وبقية العالم... تقوم نظرية هذا الكتاب على فكرتين هما: «حتمية النزاعات بين الدول، وضرورة أن تقوم الولايات المتحدة بترويج قيمها الثقافية الخاصة»، وعلى خط «هانتنغتون»، و«فوكوياما» استكمل المستشرق «برنارد لويس» السير في طريق التأسيس النظري للصراع بين الحضارات/الأديان، والإعلام الأيديولوجي لانتصار الغرب المسيحي، ففي كتابه «ثقافات في صراع» يؤرخ في الصراع بين الغرب والشرق، وبشكل أكثر تحديداً بين الغرب الأوروبي الأمريكي (المسيح) والشرق الإسلامي فيختزل الصراع بين الحضارات

* تفضل الاستاذ إبراهيم الغويل بتزويدنا بهذه المداخلة مكتوبة. (التحرير)

إلى صراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية... وهو بذلك فاق غيره في تطرفه وعدوانيته، وهذا ما يعرف عنه في مجمل كتاباته وأبحاثه. (هكذا فسّر الغرب - من خلال/نظرية الاستعلائية العدوانية، نهاية التاريخ وبطبيعة «العلاقة» بين الحضارات والشعوب على أنها علاقة منتصر ومنهزم، أو هكذا يجب أو نؤول حتمية النزاعات وتلك العلاقات إلى نهاية التاريخ، على أنه بداية انتصار الغرب على خصومه في العالم وفي مقدمتهم أصحاب الديانة الإسلامية).

عل كل.. لنعد إلى المحاضرة..

الذي أعجبني في هذه المحاضرة أن البروفيسور فوكوياما حاول أن يقول لنا أنه في (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) قصد إلى ما لا يستطيع كثيرون أن يجدوه أو يستخلصوه من هذا الكتاب والذي نأخذه - وهو أمر يحتاج إلى مناقشة موسّعة - حول هذه الرؤية بالتحديد أنها (أي رؤية) تجعل التاريخ بخط واحد يربط بين الزمن والتقدم؟!

وأنا أعتقد أن الرؤية التي تقوم على الدورات الحضارية وهي الرؤية التي مكنت البروفيسور Toynbee في دراسته (Study of History) (وأنا واثق أن المحاضر لا بد قد اطّلع عليها) يرى أن هناك دورات حضارية، وقد تكون أمة سجلت في دورتها التاريخية تقدماً ثم دالت، وهي قادرة أن تحاول أن تسجل دورة حضارية أخرى أو مساهمة في حضارة «عالمية».. ولكنها إنسانية تأخذ بالإسهامات الحضارية لكل الناس... ← ولهذا نقول:

إن رؤيانا هذه للتاريخ تقدم العديد من التصحيحات لرؤية التاريخ التي حاول أن يقدّمها الذين لا يملكون مثل رؤيانا هذه في المعرفة والتاريخ!!!

... فرؤيانا هذه تقوم على نظرية محددة في المعرفة.. ونظرية محددة في التاريخ تحفظ للوحي وتطوره دوره في الوعي الإنساني وتطور هذا الوعي، وتقرن اكتمال الوعي الإنساني بتحقيق الوحي غايته في تطور البشرية ←فاكتمال النبوة والرسالة تعني اكتمال الوعي الإنساني عقلاً وإرادة...

فنشأة التاريخ يوم أن اكتسب (آدم) المعرفة وعلم الأسماء كلها!... والنبوات والرسالات تصحيح وتقدم وارتقاء في التاريخ[1] ولقد كان للأنبياء والرسل «دور» و«رسالة» في تصحيح وتقدم وإرتقاء الوعي الإنساني، وكان اكتمال الرسالة إعلاناً لاستقلال العقل والإرادة.. واكتمال الوعي الإنساني!!!

... ثم استدار الزمان ليتحرك الناس بين محورين[2]: الزمان والتقدم والإرتقاء!!! وبدأ التاريخ الحديث وبدل أن يكون تاريخ حركة الناس... كل الناس... كان تاريخاً لإرث «يهودي - مسيحي» وإرث آخر لتجربة «عربية - إسلامية» كانت في جانب من جوانبها تجربة نموذجية قدمت تحققاً للوحي، ولكن للأسف الشديد كما علق بالإرث «اليهودي - المسيحي» بقايا الإرث «اليوناني - الروماني»[3]!! فقد علق بالإرث «العربي - الإسلامي» تحول الوحي من الفكرة إلى الشخص.. ومن تحقق الرسالة في الواقع التاريخي إلى تعظيم الشخص!!! ثم كان ما كان من تحول «إن

---

(1) إن التقدم والارتقاء في التاريخ قد تحقق عبر التداخل والتفاعل بين الوقائع والقيم، وهكذا فإن استشفاف هذه العملية المتبادلة هو أساس وقياس الموضوعية !!!

وفي هذا المجال تندمج الذات في الظواهر موضوع القياس؟

على أنه في مستوى آخر (أي في مجال أصغر) قد يحصل العكس.. فتندمج الظاهرة في محل الذات!!!

(2) وإن عالم الحقيقة التاريخية يقع في مكان ما بين المحورين: محور الوقائع عبر الزمن، ومحور الأحكام القيمية التي تكافح لتحويل نفسها إلى وقائع!!!

إننا هنا أيضاً في طرح من جديد للعلاقة بين الزمان والمكان، وهو قد يكون زمان الملاحظ ومكانه (أو منظومته المرجعية)!!! وقد نتحدث في مستوى آخر عن مكان لزمان ومكان لموضوع!!!

كل ابن آدم خليفة في الأرض» إلى القول بالخلافة لشخص!!! ... وحلّ بدل الشورى لكل أولئك:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة الشورى، الآية: 38]

أن تكون الشورى للبعض!!! وصار العزم والإجماع. وهو إجماع الأمة. والذي كان كفيلاً بأن يقدم تحققاً للوحي في التاريخ .. إذا التزم «الشرعة».. وكان المنهاج مفتوحاً على قاعدة «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»!!! ← صار العزم أو الإجماع للبعض الأقل أيضاً!!!

وهكذا انقضت الشورى.. كما تم الانقضاض على المال.. مال الله... والذي هو مائدة الله المسخرة لعباده أجمعين وهم مستخلفون فيها جميعاً... ثم كان ما كان من أمر «التبعيض الأموي» الذي أثار «الشعوبية»!!! والتي صارت تعني بدلاً من «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» صارت النعرات العنصرية والشوفينية!!!

إن المعارك الأولى في الإرث «العربي - الإسلامي» إنما كانت بين من يريدونها شورى وعدالة وقوميات متعايشة، من جهة، وفي مواجهة من يريدونها «جبارية» ! أو كسروية أو قيصرية.. ومع الإستغلال.. و«التبعيض» الأموي والشعوبية البغيضة! ... من جهة أخرى.

← إن رؤيانا هذه للتاريخ تقدم العديد من التصحيحات للتاريخ فهي:

(1) المحاولة الأولى في حقبتنا المعاصرة لتقديم تفسير لـ «تاريخنا الحضاري» إذ أنه كان خاضعاً لتفسير يقوم على المركزية الغربية.

← وقد استطاع الغرب أن يجعل نفسه مركز التاريخ بأن جعل حركة التاريخ يحكمها بُعْدٌ هو بُعْد الامتداد الزمني الذي حدد بدايته وجعل امتداده معياراً للتقدم فكل حقبة تلت ما قبلها هي أكثر تقدماً!! وبالتالي فإن القرن العشرين هو الأكثر تقدماً في كل التاريخ البشري.

وهم في القمة في هذا القرن ← فهم في قمة التاريخ الحضاري؟؟؟.

وهذه المحاولة محاولتنا تقول أن التاريخ له بعدان أو محوران، بعد الامتداد الزمني وبتحديد مختلف عما حدده الغرب، وبعد أو محور هو محور الارتقاء والتقدم ← وحركة التاريخ الحضاري داخل هذين المحورين تحدد في شكل رسم بياني قد لا يعطي صفة الارتقاء والتقدم لكل زمن متأخر منها وقد يكون زمن متقدم له من الفضل، إن لم يزد، عن المتأخرين.

(2) وهذه المحاولة تقول إن التاريخ الإنساني وصل إلى قمة الارتقاء والتقدم بكمال التوحيد وتمامه فيتخذ من إكمال الدين وإتمام النعمة واختتام النبوة بداية لمرحلة استقلال العقل مع حفظ المكانة لتلك المرحلة التي قادها الأنبياء والرسل. بدعوة التوحيد.. «خير ما قلت أنا والأنبياء من قبلي كلمة «لا إله إلا الله» وكان ختامها على يد محمد يوم أن تلا

---

(3) ومن أول خيط في الفجر الأوروبي: حضارة اليونان.. حتى الفترة المعاصرة... نكاد لا نجد إلا أوروبا الوثنية بأبعاد إنسانية قاصرة.. تكاد أن تكون عنصرية! ... تخص أوروبا ولا غير أوروبا!!!!

وأوروبا الميثولوجيا غانية لعوب يحملها ثور أهوج.. يذهب بها كل مذهب ويعربد ما شاء له ولها الجموح!!!

وأوروبا لا نجد لديها عناية أو احتفال بفطرة الدين أو القيم التي تسير فوق عبث الطبيعة البشرية أو أهواء الأفراد !!!

ففي حضارة اليونان لا نجد هذا.. حتى في كتاب أفلاطون «الإلهي»!!! - دع عنك أرسطو العملي أو ديمقريطس المادي.

وفي ظهر التاريخ الأوروبي رفعت روما لواء الوثنية إلى ما لم تبلغه أبداً في مجتمع آخر.. وبحيث طبعت المجتمع الأوروبي بطابع لم تتخلص منه.

وفي عصر التاريخ الأوروبي استهدفت حركة الأحياء والنهضة (الرينسانس) بعث الحضارة اليونانية والرومانية بفنونها وأدبها ووحشيتها وشهواتها واستعمارها...

واحتفظت أوروبا بقشرة رقيقة من المسيحية لدى أوروبا هي عقيدة الإله الإنسان، وهي صورة وثنيتها القديمة تجعل المسيح نسخة أخرى من «الإسكندر» أو «القيصر» المؤلهين !! .. فإذا كان تصور المسيح تعقيد ثيولوجي غامض.. فلن يكون أكثر مما أضفته الميثولوجيا اليونانية على «هرقل» أو «أشيل» أو غيرهما !! ممن كانوا ثمرة تزواج إلهة ببشر !! واعتبروا إلهة وأنصاف آلهة !! وقد نجد في «بروميثيوس» تصويراً مماثلاً لتصور المسيح كإله؟!.

قوله عز وجل:

﴿...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: 3]

ويومها أعلن انتهاء النسيء والتلاعب بالأشهر واستدارة الزمان كيوم أن خلق الله السموات والأرض.

(3) وهذه المحاولة توضح أن حركة التاريخ الحضاري لأمتنا، داخل هذين المحورين، قد وصلت إلى القمة بكمال الدين وتمامه واختتام النبوة، وأن ما اعتراها من نقص فيما بعد إنما هو نقص قياساً إلى القمة التي قصرت عنها لا قياساً إلى الإطار التاريخي العام، وهذا يمكن من نقد تاريخي موضوعي لحركة التاريخ الحضاري لأمتنا وذلك بالمقارنة النسبية لحقب تاريخنا العربي الإسلامي بلحظة الكمال «ك» وما بعد الكمال «ب ك».. ومقارنة هذه الحقب بتاريخ العالم.. التي تحدث وسط الزمان الممتد ← مع تمكيننا من نقد الذات دون تلذذ بإيذائها !!! ومواجهة ما حدث من نقص لأمور الحكم والمال والإجتماع ← تمهيداً لتصحيحها.

وهذه المحاولة توضح أن النقص الذي اعترى استمرارية التجربة الكاملة. وهو نقص بدأ بعد كمال. لم يَعْنِ التدهور منذ أول يوم، بل استمرت مع النقص إلى أن وصلنا إلى نقطة علا فيها معدل النقص على القوة فظهر التدهور..

(4) وهذه المحاولة توضح الخطأ الذي وقعت فيه محاولات النهضة الحديثة لأمتنا وما زالت واقعة فيه محاولاتنا المعاصرة أذ لم تنتبه إلى أن محاولاتنا يجب أن تكون للارتفاع. وليس العودة.. فالعودة عبر الزمن مستحيلة؟!. إلى المستوى السابق الذي رسمته لحظة الكمال وليس أي مستوى آخر دونه.. وعلى أن يكون على مستوى عصرنا وعالمنا في هذا العصر.

(5) وإن أمتنا لقادرة أن تنقذ نفسها وتنقذ الآخرين باختيار الخير لنفسها.. وإلى الإنسانية كلها.. يوم أن تقدم الاختيار الخير وسط ما تطرحه التكنولوجيا من تساؤلات: فتكنولوجيا الحرب صارت تطرح سؤال أحرب أم سلام؟ أفناء أم بقاء؟.. وتكنولوجيا الزراعة والصناعة صارت تطرح سؤال أإستمرار لنظام يقوم على الاستغلال وسوء التوزيع أو إقامة نظام عالمي جديد يحقق الكفاية للجميع والعدالة في التوزيع؟ وتكنولوجيا المواصلات، وقد صغّرت العالم إلى قرية، صارت تطرح سؤال استمرار العنصرية والتفرقة أم تعايش وتعارف وتآخ؟.. وتكنولوجيا الاتصالات والإعلام صارت تطرح سؤال أتدفق إعلامي من جانب واحد أم تحاور وتشاور وبحث عن الحق والحقيقة؟..

← ومجموع الاختيارات هو اختيار ثقافة عدوانية تؤدي إلى الحرب إذا ما استمر الاستغلال وسوء التوزيع والتجويع والعنصرية.. أم اختيار ثقافة سلام يقوم على الكفاية والعدل والتحاور والتشاور.

وإننا لنملك الاختيار الخير والحل النهائي.. ولقد كان رسول الله ﷺ شهيداً علينا لنكون شهداء على الناس...

← إنها الرسالة الخاتمة.. احتواء الماضي.. واستشراف المستقبل..

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى أخويه عيسى وموسى.. وسائر الأنبياء والرسل، أفضل سلام...

تجاهل إفريقيا

د. إبراهيم سالم

خبير اقتصادي / السنغال:



د. إبراهيم سالم

سؤالي الأول للدكتور فوكوياما: علمت عن كتبكم منذ بعض الوقت، لكن لماذا لم تتناولوا فيها إفريقيا؟ في كتابكم (نهاية التاريخ) لم أفهم موقفكم، ولكن ما هي وجهة نظركم عن التنمية في إفريقيا؟ وما هو رأيكم بشأن العلاقة بين الدول المتطورة وإفريقيا؟ ولماذا

القائد القذافي وحده ودون مصلحة يقوم بمساعدة الدول الإفريقية؟.

وسؤالي الثاني: ما هي وجهة نظركم بشأن رؤية هنتنغتون عن الإسلام التي جاءت في كتابه (صراع الحضارات)؟

في بلادنا (السنغال) لدينا مرشدنا الروحي الشيخ أحمد امباكي توفي 1927م، يقول: إن صراع الحضارات يحدث عندما نفقد السلام. ما رأيكم في هذا التأكيد؟.

السؤال الأخير: أودُّ معرفة وجهة نظركم بشأن 11 سبتمبر، ورأيكم عندما تقول إن 11 سبتمبر هي بداية الصراع بين الإسلام والحضارة المسيحية؟.

❖❖❖

ثلاثة أسئلة عن ثلاثة مواقف

د. الصديق بشير نصر

أستاذ جامعي / ليبيا

يسرني أن أرحب بالبروفسور فوكوياما الأكاديمي والكاتب المتميز، ويسرني اليوم أن أسمع أن البروفيسور فوكوياما قد عبر تمامًا أو جزئيًا في بعض أفكاره عن الرؤية الأمريكية للديمقراطية والإرهاب. لديَّ ثلاثة أسئلة.. البروفيسور



د. الصديق بشير نصر

فوكوياما يعرف بأنه العضو المؤسس لما يسمى بمشروع (القرن الأمريكي الجديد) الذي بعث برسالة إلى الرئيس جورج دبليو بوش، بعد أيام قليلة من أحداث 11 سبتمبر، وتم التوقيع على الرسالة من قبل فوكوياما واثنين وثلاثين مفكرًا أمريكيًا آخرين، يحث الإدارة الأمريكية على القتال وتسخير قواها لمناهضي المشروع الأمريكي في الشرق الأوسط، أو (الإرهاب) حسب التعبير الأمريكي.. فهل ما يزال فوكوياما يعبر عن نفس الوضع ثانية ضد الشعوب المضطهدة في فلسطين وأفغانستان والعراق ولبنان؟ لا أريد أن أستمع إلى الإجابة المتكررة (إنها الحرب على الإرهاب)... لأن النتائج القاتلة والدموية لمثل هذه العقلية أصبحت اليوم خارج التاريخ وعديمة المنطق.

والسؤال الثاني: ما سبب فشل المؤسسات الثقافية وبيوت الخبرة في العقود الأربعة الأخيرة في تقديم أساتذة وباحثين من معيار تشومسكي، وإدوارد سعيد، وجاك شاهين، وآخرين.. الذين ولدوا من رحم الوجدان الإنساني؟ بمعنى آخر: لماذا كل هذه القوى الراديكالية اليوم، بدلاً من القوى العقلانية التي تدعو إلى السلام الحقيقي والتسامح؟

السؤال الأخير: كيف يمكن تحقيق نظام دولي جديد في القرن الحادي والعشرين إذا كان دعاته من المنظرين هم من المحافظين الجدد مثل برنارد لويس وصموئيل هنتنغتون اللذين قدما نظريات للكراهية والعنف؟

❖❖❖

الأمن الخارجي والتحديث

أ. محمد الطاهر

باحث / ليبيا

البرفيسور فوكوياما.. أشرتم إلى الإسلام وأشرتم إلى مصطلح الدين.. ويسرني إذا ما بررتم هذين المصطلحين؟! لأنه يتوجب علينا أن نعطي معنى لهما، لأننا نفهم أن لكلمة (الإسلام) معنى، ولكلمة (الدين) معنى، ومعنى ومدلول كل واحدة مختلف !؟

ذكرتم (الأمن الخارجي) و(التحديث).. هل هناك أية علاقة من وجهة النظر الأمريكية بين المصطلحين؟

السؤال الثالث: أود منكم توضيح أسباب فشل السياسة الأمريكية في العراق وفي لبنان؟

❖❖❖

المسؤولية الأخلاقية والديمقراطية

د. عارف النايض

أستاذ جامعي / ليبيا


د. عارف النايض

إنه لشرف أن أقابل شخصيًا البروفيسور فوكوياما ولو أني قرأت بعض كتاباته.. إن قلقي، لا أسئلتي، تتركز على ثلاثة مجالات: الأول فلسفي وجدلي، والثاني يتعلق بالمسؤولية الأخلاقية والمحاسبة، والثالث له علاقة بآفاق التوقعات، من حيث: ماذا سيدعم فوكوياما خلال السنوات القادمة؟

دعوني أبدأ بالشأن الفلسفي والجدلي، إنه من معطيات كبار الأساتذة، بأن يكونوا منصفين لسابقيهم ومعارضيهم، وأعتقد أن أستاذنا هنا لم يكن منصفًا لهنتنغتون والماركسية، أنا مسلم ملتزم ولست من المعجبين بهنتنغتون أو الماركسية، لكن أعتقد أن رأيكم بأن الماركسية كانت من المذهب الحتمي هو مبالغ فيه بصورة كبيرة.. لا أعتقد أنه يمكن اتهام الماركسية الغربية بذات الأمر، لا أعتقد أن محاولتكم القول بأنكم لستم من دعاة الحتمية هي محاولة ناجحة، لأن طرحكم العام للتحديث وحديثكم عن حتميته، وبالاستشهاد بـ (40) من الإنسانية... وما إلى ذلك؛ رغم الحقيقة فإن معلوماتكم تفيد بأنكم من الحتميين من حيث أنك تؤمن بأن التحديث سوف يتغلب.. أو من حيث أنك - أيضًا - لست منصفًا للبروفيسور هنتنغتون الذي أخالفه كثيرًا، خاصة فيما يتعلق بالصراع، ولكن عندما يتعلق الأمر باحترام التنوع الثقافي والاعتراف بأن الثقافات المختلفة لها خصوصياتها.. أعتقد أنك بذلك تكون أكثر حساسية وأكثر انفتاحاً لتطوير نظرية تقود إلى احترام الآخرين، بدلاً من التحديث العالمي الذي يتمشى مع الجميع.

وكون هنتنغتون أستاذكم، فنحن المسلمين نشعر بأن على المرء أن يكون منصفًا لأستاذه.

والمشكلة الثانية تتعلق بالمسؤولية الأخلاقية، عندما تجلس في واشنطن أو هارفارد أو بعض المراكز الأكاديمية وتقوم بالتنظير وكتابة الأوراق، بما في ذلك كتابة أوراق للرئيس، وأفكاركم تقود إلى موت مئات آلاف العراقيين وإصابتهم بالإعاقات وتدمير البلاد، ثم ببساطة تكتب كتاباً جديداً بعنوان (تجاوز المحافظين الجدد) وكما لو أنه تجاوز العاطفة الفكرية.. أود أن أسألكم سؤالاً شخصيًا (ولهذا السبب أتحدث باللغة الإنجليزية): هل في وقت ما عندما تكونون بصدد الخلود إلى النوم ينتابكم الشعور بالذنب على توقيعكم تلك الرسالة التي تدعم حرب العراق؟

لأن ذلك مهم، ولأنه جزء من مسئولياتنا كبشر، تولي المسؤولية، وأن نحاسب على الأفكار التي نتقدم بها، وذلك ينقلني إلى النقطة الأخيرة.. إنني أسمع فيما تقولون وأشعر بالقلق عما سيأتي من البروفيسور فوكوياما لأنني أجمع بين الأفكار التي ذكرتها أنت. أولاً أنت تقول إن التحديث مرغوب عالمي، لكن الديمقراطية لا. أعتقد أن الحرية مرغوبة عالميًا، ولكن أعتقد أن الديمقراطية الأمريكية كما تسوق الآن ليست مرغوبة عالميًا، ولا بد من التمييز بين الاثنين، لأن الثقافات والديانات المختلفة لها طرق مختلفة للحرية.

والأمر الثاني.. إنني أشعر بالقلق من رأيكم من أنه عندما يتقلص نطاق الحكومات يتعين أن تكون أكثر فاعلية من حيث الفاعلية السياسية، وإذا ما جمعت ذلك مع مفهومكم بأن الديمقراطية ليست مرغوبة عالميًا، بالإضافة إلى مفهوم حتمية التحديث، إضافة إلى كونكم تأتون من مدرسة أسسها (شتراوس) أنتم المحافظون الجدد، والذين يعتقدون أنهم يستطيعون إصلاح العالم.. أنا قلق !! ماذا يعني ذلك؟

هل تقول لأن الديمقراطية أفضت إلى جماعات مثل حماس وحزب الله؟ فأنت لم تعد مهتما بها، الآن تهتم بحكم القانون، وأنت لست منشغلاً بالديمقراطية

ما دام حكم القانون سائداً، وكذلك التحديث ألا وهو عولمة الشركات الأمريكية المتعددة الجنسية، لأن ذلك سيؤدي إلى تشريع ما كنا نسمعه من الرئيس بوش في الآونة الأخيرة، وهو أنه ينبغي استبعاد الفاشية الإسلامية من أي مشروع للديمقراطية، كما تم استثناء النازية في ألمانيا، أعتقد أن ذلك هو المفتاح للقول: نعم نريد الديمقراطية، ولكن ليست الديمقراطية التي يشارك فيها الفاشيون.

وأود معرفة أيضًا: إلى أين أنت ذاهب؟

❖❖❖

التفاؤل إلى أي مدى؟

د. سعدون السويح

أستاذ جامعي / أمريكا

إنني أجد نفسي متعاطفًا مع الأفكار القائلة: إن المجتمعات تتجه نحو الحداثة ثم تكون الديمقراطية نتاج ذلك، وأعتقد أن هناك قدرا من الصحة في ذلك، وأن المجتمعات تتطور بطرق مختلفة، وما أجده مثيرًا للقلق هو أن هناك بعض المؤشرات المزعجة الجارية في العالم الآن مثل الحرب على لبنان، والوضع في العراق، والمشكلة الطويلة مع إيران، ونهوض الأصوليين، وتطرف المحافظين الجدد، والإنجيلية.... الخ. أي الأصوليات المختلفة .. السؤال هو: هل البروفيسور فوكوياما مازال متفائلا؟.

ربما النظرية المضادة، نظرية هنتنغتون، يبدو أنها تحظى بالمصداقية في ظاهرها، وهو أننا ربما نشهد نوعاً من صراع الحضارات، وهنا أود معرفة وجهة نظركم بالخصوص؟ وهل تعتقد أن الحوار والثقة والتنمية سوف تنتصر رغم كل النكسات والمآسي؟.

❖❖❖

الإسلام والمصطلحات الجديدة

د. عبد العاطي محمد عبد الجليل

أستاذ جامعي / ليبيا

هناك مصطلح تفضل الدكتور فوكوياما بالنطق به ما حفزني على طرح سؤالي، فقد قال ـ في إطار تَحَدُّثه عن الحضارة ـ: (الإرهاب الإسلامي). وأنا أهتم كثيراً بالمصطلح الإعلامي لأنني أعمل في هذا المجال، وأتساءل: هل هناك موقف بنائي جديد لمعنى الإسلام؟ يتضح ذلك عبر المصطلحات التي سادت منذ الثمانينيات في القرن الماضي، والتي صنعت فيما يعرف بـ (الغرب)، ومنها: الإسلام الراديكالي، الإسلام المتطرف، الإسلام اليساري... ثم بدأنا نسمع تصنيفاً طائفياً جغرافياً للإسلام. فهل هذا موقف بنائي جديد لهذا الدين؟

نسمع في الأدبيات لدى الكتَّاب والفلاسفة المعاصرين ـ و فوكوياما من بينهم ـ مصطلحاً غريباً أؤكد أنني لم أفهمه حتى الآن وهو (الإسلام والغرب).

أولاً: هل الإسلام جغرافيا؟ إذا فهمنا أن المقصود بـ (الغرب) هو مصطلح جغرافي فإنني لا أعتقد أن العقيدة أو الديانة يمكنها أن تصطدم بالجغرافيا.

ثانياً: إذا قصدنا بالغرب ثقافة، فإن الثقافة الغربية تشكل ملمحاً واضحاً لدى المسلمين، كما أن الإسلام مكون أساس في الثقافة الغربية، وبالتالي فإن مصطلح (الإسلام والغرب) الذي تم صنعه وتسويقه وفرضه من قبل وسائل الإعلام في الدول القوية، ولا أقول المتقدمة، وضعنا في دائرة لا نعرف بالتحديد هل ينظر للإسلام باعتباره مشروع صدام جغرافي؟ أم أنه الخط الأول للدفاع عن عقائد الشرق؟ ذلك أننا ـ حتى هذه اللحظة ـ لم نسمع بمصطلح (المسيحية والشرق) !!

❖❖❖

الديمقراطية والديمقراطيات والقانون

د. ميلود المهذبي

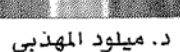
أستاذ جامعي / ليبيا:

سأتحدث في نقاط موجزة، على هيئة أسئلة مختصرة:

كتابا فوكوياما وهنتنغتون ولادتهما التاريخية ومكان صدورهما كان لا بد له من تحليل آخر، خاصة وأنهما تناولا تاريخ الحضارات الإنسانية، والتاريخ

إجمالاً. والسبب في رأيي الشخصي أن هناك أمماً وهناك تاريخاً، وصدور الكتابين ومجموعة من الكتب الأخرى في دولة حديثة التاريخ لم يكن لها تواجد تاريخي بالمعنى العميق الحضاري. كان لا بد لها أن تلغي أو تؤثر في إرادة التاريخ، فنحن أمام ظاهرة حديثة، أمة بلا تاريخ، بالمعنى القديم، بمعنى الإسهام الحضاري، تواجه أمم التاريخ !! وهذه الأمة حديثة التاريخ، قوية، وأرادت أن تغير التاريخ على حساب أمم التاريخ، وعلى هذا فالكتابان ـ من وجهة نظري ـ لا بد أن يدرسا من هذه الزاوية.




د. ميلود المهذبي

من خلال تتبع الفكر السياسي، وكتابات فوكوياما وهنتنغتون، هناك تطور غير عادي يكاد يصل إلي التعقيد في الفكر السياسي، فهل هذا ـ كما أشار المحاضر ـ لغياب كتابات سياسية متغيرة؟ أم أنها كتابات تنظيرية في مجال يعتبر الثبات فيه في التحليل من العناصر المهمة للتقييم النظري؟.

وما أثار انتباهي ولفت نظري في محاضرة فوكوياما هو بعض المصطلحات التي تحتاج إلى تعديل. نتحدث عن الديمقراطية، ونحن جميعاً نتبنى الديمقراطية بأية كيفية، هناك ديمقراطيات ولكن لا توجد ديمقراطية، ولكن لنتفق على أن هناك ديمقراطية، أي المشاركة في اتخاذ القرار، وأنا أعتقد أن الديمقراطية ليست (دمقرطة) المجتمعات الوطنية. إنها النظرة غير العلمية عندما نتحدث عن ديمقراطية المجتمعات الوطنية. إن (دمقرطة) المنظمات الدولية، والقرار الدولي يعتبر شكلاً مركباً من أشكال التنظيم الديمقراطي. ومن العبث ما يجري في مجلس الأمن، وقد كان على الكتاب والمثقفين ـ كما أشار بعض الإخوة ـ الذين توقفوا في الجامعات الأمريكية عن الإنتاج أن يتصدوا لهذه اللاديمقراطية في المنظمات الدولية.

إعمال القانون نفس الجدلية...... إعمال أيضاً قانون الوطن، الدستور، مجوعة النظم والتشريعات. لنتفق على أن إعمال القانون من أهم واجبات الدولة.

ولماذا هذا القانون الدولي؟ مثلاً اتفاقية جنيف التي انتهكت في العراق وأفغانستان ولبنان... وتنتهك في كل مكان. لماذا لا نتحدث كمثقفين عن عدم إعمال القانون الدولي، قتل المدنيين وتشريد النساء والأطفال وتهجيرهم، وما يجري في فلسطين يعتبر أوضح مثال. عن أي قانون نتحدث؟ قانون خصخصة الشركات؟ قانون تحويل المشروعات التي تملكها الدولة إلى مشروعات خاصة؟ نعم هذا قانون لا بد من إعماله، لكن لماذا لا نتحدث عن القانون الدولي؟

كلمة أخيرة: التحديث.. نعم كل المجتمعات تسعى إلى التحديث لأنه سنة الحياة، لكن لا بد من تحديد عملية تغير سياسي ثقافي اجتماعي اقتصادي بنيوي... فأي وصفة تريدوننا أن ننجز التحديث وفقها؟

❖❖❖

نهاية التاريخ والسياسة الأمريكية

د. إبراهيم أبو خزام

أستاذ جامعي / ليبيا:

د. إبراهيم أبو خزام

يقول الكاتب العربي المعروف محمد حسنين هيكل: إن المفكر يكتب مرة واحدة ثم يبدأ في شرح أفكاره. وأعتقد أن السيد فوكوياما كتب فكرته الجوهرية في كتابه (نهاية التاريخ) أما ما تلاه من كتب ومقالات فهي شرح وتطوير لفكرته الجوهرية. في الواقع مثل ما قال فوكوياما وهنتنغتون فإن كتابيهما اللذين ظهرا في وقت متقارب قوبلا للأسف بالغضب الشديد.... وأنا أعتقد أن غضب الغاضبين على ما كتب فوكوياما وهنتنغتون كان بسبب استفزاز العنوان أكثر من محتوى الكتاب نفسه، وأنا شخصياً كنت أدرك أن في هذه الكتب فكراً يستحق أن يقرأ.

وفيما يخص (نهاية التاريخ)، إذا صرفت النظر عن العنوان، فإنني قبلت جزئياً فكرة نهاية التاريخ، وسأفسر ذلك:

التاريخ كما تذهب مدرسة نهاية التاريخ يقول: إن البشرية تتطور نحو العقلانية، وهذا صحيح، وأعتقد أننا إذا رجعنا إلي التاريخ البشري لوجدنا أنه تطور بشري عقلاني، بكل الصراعات والحروب والدمار، لكن العالم يتطور نحو العقلانية. يقول الدكتور فوكوياما: إن آخر تطور عقلاني هو الليبرالية، هذا هو جوهر الكتاب. وأنا قلت: أقبل جزئياً هذا مع قليل من التفسير. إن الديمقراطية الليبرالية بكل مضامينها - في اعتقاد فوكوياما - تنطوي على جانبين مهمين: هناك قيم، وهناك مؤسسات. أنا في اعتقادي قد تمثل الديمقراطية الليبرالية، والديمقراطيات التي أشار إليها الدكتور ميلود المهذبي، وفي الحقيقة هناك ديمقراطية واحدة، وأعتقد أن التاريخ انتهى على المستوى القيمي، وأرجو أن لا يتراجع عن هذه الأطروحة، فآخر تطور عقلاني هو الديمقراطية، هو المشاركة السياسية، هو حرية التعبير، هو الحرية الشخصية... هذه هي قيم الديمقراطية سواء في الغرب أو في غيره، إذن على مستوى القيم أستطيع أن أقول أن التاريخ قد انتهى مع مؤازرتي للسيد فوكوياما في هذا الجانب.

لنذهب إلى الشق الثاني وهو المؤسسات، فأنا أعتقد أن التاريخ لم ينته على الإطلاق بهذه المؤسسات الغربية، هناك عقل في المؤسسات الغربية، ولذلك فإن التاريخ لم ينته. ما هي المؤسسة؟ هناك مؤسسات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية... في المؤسسة السياسية جوهر الديمقراطية هو التمثيل، وأعتقد أن التمثيل النيابي لا يمثل نهاية التاريخ، فما زالت هناك اجتهادات أخرى، وأشكال أخرى، ونحن نناضل من أجل هذه الأشكال الجديدة. إذن التاريخ قد يكون انتهى على مستوى القيم، ولكنه لم ينته على مستوى المؤسسات. وفي الواقع فإن هناك تناقضاً فكرياً كبيراً في التجربة الغربية أنتجته هذه القيم الرائعة التي وصلها الغرب....

لقد أنتجت لنا هذه التجربة - في رأيي - دولة بها الكثير من الحرية، ولكن فيها قليل من الديمقراطية، وهذا سبب التناقض بين القيم والمؤسسات. إذن فلنسعَ إلى تطوير المؤسسات الديمقراطية حتى نصل فعلاً إلى مرحلة نهاية التاريخ.

نقطة أخرى مهمة: السياسة الخارجية الأمريكية أرجو أن لا يؤازرها مثقف في الغرب، فهي سياسة خاطئة، وقد استخدمت أشكال القوة كافة، ولكنها لم تستخدم الشيء النافع من القوة وهو ما يسمى القوة النافعة، أو القوة الناعمة، فللولايات المتحدة الأمريكية حضارة كبيرة ولها تطور، وهي مجتمع الحريات، ونموذج الحياة الأمريكية جذاب للكثيرين في الغرب أو في الشرق، ولو رسمت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية لاستخدام هذه العناصر لاستطاعت بالفعل أن تقود العالم، لكنها لن تفوز في ذلك على الإطلاق بالأسلوب الذي يجري في العراق أو لبنان أو فلسطين...

❖❖❖

الجمهوريون والمحافظون

د. العجيلي الميري / ليبيا :


د. العجيلي الميري

هل سنرى أربع سنوات أخرى من الإدارة الجمهورية المتحالفة مع المحافظين الجدد وملفاتهم الصهيونية والإنجيلية الذين ربما سمعتم بأنهم يعتقدون أن الحرب في لبنان هي بداية هرمجدون وعودة المسيح؟



ردود د. فرانسيس فوكوياما عن الأسئلة والتعقيبات:

شكرًا جزيلاً، وأقدر كل هذه التعليقات، وإنه من الصعب الرد على كل متدخل.

الإسلام والمصطلحات

دعوني أوضح: إن لم أكن واضحًا بشأن الإسلام والمصطلحات مثل الفاشية الإسلامية، أعتقد أن الإسلام تقليد ثقافي متشعب وعميق وثري ويحظى بقدر كبير من الاحترام.

وأنا لا أعتقد أن هناك بالضرورة أي تفسير للإسلام يبرر الإرهاب أو برنامج سياسي محدد، إذا نظرنا إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فسنجد طرقاً مختلفة لكي يكون المرء مسلمًا، هناك أنظمة مختلفة للمجتمعات الإسلامية من ماليزيا وأندونيسيا إلى تركيا وبلدكم..

إن الجدل بأن هناك حضارة واحدة بعينها يملي الكثير من التساؤلات، غير أن هناك تفسيراً معيناً للإسلام مرتبطاً بالسلفية والوهابية وأشخاص من أمثال الزرقاوي في العراق، وهم خطرون، ويتحدثون باسم الإسلام، وهناك إسلام معتدل.. ولكن هذا هو الواقع اليوم في هذه المنطقة، وعلينا أن نواجه الحقيقة بصدق بأن هؤلاء الأشخاص يستخدمون الإسلام بصورة سلبية، وعليه فإن من الحتمي عندما تكون هناك جماعات سياسية تقوم بتفجير الشيعة لأنهم شيعة وقتل المئات من الأبرياء بدعاوى مختلفة؛ هذا أمر يتعين على أي مسلم أن يعارضه.

إفريقيا والتدخلات الأجنبية

في مسألة إفريقيا.. لا بد أن أعترف بأن إفريقيا هي المكان المهم من العالم، بالإضافة إلى آسيا وأمريكا اللاتينية التي أتطلع أن أثقف نفسي عنها.

من ناحية تمثل إفريقيا أخطر تحدٍ للتنمية، هناك تدخلات مختلفة من قبل الأجانب، رغم أن النتائج لم



تكن إيجابية. وأعتقد أن المشاكل الأساسية في إفريقيا ليست ثقافية أو مسألة موارد، لأن هناك الكثير من الموارد التي تتدفق على إفريقيا، لكن المشكلة تتعلق بالمؤسسات الأساسية، فالكثير من الدول الإفريقية شهدت حالة عدم استقرار سياسي، مما يقوض أي نوع من التنمية، أنظر على سبيل المثال الكونغو الديمقراطية التي عانت من حرب أهلية..

أعارض السياسة الخارجية لأمريكا

في مسألة السياسة الخارجية، آمل أن أكون أوضحت في محاضرتي بأنني لست مسرورًا بمسار السياسة الخارجية الأمريكية، وللرد عن سؤالكم لا أشعر بالذنب على توقيع تلك الرسالة، إن الشأن الأخلاقي يستوقفني... إن الأمم المتحدة أصدرت قرارًا في العام 1999م، يقول: إن للدول القوية مسؤوليات لاستخدام قوتها لحماية حقوق الإنسان عندما تنتهك، وأعتقد أن تلك الحقوق كانت منتهكة في العراق.

لكن هناك قلق من الناحية العملية للتدخل، وأعتقد إلى حد ما الشرعية بالنسبة للولايات المتحدة وتوليها دور القيادة في التدخل، في السنة السابقة للحرب أي في العام 2002م، وقعت على الرسالة، ولكن بعد كل هذه الفترة الزمنية شعرت بأن الولايات المتحدة لم تتعاطَ بشكل جيد مع المسألة العراقية، وشعرت بأن هناك الكثير من سوء الظن بالولايات المتحدة، وعليه قررت علنا معارضة المشروع الأمريكي في العراق.

أمريكا و«إسرائيل» ارتكبتا أخطاءً خطيرة

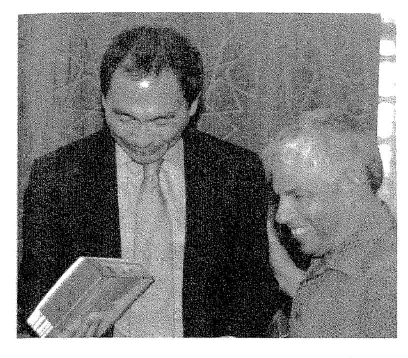
بصورة عامة ـ كما أسلفت في المحاضرة ـ فإن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ارتكبتا أخطاء خطيرة في الاستخدام المفرط لقواتهما، وأعتقد أنهما لم تكونا فاعلتين في تحقيق أهدافهما، فقد تسببتا في الكثير من الأضرار، وتحقيق الكثير من النتائج التي لم تكن متوقعة، وهي أمور ليست جيدة للقضية.

تفاؤل وتشاؤم

وفي مسألة: هل أنا ما زلت متفائلاً؟ أعتقد أن ذلك يعتمد على الفترة الزمنية التي سننظر إليها.

أعتقد أن الكثير من الدول تتطور بنجاح، فالبلدان اللذان يتطوران بنجاح وهما الأكثر سكانًا ومصدرًا للفقر في العالم، الصين والهند، إنهما يتقدمان بسرعة، أعتقد أن العالم بصورة عامة لن يكون في وضع سيئ.

أما في الشرق الأوسط وإفريقيا التي تعصف بها مختلف أشكال السياسات، فإن الآفاق ليست جيدة، إنني قلق إزاء توجهات السياسة في هذه المنطقة خلال السنوات القليلة القادمة، لأنني أعتقد أن هناك قوى أطلق لها العنان، وعليه سوف يستمر العنف في هذا الجزء من العالم.



أمين هيئة تحرير مجلة (التواصل) يهدي البروفيسور فوكوياما نسخاً من مجلة (التواصل)

أنا أومن بالحتمية

إنني لا أحاول الفرار من كوني أؤمن بالحتمية، فقط أعتقد أنه لا يوجد قانون يجبر هؤلاء الناس على السير في اتجاه محدد.

الغرب والدول النامية

والسؤال الذي طرح في وقت مبكر عن سبب فرض الرؤى الغربية على الدول النامية، لا أعتقد أن الأمر دائمًا كذلك، لو نظرنا إلى الصين، فإنها لم تتقيد بالنصائح التي تأتي من واشنطن، إنها تنظر إلى تجارب الغرب وخبرته، وقرروا أن عليهم تنمية أسواقهم وتأسيس القطاع الخاص وتخفيف دور الدولة، وعملوا ذلك حسب ظروفهم، مع الأخذ بعين الاعتبار بالاستقرار السياسي، وحاجتهم إلى الحفاظ على النظام في المجتمع، وأعتقد أنهم قاموا بذلك بنجاح، ونحن جميعاً على اطلاع بذلك.

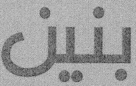
الأمريكيون يزدادون كرهاً لجورج بوش

السؤال الأخير حول السياسة الأمريكية، لا أعتقد أننا سنرى إدارة أخرى مثل إدارة بوش، بصرف النظر عما سيحدث، وما إذا كانت إدارة جمهورية أو ديمقراطية في المستقبل، لأسباب مختلفة، كانت تلك السياسات غير شعبية ..

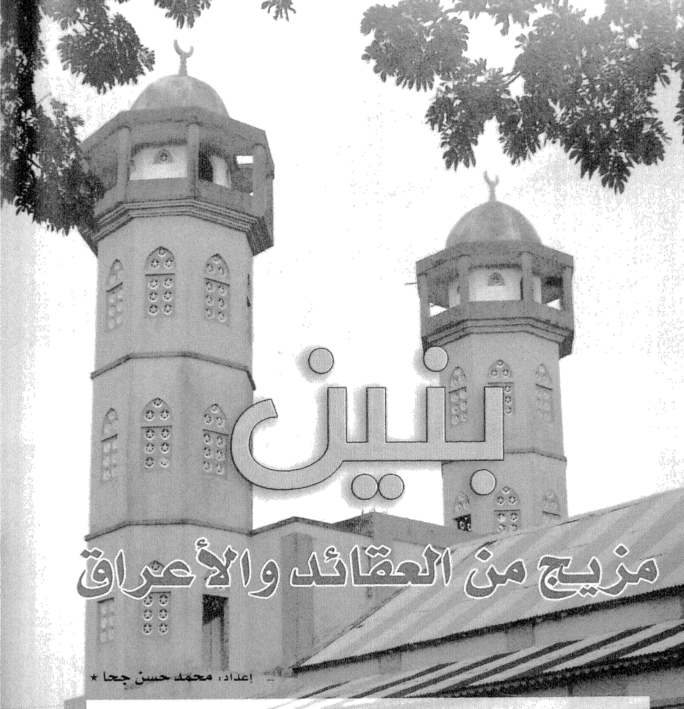
وهذا هو سبب فشل الديمقراطية عندما تكون هناك إدارة تتخذ موقفاً معيناً ولا يكون أداؤها جيدًا، وتدخل الحرب وتكون النتيجة فوضوية فإن للشعب الحق في التخلص منها.

وأعتقد أن هذا ما سيحدث، فهناك حوالي (55٪) من الشعب الأمريكي الآن يكره جورج بوش بشدة، وربما تزداد النسبة بمرور الوقت.

استطلاعات



مزيج من العقائد والأعراق



بنين

مزيج من العقائد والأعراق

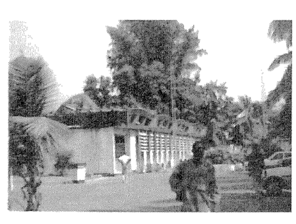
إعداد: محمد حسن جحا *

كانت رحلتي إلى جمهورية بنين للقيام بالتغطية الإعلامية للدورة السادسة عشرة للمجلس العالمي للدعوة الإسلامية، وأثناء وجودي هناك سجلت بعض الملاحظات والانطباعات عن هذا البلد الإفريقي وشعبه الكريم . حيث تمكنت من زيارة بعض مدنه ومعالمه التاريخية والسياحية، خاصة كوتونو، وبورتو نوفو، ومدينة ويداه وميناؤها الذي كان أحد الموانئ المهمة في تجارة تصدير الرقيق، والقرية العائمة (جانفيي) بالقرب من كوتونو ... وغيرها، فكانت هذه الانطباعات عن بنين .. الدولة والتاريخ والشعب..

* صحفي، كاتب واستاذ جامعي / ليبيا

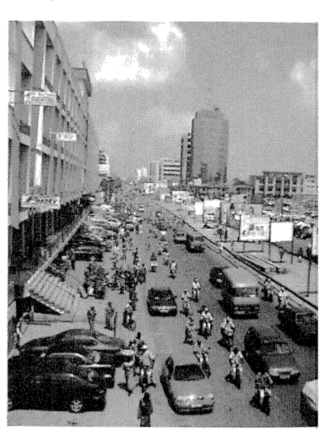
بعض الصور ملتقطة من قبل معد الاستطلاع

تُعَدُّ بنين إحدى أصغر بلدان إفريقيا، وتقع على الساحل الغربي للقارة الإفريقية، وهي عبارة عن شريط عمودي طويل تطل قاعدته الجنوبية على خليج غينيا، وتبلغ مساحتها (112,613 كم^2). وأرضها على شكل مستطيل يمتد من الجنوب إلى الشمال بعيدا عن ذلك الخليج حوالي 650 كيلومترا، وعرضه بين الشرق والغرب حوالي 110 كيلومترات. تحدها من الشمال بوركينا فاسو والنيجر، ومن الشرق نيجيريا، ومن الغرب توغو. ويتمثل الساحل في شريط رملي مستقيم في الجنوب يطل على المحيط الأطلسي، ويصل عدد سكانها إلى حوالي سبعة ملايين نسمة (حسب إحصائيات العام 2003م)، والشعب البنيني يتكون مما يزيد عن خمسين قبيلة، لكل منها لهجتها وخصوصياتها في العادات والتقاليد، ومن أشهر القبائل في الجنوب على سبيل المثال: فون، ويوربا، وأجاغون، وميناوسيتو. أما شمال بنين فإن أهم قبائله

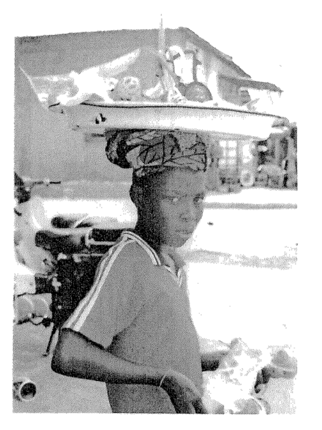


أحد أحياء كوتونو

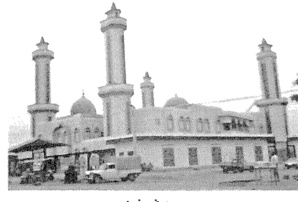
هي: باريبا، ودندي، وفولاني، وسومبا، والأدجا، وبيلا بيلا.... هذه الدولة التي يميزها التسامح بين مختلف الأعراق والأديان ينتمي نصف سكانها تقريباً إلى ديانة (الفودو) وهي ديانة تعتمد على فكرة التناسخ ووجود أرواح شريرة وأخرى طيبة. أما النصف الثاني من السكان فإنهم ينقسمون بين مسلمين ومسيحيين يتعايشون في وئام، ولا تكاد تلمس فروقاً بينهم في

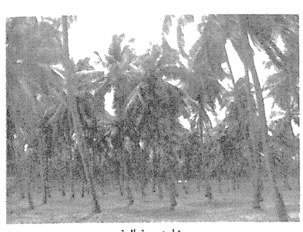


أحد شوارع كوتونو



صبي بائع متجول.. حياة بسيطة



مسجد في بنين


مزارع جوز الهند

ممارستهم لأنشطة حياتهم البسيطة. وهناك إحصائيات أخرى تقدر نسبة المسلمين بـ 45 من عدد السكان. ويختلف الأمر عندما يرفع المؤذن الأذان وتنطلق كلمات (الله أكبر الله أكبر) بلكنة شخص تعلم من العربية ما يعين على إقامة شعائر الدين. في هذه اللحظة يهرع المصلون إلى داخل المساجد ويتركون ما في أيديهم من تجارة أو حرفة بسيطة ليتوضأوا ويقيموا الصلاة.

عاصمة بنين هي بورتونوفو، إلا أن معظم أنشطة الحكومة تتم في مدينة كوتونو وهي كبرى مدن الجمهورية وميناؤها الرئيسي ومركزها التجاري الرئيسي أيضًا. والفرنسية هي اللغة الرسمية، وتسود عدة لهجات محلية تنتمي للقبائل التي تشكل سكانها.

تنقسم بنين إلى خمس مناطق طبيعية هي: المنطقة الساحلية، وهضبتان مكسيتان بالسافانا، ومنطقة المرتفعات الواقعة في الشمال الغربي، وسهول


المنطقة الساحلية

النيجر الخصبة في الشمال الشرقي. وتضم الأراضي المزروعة على طول الساحل الجنوبي مساحات شاسعة من غابات النخيل ومزارع جوز الهند والمانغو. وتتراوح التضاريس من أراض منبسطة في الغالب إلى سهول متموجة تضم عدداً من التلال والجبال المنخفضة. وتشكل الأراضي الصالحة للزراعة جزءاً مهماً من المساحة الكلية للبلاد، والتي تغطي الغابات والأحراش أكثر من ثلثها. ويسود البلاد طقس استوائي حار يتميز بفصلين ممطرين وفصلين جافين.


حقول خضراء

شيء من التاريخ

قامت في بنين خلال الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر المسيحيين العديد من الممالك. وفي بدايات القرن السابع عشر سيطرت مملكة داهومي - التي كانت (أبومي) عاصمة لها - على تلك المنطقة. ومع استشراء الحملات الاستعمارية الغربية بدأ الأوروبيون في إقامة مراكز لتجارة الرقيق على طول مناطق الساحل، خاصة عبر ميناء (ويداه) القريب من (كوتونو). وخلال الربع الأول من القرن التاسع عشر حلَّت تجارة زيت النخيل محل تجارة الرقيق. وواجهت بنين تكالباً استعمارياً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مسيحي، انتهى باحتلال فرنسا لها في سنة 1894 م. ففي عام 1851م وقعت فرنسا اتفاقية تجارية مع مملكة داهومي. وفي عام 1892م هاجم جنود المملكة مراكز التجارة الفرنسية، إلا أن الفرنسيين تمكنوا من هزيمتهم. واستولت فرنسا على تلك المنطقة وجعلت منها في عام 1904م مقاطعة تابعة لأراضي غربي إفريقيا الفرنسية. وأنشأ الفرنسيون فيها الطرق والسكك الحديدية، كما شجعوا زراعة البن في تلك المناطق. وتحوَّلت المنطقة - بموجب الدستور الفرنسي الصادر في عام 1946م - إلى أراضٍ أجنبية تابعة للحكومة الفرنسية. وقد أعطى الفرنسيون هذه المناطق حق الحكم الذاتي في عام

1958م، وفي الأول من شهر هانيبال (أغسطس) من عام 1960 م أصبحت بنين التي كانت تدعى في ذلك الوقت (داهومي) بلداً مستقلاً وأصبحت عضواً في الأمم المتحدة في وقت لاحق من العام نفسه. وفي عام 1975م غيّرت الحكومة اسم الدولة من (داهومي) ليصبح (بنين).

من داهومي إلى بنين

كان من بين الإخوة الذين التقيت بهم وأمدوني بمعلومات عن بنين الأستاذ هارون عبد الله الحسن الأستاذ في معهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية (فرع كلية الدعوة الإسلامية) بجامعة «أبومي كالافي» في بنين، الذي حدثني حول الاسم القديم للدولة وكيف ولماذا تم تغييره؟، يقول:

عرفت جمهورية بنين باسم (داهومي) حتى تاريخ 1975/11/30م، الأمر الذي يجعل قارئ كتب تاريخ إفريقيا لا يجد أثراً للفظ (بنين) اسماً لهذا البلد إلا ما صنف منها بعد سنة 1975 م. فاسم بنين القديم هو (داهومي DAHOMEY) وهو مكون من مقطعين هما:

(دان DAN) وهو اسم لملك من قبيلة (فون FON) و (هومي HOMEY) ويعني (بطن) ليصير (دان هومي) بمعنى (بطن دان)، وأسقطت النون تحريفاً للأصل وربما لكثرة الاستعمال من المستعمر فصار (داهومي).

وحول جذور هذه التسمية يقول الأستاذ هارون: تفيدنا المصادر التاريخية بأنه في بدايات القرن السابع عشر مسيحي كان لمنطقة فون FON ملك اسمه دان DAN وكان للمنطقة المجاورة لها وهي (ألدا ALLADA) أمير اسمه (اجوب ـ AGOB). ويقال إن (أبو) نزل ضيفاً على (دان)، وبحكم الصداقة طلب (أبو) من الملك (دان) منزلاً خاصاً يقيم فيه مدة ضيافته التي طال وقتها، ثم أخذ يستحضر بعض أتباعه شيئاً فشيئاً ويستولي على بعض أراضي (دان) الذي ضاق به ذرعاً. وذات يوم قابله وقال له ساخراً: «ألا تريد بناء منزل على بطني بعد أن استوليت على كثير من أراضي مملكتي» ؟ فاستشاط (أبو) غضباً وأقسم أن يجعل هذا الكلام حقيقة، حيث إنه كان يبحث عن ذريعة لشن عدوان عليه بغية الاستيلاء على مملكته باعتبارها الأقوى في المنطقة. وذات يوم أحضر قواته فتصدت لها جيوش (دان) إلا أنه انتصر عليها وقتل (دان) نفسه في أثناء المعركة، فوضعه (أبو) في أراضي فسيحة وبنى على بطنه أول قصر في هذه البلاد التي عرفت باسم (داهومي).

ويؤكد الأستاذ هارون أن هذه ليست أسطورة كما قد يتصور البعض، بل هي حقيقة في تاريخ داهومي، وقد تناقلتها الأجيال جيلاً عن جيل إلى اليوم، وهذا التناقل في حد ذاته يعتبر أوثق مصدر يعتمد عليه في الرواية، كما أنها تعد من عناصر منهج التاريخ في



المدارس الحكومية، ومن المصادر العربية التي أوردت هذه القصة، مخطوط المركز الإسلامي في باراكو. على أن ما تجدر الإشارة إليه أن ثمة ممالك أربع قد قامت في كل من ويداه وألدا وداهومي وبورتونوفو. وانتعشت هذه الممالك في القرن السابع عشر، ثم هزمت مملكة داهومي كلاً من مملكة ألدا سنة 1724 م ومملكة ويداه سنة 1729 م، وأخذت أملاكهم واستولت على ما لديهم من تجارة الرقيق التي كانوا يمارسونها مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى منتصف القرن التاسع عشر.

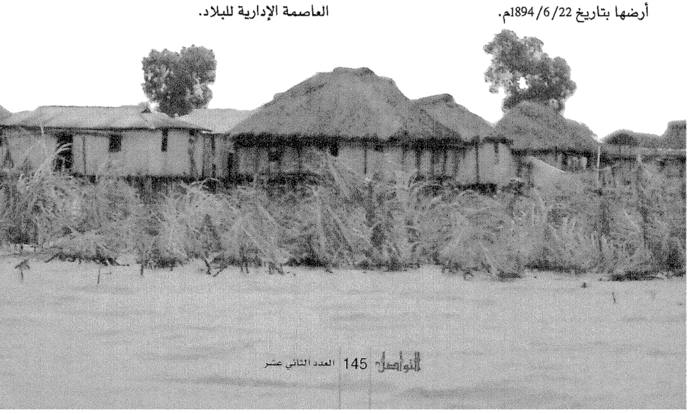
كانت مملكة داهومي تمثل منذ حوالي 1800 م ثلث الضفة الجنوبية لمساحة بنين اليوم. ولعل المميزات التي حصلت عليها مملكة داهومي - من بين الممالك الأخرى عبر التاريخ - أن أطلق اسمها على المنطقة الجنوبية مرحلياً، ثم في نطاق أوسع على الدولة ككل عند مجيء المستعمرين.

وفضلاً عن هذا فإن المقاومة الأعنف والأشرس التي وقفت أمام المستعمرين في تاريخ الصراع بينهم وبين الشعب البنيني في جنوب البلاد ؛ كانت مقاومة (بيهانزين BEHENZIN) الملك قبل الأخير لمملكة داهومي (1889- 1894). وبهزيمته عام 1894 م أصبحت داهومي مستعمرة فرنسية، حيث رفع علم فرنسا على أرضها بتاريخ 22/6/1894م.

ولئن كانت بنين تعرف باسم داهومي لمدة تزيد عن قرنين ونصف القرن ؛ إلا أن هذا الاسم لم يكن ليبقى، خاصة مع التطورات التي عرفتها البلاد عبر تاريخها الطويل، فكان لا بد من التخلي عن (داهومي) لأسباب تبدو وجيهة ومنطقية إلى حدٍ بعيد. وعن أهم هذه الأسباب يقول الأستاذ هارون:

اسم (داهومي) يدل على شخص بعينه، وهو يذكّر بحدث سيئ في تاريخ الملك (دان) وقبيلته من بعده، وبالتالي فهو قد يوحي إلى الأجيال من عشيرته بالبغضاء، وربما الأخذ بالثأر لو أمكن. والحكومة الجديدة بمجيئها للسلطة رامت القضاء على كل ما يثير التفرقة القبلية والعنصرية، وما يجعل شريحة من المجتمع تطغى على الآخرين وتهمّش وجودهم ومواطنتهم بين سكان الشمال والجنوب، وفيما بين القبائل المتعددة من جهة أخرى. ولهذا كان لا بد من العمل على لم شمل الشعب وتوحيد كلمته، وتم ذلك على يد رئيس الدولة (ماتيو كيريكو) الذي كان قد أسس نظام الثورة الشعبية في البلاد عام 1972 م ودعا إلى الوئام الوطني والاستقرار الداخلي.

وقد تم تغيير اسم داهومي إلى بنين بشكل رسمي في 30 الحرث (نوفمبر) 1975 م بمدينة بورتونوفو العاصمة الإدارية للبلاد.



وما هو أصل لفظ (بنين)؟ وما الذي يعنيه من دلالات وأبعاد حتى تمّ اعتماده اسما للدولة ؟

اسمح لي أن أشير إلى أن المقصود بـ (بنين) هنا هو جمهورية بنين، وهنا لا بد أن نفرق بين ثلاثة أسماء دائرة في فلك لفظ (بنين) مما قد يحدث التباساً عند إطلاق الاسم دون قيد. حيث نجد في هذا الإطار:

1 ـ مملكة بنين

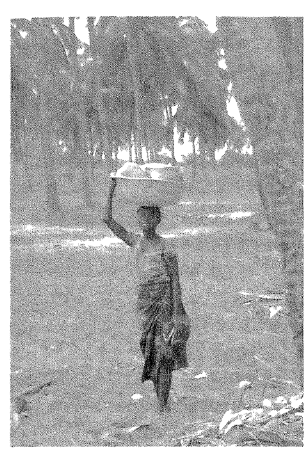
يقصد ببنين هنا مملكة قديمة في غرب أفريقيا، جنوب نيجيريا تحديداً، أنشئت قبل العام 800 هـ ـ 1300م، وبلغت أقصى مداها فيما بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر مسيحي، عندما بسطت سلطانها على المنطقة الممتدة من دلتا نهر النيجر إلى مدينة لاغوس. وكان أعظم ملوكها (الملك إيووار الكبير THE GREAT EWUARE) الذي حكم من عام 1440م إلى عام 1480 م.. واضمحلّت المملكة خلال القرن التاسع عشر، ثم زالت عن الوجود حوالي العام 1870 م.

2 ـ مدينة بنين

وهي مدينة جميلة تقع في جنوب غرب نيجيريا، على الدلتا الغربية لنهر النيجر، وتعد مركز إنتاج المطاط في نيجيريا، ولعلها كانت عاصمة مملكة بنين المنقرضة، لأن كل القرائن المتوفرة تدل على ذلك.

3 ـ جمهورية بنين

وهنا دعني أشير إلى أنه بعد إقرار حتمية التخلي عن اسم (داهومي) للأسباب التي ذكرناها؛ كان لا بد من إيجاد الاسم البديل الذي ترضى به كل قوى الشعب وقبائله التي يبلغ عددها أكثر من 50 قبيلة. ولم يكن الأمر ليحسم ببساطة، إذ اجتمع المجلس الوطني الثوري بحضور عدد من كبار المؤرخين، وطرحت عدة اعتبارات في مداولاتهم حول الموضوع، مثل الاعتبارات التاريخية والجغرافية والحضارية والاستراتيجية للبلاد، وذلك بهدف اختيار اسم مناسب، وأخيراً توصلوا إلى قاسم مشترك بين تلك الاعتبارات في لفظ (بنين). ويمكن إجمال ذلك في الآتي:



❖ عامل جغرافي: وهو أن الموقع الجغرافي للبلاد على خليج بنين أحد الخلجان في قلب غرب أفريقيا، ومع أن بنين ليست وحدها المطلة على هذا الخليج إلا أنها تقع في وسط هذه الدول، فضلا عن مميزات أخرى.

❖ عامل حضاري: وهو أن الدولة سجلت أرقى الحضارات في تاريخ المنطقة بما ازدهرت به من مجموعة آثار فنية وثقافية راقية وتراث زاهر.

❖ عامل لغوي (يوربوي) يؤكد أصالة تلك المميزات الفريدة التي عرف بها شعب هذه المنطقة تحديدا وهو لفظ (بيني) الذي يعني بلهجة يوربا (هنا عقر داري) بما يعنيه ذلك من دلالة على الخصوصية والأصالة. وفضلاً عن هذا فهناك عامل آخر مكمل وهو لغوي أيضاً، لكنه فرنسي هذه المرة، فالمصطلح الفرنسي (بنين BENIN) إذا وصف به إنسان فيعني: أنه شخص حليم، رؤوف، لطيف... فهذا الاسم إذاً محايد، لا دلالة سيئة في معناه، بل يحمل معاني لطيفة

وأصيلة، ويخلد ذكريات طيبة، وإذا وصف به الشعب البنيني فنعم الوصف هو!!

هذه الاعتبارات وتلك الأسباب مجتمعة كانت وراء تسمية البلاد بـ (جمهورية بنين) بتاريخ 1975/11/30م بقرار من المجلس الوطني للثورة، وقد قبل الشعب هذا الاسم بصدر رحب.

طوبوغرافيا بنين

إذا تحدثنا عن بنين في الإطار الطوبوغرافي فيمكن القول إنها تنقسم إلى خمس مناطق طبيعية:

منطقة ساحلية رملية منخفضة يتراوح عرضها ما بين اثنين إلى تسعة كيلو مترات وهي محددة ببحيرات على الشاطئ.

منطقة هضبية ذات مستنقعات صلصالية.

منطقة أخرى ذات مكونات ممزوجة من الرمل والصلصال متميزة بغابات كثيفة من الشجر والعشب، وهي المعروفة بـ (السافانا SAVANE) وتمتد من أبومي وحتى خاصرة جبال أتاكورا شمالاً.

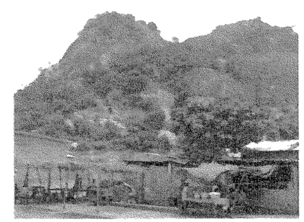
منطقة أخرى ذات مرتفعات عالية تتراوح بين 600م و800م في الشمال الغربي من البلاد وهي المعروفة بجبال أتاكورا. والجدير بالذكر أن هذه المرتفعات تعد خزان مياه لكل من بنين والنيجر.

منطقة سهلية تسمى (سهول النيجر) أي نهر النيجر وهي مساحات واسعة وخصبة ممزوج تكوينها من الرمل والصلصال.

وتغطي الأراضي البنينية غير المسكونة غابات استوائية كثيفة مع ملاحظة مروج ومراعي طبيعية في وسط وشمال البلاد.

وفضلاً عن أن قاعدة بنين مطلة على المحيط الأطلسي فإن بها عدة أنهار من الماء العذب موزعة على كل مناطق البلاد جنوباً وشمالا، وأهم أنهار الجنوب:

نهر أويمي OUEME وهو أطول أنهار البلاد ويبلغ طوله 510 كم وله فروع عدة.



جبال اتاكورا

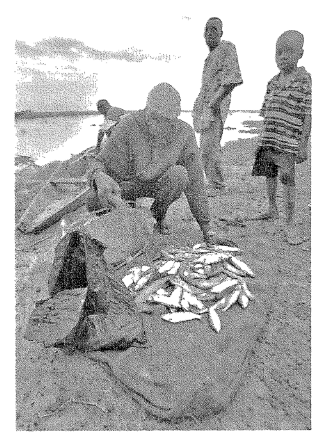


الشاطئ



نهر زو

- ❖ نهر مونو MONO وطوله 500 كم ويصل امتداده إلى جمهورية توجو.
- ❖ نهر زو ZOU وهو متفرع عن نهر أويمي وممتد إلى أتاكورا.
- ❖ نهر كوفو COUFFO وهو نهر صغير ينبع من جبال جامي ويصب في المحيط.



نهر أوكبارا



نهر ميكرو



نهر بانغاري

وأما أهم أنهار الشمال فيلاحظ أن ثلاثة منها تنحدر انحداراً شديداً من النيجر وهي:

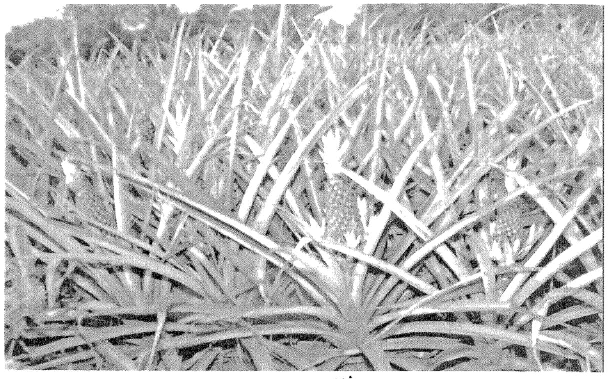
- ❖ نهر أليبوري ALIBORI الذي ينبع من نهر النيجر وطوله 331 كم.
- ❖ نهر سوتا SOTA وينبع من نهر النيجر ويبلغ طوله 250 كم.
- ❖ نهر ميكرو MEKROU ويبلغ طوله حوالي 500 كم.
- ❖ نهر أوكبارا OKPARA الذي ينبع من قرية بيرو ويمر بقرية أوبار اقرب ياراكو ويمر كذلك عبر ساڤي وينتهي إلى نهر أويمي.
- ❖ نهر بانجاري PENDJARI وينبع من جبال أتاكورا بالتوجو عبر حدود بنين وبوركينا فاسو، ويصب في نهر كبير بغانا وطوله 380 كم.

وكل هذه الأنهار تحتوي على ثروة سمكية ضخمة يتم توظيفها لانتعاش الاقتصاد الوطني، حيث ينتج عن صيد الأسماك أكثر من خمسين ألف طن من السمك الطازج سنوياً، ويعمل في هذا المجال ما يزيد عن 20 ألف شخص.

الاقتصاد

وفيما يتعلق بمرتكزات الاقتصاد الوطني بشكل عام، فإن الزراعة تتبوأ مكان الصدارة من بين الموارد الاقتصادية، حيث تعد بنين دولة زراعية أساساً كمعظم دول غرب أفريقيا. ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر كانت بنين مركزاً تجارياً مهما، كما أصبحت الطريق التجاري الرئيس بين بلاد اليوربا والأوروبيين. ومن صادراتها الرئيسية: القماش الأزرق اللون المنسوج من القطن، والقطن الخام، والفلفل، والخرز المصنوع من المرجان الذي كان كثير الاستعمال على ساحل الذهب، وزيت النخيل والذرة والفستق.

ومن المحاصيل الزراعية ذات الأهمية أيضاً:



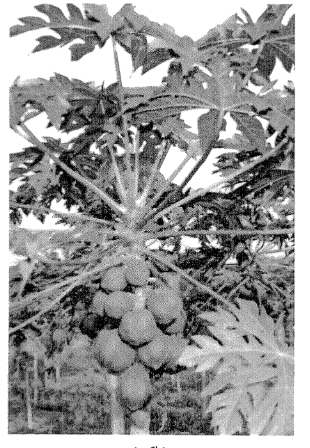
الأناناس الإفريقي الشهير

الدخن وزيت النخل والتبغ والفول والفاصوليا وقصب السكر والأرز. ومن البقوليات: اليام والكاسفا والبطاطا بنوعيها: الحلوة والعادية.. ومن الجدير بالملاحظة أن غرس شجرتي المانغا والأكاجو ACACAJOU منتشر في شمال ووسط البلاد بشكل لافت للنظر، وكذلك الأناناس.

وتأتي الصناعة في الدرجة الثانية بعد الزراعة ضمن المعطيات الاقتصادية البنينية، وقد تم اكتشاف العديد من الإمكانات الطبيعية، ومنها:

طبقات كلسية بكثافة 90٪ من أوكسيد الكالسيوم في منطقة (أونيغبولو ONIGBOLO) جنوب البلاد، وهي التي تنتج عنها مادة الإسمنت.

الحديد في (لومبولومبو) شمال محافظة بورغو. ومناجم للفوسفات على طول ساحل نهر ميكرو، والذهب في سنة 1976م في (بارما) بمنطقة (أتاكورا)، والنفط على شاطئ نهر (سام). وبدأت انتاجه منذ ثمانينيات القرن الماضي.



من فواكه بنين

الإسلام في بنين

تذهب معظم المصادر التاريخية إلى أن نور الإسلام دخل تلك البلاد من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية عن طريق القوافل التجارية خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر مسيحي، حيث تدفق الموج الإسلامي الممتد من امبراطوريتي مالي وسنغاي الإسلاميتين عن طريق النيجر أولا، ثم عن طريق كانوا وسوكوتو في نيجيريا من جانب آخر.

وهنا أعود إلى الأستاذ هارون الحسن الذي تناول هذا الجانب بشيء من التفصيل في رسالته للماجستير (الدعوة الإسلامية في بنين بين جهود الماضي وتحديات الحاضر) والتي استفدت بشكل أساسي من المعلومات والبيانات التي احتوت عليها، فضلاً عن المعلومات التي أمدني بها أثناء وجودي في بنين. وفي هذا الجانب فإنني أعتمد بشكل أساسي على ما يذكره في أطروحته، مع شيء من التصرف. يقول:

كان التجار المسلمون يمرون بتلك البقاع في طريقهم إلى غانا وسلاغا، فالقوافل التجارية كانت في الوقت نفسه قوافل دعوية، يتمتع أصحابها بخلق رفيع ومعاملة طيبة وصدق وأمانة في تجارتهم الرابحة، والكثير من الناس هداهم الله إلى نور الإسلام دين الله الحنيف من خلال المعايشة والاحتكاك، وأيضاً المصاهرة، حيث إن التجار الوافدين كانوا يتزوجون من أهالي المنطقة الأصليين بحكم بقائهم لفترات طويلة أحياناً، فتقوى الروابط الاجتماعية أكثر فأكثر، ويعد هذا من أهم عوامل انتشار الإسلام هناك، كما أن بعض هؤلاء التجار كان يجمع بين التجارة والتعليم، فإذا استقر بهم المقام أنشأوا مدارس أو كتاتيب لتعليم القرآن الكريم والمبادئ الدينية، وأنشأوا مسجداً للصلاة، كل ذلك يسير جنباً إلى جنب مع نشاطهم الاقتصادي.

وقامت بعض التجمعات التجارية الصغيرة التي قَدِمَ أفرادها من دولة مالي الإسلامية، وكان هؤلاء التجار يقصدون الجنوب الغربي، ويحملون جوز الكولا



إلى بلاد النيجر والهوصا في الشمال مجتازين شمال داهومي. وهكذا نشأت تجمعات إسلامية صغيرة في فترة قصيرة كان يطلق عليها (وانجارا) أو (مارو) وسرعان ما ازدهرت تلك التجمعات وأصبحت مراكز تجارية مهمة، ومنها على سبيل المثال (باراكو، وخوغو، وكاندي). وبما أن مهمة أولئك التجار المسلمين كانت مزدوجة، حيث تجمع بين التجارة والدعوة إلى الإسلام؛ فقد دخلت على أيديهم أعداد كثيرة في الإسلام، وكونوا بذلك النواة الأولى للمسلمين في شمال البلاد، ومنها انتشر في باقي أنحاء بنين فيما بعد.

ولعل ما تجدر الإشارة إليه هنا أن تلك التجمعات (الأجنبية) استقرت بالقرب من الزعماء المحليين الذين كانت تعبر بلادهم مسالك القوافل، وبها قامت أسرهم، وبواسطتهم دخل الإسلام ربوع داهومي وأخذوا يصاهرون الأسر الداهومية.

هذا وتشير مصادر أخرى إلى أن الإسلام دخل (داهومي) في القرن الخامس الهجري الحادي عشر مسيحي، عند انتشاره في غرب أفريقيا على يد عقبة ابن نافع، والذي أدخل الإسلام إلى داهومي هو الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني، الذي شملت فتوحاته جميع الجهات المعمورة من شمال السنغال وشمال غانا وشمال داهومي وشمال نيجيريا.. وظل يجاهد في بلاد السودان الغربي ويفتح عواصمها وينشر بها الإسلام، ولم يزل يجاهد إلى أن قتل في إحدى المعارك سنة 480هـ / 1087م.

ويرى الأستاذ هارون أن ليس هناك تناقض بين روايتي الأسبقية (التجارة أم الفتح) فالتجار سلكوا الطرق التجارية القديمة التي كانت تربط داهومي بمملكتي مالي وسنغاي اللتين تتصلان بداهومي من أقصى شمالها وجزء من شمالها الشرقي، وهذه النقاط هي نفسها منافذ دخول الإسلام عن طريق التجار الدعاة. أما الأمير أبو بكر بن عمر فإنه كان ينتمي إلى المرابطين الذين هزموا مملكة غانا القديمة



من مساجد بورتو نوفو

ونشروا فيها الإسلام وفيما حولها من المناطق. بما فيها داهومي التي تتصل بغانا من جهة شمالها الغربي، وبناء على ذلك يكون دخول الأمير أبي بكر بن عمر إلى داهومي من الجهة الشمالية الغربية من البلاد، إذ هي المنفذ لمن هو قادم من غانا، وبهذه الطريقة يمكن أن تكون الأسبقية لكليهما، كل من جهته، حتى وإن وجد فارق زمني بينهما. ثم قاد الفولانيون والمانديون حركة الدعوة الإسلامية في المنطقة، وزاد انتشاره حركة عثمان دان فودى الفولاني (1168ـ1233هـ/ 1754ـ1817م) الذي قام بأمر الدعوة في افريقية الغربية أو السودان الغربي.

أما القبائل التي تقبلت الإسلام ديناً في شمال البلاد عند أول دخوله المنطقة فهي قبائل الفلاني والدندي من أصول سنغاي وغاوو وباريبا، وهذه أقدم قبائل شمال بنين، وهي أول من اعتنق الإسلام دينا من الشعب البنيني، ثم انتشر في وسط البلاد وجنوبها،



والمنفذ الرئيس للإسلام في جنوب بنين هو الجهة الشرقية والجنوب الشرقي من البلاد حيث تقع كل من بورتونوفو، وساكيتي وبوبي وكيتو، حيث دخل الإسلام عن طريق اليوربا القادمين من إبفي وأويو وأبيوكوتا من نيجيريا، وكذلك ساهم التجار الهاوسا المسلمون في نشر الإسلام هناك، وفي وسط البلاد دخل الإسلام عن طريق التجار الهاوسا المسلمين في القرن العاشر الهجري السادس عشر مسيحي، وكان أول الأمر امتدادا من الوجود الإسلامي في كل من الشمال والجنوب، ثم صار له منفذ مباشرة من جهة كانو وسوكوتو (نيجيريا) حيث كان يمر التجار المسلمون من أبومي (مملكة داهومي القديمة) إلى بلاد أشانتي في غانا، وتمركزوا بها في أواخر القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر مسيحي) عندما طلب الملك من رئيس القافلة التوقف في (أبومي) فأمر وزراءه بإكرامهم وحسن ضيافتهم لما وجد فيهم من سمو الأخلاق وحسن المعاملة.

ولعله من الجدير بالإشارة هنا أن هناك اعتبارات متضافرة وعوامل متنوعة جعلت اعتناق الإسلام سهلاً وميسوراً من قبل الأفارقة عامة، وشعب بنين لم يكن خارج هذه القاعدة العريضة، وكانت طبيعة الدين الإسلامي من جهة، وأساليب الدعاة من جهة أخرى؛ مصدر تلك الاعتبارات والعوامل التي ساهمت في تقبل الإسلام وذيوعه في المجتمعات الإفريقية. وقد يسر انتشار الإسلام أنه دين فطرة بطبيعته، سهل التكاليف والتطبيق في مختلف الظروف والأمكنة. وهكذا دخل الإسلام تلك المناطق من أفريقيا في وقت لم يكن بها أي دين ينازع الإسلام بل كانت هناك الوثنية والخرافات واللادينية، ومن هنا كانت دعوة الداعي المسلم شديدة الأثر سريعة النتائج. وهذه النقطة تعد من الأسباب الرئيسية التي دفعت الشعب البنيني إلى تقبل الإسلام دينا، ومن أهم هذه الأسباب أيضاً، فطرية الإسلام وإنسانيته وبساطة عقيدته ووضوحها وقوة تأثيرها على النفوس بقوتها الذاتية، والنصوص الشرعية التي تؤكد هذه المعاني كثيرة ومتضافرة.

أثر الإسلام على الأعراف والتقاليد

وإذا كان الشعب البنيني قد تجاوب بنسبة كبيرة مع الدعاة المسلمين بتقبل دعوتهم ورضي بالإسلام ديناً لتلك الأسباب أو لغيرها مما لم يرد ذكره هنا؛

فإنه من الطبيعي أن تظهر بصمات الدين الجديد على الأعراف والتقاليد التي أورثها الآباء والأجداد لأجيال الشعب التي انضوت تحت لواء الإسلام.

كل القبائل قد تأثرت بالإسلام، ليس الذين أسلموا منهم فحسب بل حتى الذين بقوا على وثنيتهم أو الذين تنصروا، وإن كانت نسبة التأثير متفاوتة من فئة إلى أخرى، فقبيلة (فون) التي يتوزع أبناؤها بين أربعة محافظات من البلاد مثلاً؛ تعتنق الوثنية كعقيدة باعتبار الأغلبية. وعلى الرغم من ذلك فإنها تأثرت بكثير من قيم الدين الإسلامي، حيث أخذت تتمسك بكثير من المظاهر الإسلامية التي أخذتها من المسلمين. وقبائل الشمال هي الأخرى تأثرت بالإسلام في عاداتها بنسب متفاوتة، وهناك نماذج كثيرة من صور التأثير والتأثر بين الإسلام والأعراف الشعبية البنينية مما يدلل على مدى عمق ذلك التأثير الإسلامي في كل القبائل. وعلى سبيل المثال لا الحصر كان من أثر الإسلام على شعوب غرب أفريقيا أن أوقف التناحر القبلي بين السكان بموجب الأخوة الإسلامية، كما أطل الأفارقة بواسطة الحضارة العربية الإسلامية على عالم الثقافة والنور وحب الخير للناس، فلم تلبث القبائل التي اتخذت الإسلام ديناً أن حملت لواء نشره بحماس عجيب، لأنهم علموا أن في الإسلام خيري الدنيا والآخرة، وأن الإسلام رحمة للعالمين.

هناك احتفالات تقيمها قبيلة (باريبا) وتعرف باسم (غاني)، كانت تقام في العاشر من شهر ربيع الأول قبل انتشار الإسلام، فأصبحت بمجيء الإسلام تقام في الثاني عشر من الشهر متأثرة بذكرى المولد النبوي الشريف، والتي أصبحت احتفالاً رسمياً في البلاد، حيث يعطل لها يوم كامل تشريفا للنبي محمد رسول الله ﷺ. ويشير إلى هذا الكاتب الفرنسي (فنسان مونتاني) بقوله: «وفي شمال داهومي حفلة باريبا التقليدية تطابق تماماً احتفال المسلمين - وهذه الحفلة القومية (غاني) في منطقة (نيكي) - أصبحت اليوم إسلامية، ونظراً للعلاقات الطيبة التي تربط الملوك بالأئمة يأذن الملك في بعض الأحيان بإقامة جوانب من مراسمها أمام منزل الإمام في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول. في إطار هذا الاحترام الناتج عن التأثر بقيم الإسلام، وإذا أشرق صبح الثالث عشر من الشهر يقود الإمام وفداً رفيع المستوى من المسلمين لتحية الملك والدعاء له وللأسرة الملكية وللبلد عامة. وواضح هنا تأثر الملوك بالإسلام ومبادئه وقداسته وثقتهم الكبيرة بالمسلمين. كما يحظى المسلمون في بنين بصفة عامة باحترام أصحاب العقائد التقليدية والنصارى، مما يدفع الكثيرين منهم إلى اعتناق الإسلام.



ويدخل في إطار التأثيرات الإسلامية على الشعب البنيني بصفة عامة لفظ (آمين) الذي يقال عقب الدعاء، حيث تلاحظ أن كل الشعب يتداول هذا اللفظ بغض النظر عن اللغة أو الطبقة أو القبيلة أو الانتماء العقدي، مع احتفاظ الكلمة بمعناها الأصلي العربي وهو (اللهم تقبل) أو (استجب لنا). وثمة ظاهرة أخرى تصب في دائرة التأثير الإسلامي على غير المسلمين وهي أن الشعوب الأفريقية بصفة عامة اتخذت اللباس الفضفاض الأبيض (غالباً الزي الإسلامي المحترم مصحوبة بقلنسوة وعمامة أحياناً)، فأصبح هذا الزي في المجتمع البنيني الزي المفضل الذي يفتخر الناس بارتدائه. وإذا كان المظهر العام الأنيق يضفي على صاحبه احترام الآخرين ؛ فإنك تلاحظ حرص الناس في هذا البلد على ارتداء أنسب ما يملكون ولا سيما في مناسبات الأعياد المهمة للمسلمين مثل عيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوي الشريف ومواكب استقبال حجاج بيت الله الحرام



وأيام الجمعة، وغيرها من المناسبات الاجتماعية العديدة ؛ وذلك لأن الأهالي من غير المسلمين في المجتمع يشاركون إخوتهم المسلمين في جميع مناسباتهم... فهم بذلك متأثرون إلى درجة كبيرة بطريقة المدنية الإسلامية في مختلف سلوكياتهم، وإلى جانب هذا المظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية في هذه البلاد يلاحظ التأثير الإسلامي القوي على معظم نواحي الحياة الاجتماعية الأخرى مثل: الزواج والعقيقة والمآتم والميراث.... الخ، فبلغ هذا التأثير الإسلامي في المجالات المذكورة أنه تعدى حياة المسلمين ليشمل بقية شرائح المجتمع من غيرهم بدرجات متفاوتة، كل ذلك جعل المسلم البنيني يشعر بعزة النفس واثقاً من دينه وبأنه ذو سيادة وقوة ذاتية فعالة، وإن لم يكن دين عامة الشعب، فإنه يستقطب عناصر جديدة كل يوم.

وهنا يجب التأكيد على أنه لا ينبغي ترجيح هذه الجوانب المظهرية على الجانب العقدي والروحي والذي بترسيخه في النفس تذوب كل الاعتبارات المادية، أو تصبح شيئاً من الكماليات الثانوية.

من معالم بنين

تحتضن بنين العديد من المدن الأثرية التراثية التي تحظى باهتمام السياح والزوار، إما لأنها شهدت حدثاً تاريخياً، أو لأنها تحتل مكانة مميزة، أو هي أعجوبة طبيعية تلفت النظر. ومن هذه المدن:

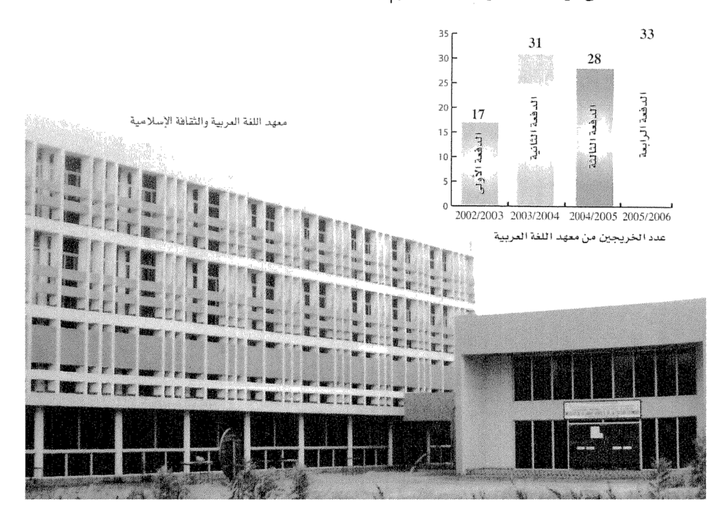
مدينة (كوتونو KOTONO) كبرى المدن في بنين، وهي العاصمة الاقتصادية للدولة، وتوجد بها عشرات المساجد والزوايا، من بينها مسجد ملحق به إذاعة تبث القرآن الكريم على مدى الساعة. وهناك أيضاً معهد دار السلام العربي الإسلامي الذي يقوم بتعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية. وبالتجوال في مدينة كوتونو تلحظ في أرجاء مختلفة منها مساجد عتيقة، وأخرى تحت الإنشاء تنتظر دورها في استقبال المصلين

والراغبين في تلقي العلوم الإسلامية. بفضل إقامة الصلاة يتدفق المسلمون رجالا ونساء وأطفالاً للمساجد، وفي أحد هذه المساجد قبل رفع الأذان يتدفق المصلون إلى المساجد ليجدوا مكانهم فيها، تجلس النساء في ركن خاص بهن وقد اصطحبن أطفالهن، وبينما يلقي الخطيب خطبة الجمعة باللغة المحلية التي يفهمها الناس؛ فإن الأدعية تكون باللغة العربية، ومع كل دعاء يردد المصلون وراء الإمام في صوت جماعي محبب (آمين.. آمين) وهو ما يكررونه عقب الصلاة، حيث يندمجون في الدعاء بصوت مرتفع وبشكل جماعي.

معهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية

استقطبت كلية الدعوة الإسلامية منذ نشأتها طلبة العلم من كل أصقاع العالم ليتعلموا ويتخرجوا في رحابها، ثم ينطلقون دعاة ومعلمين ينشرون مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، بوعي عميق وعقلية واقعية متفتحة على كل الثقافات والعقائد، تحترم خصوصيات الآخر، وتدعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وخلال ثلاثة عقود تخرجت في هذه الكلية قوافل الدعاة والقضاة والأساتذة والمربين، الذين انتشروا في ربوع الأرض، يحملون في طيات نفوسهم علماً وسلوكاً إسلامياً ملتزماً، وأخلاقاً رفيعة، وحكمة ربانية متوازنة بين المثالية الرفيعة والواقعية الأصيلة. وما زالت الكلية وفروعها تخرج الدعاة والمربين المتميزين، منهجهم دعوة إسلامية خالصة من شوائب التعصب، عميقة الصلة بالتراث، تتعايش مع الحداثة التي لا تصطدم مع الثوابت الإسلامية الأصيلة.

ومعهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية بجامعة أبومي كالاي في بالعاصمة البنينية كوتونو، هو أحد فروع كلية الدعوة الإسلامية، بدأت الدراسة في هذا المعهد بتاريخ: 1999/9/12م، وعلى مدى سبع سنوات تخرّجت في المعهد أربع دفعات. وصل عدد خريجيها إلى (109) خريجين.



عدد الخريجين من معهد اللغة العربية

معهد اللغة العربية والثقافة الإسلامية



تخرجوا ليصبحوا معلمين ودعاة للإسلام

ويبلغ أعضاء هيئة التدريس (20) أستاذاً ينتمون إلى (6) ست جنسيات هي (بنين/نيجيريا/المغرب/سيراليون/السودان/ ساحل العاج). ويمكن إيجاز أهداف المعهد في:

- ❖ تخريج أو تأهيل أساتذة في اللغة العربية والثقافة الإسلامية.
- ❖ إعداد متخصصين في علم المكتبات ومترجمين وباحثين.
- ❖ إعداد وعاظ وخطباء.



مسجد ويداه



مدينة ويداه

مدينة (ويداه OUIDAH) إحدى مدن محافظة أطلانتيك الواقعة إلى الغرب من العاصمة الاقتصادية كوتونو، وتعتبر من أقدم المدن في بنين، تتميز بموقعها المهم على ساحل المحيط، وسميت (ويداه) نسبة إلى القبيلة التي تسكنها. وهي مدينة متحفية بها العديد من الآثار، كما تعتبر نقطة الدخول الأوروبي الأمريكي في أرض بنين. فمنذ فترة مبكرة دخلها البرتغاليون، والإنجليز، وفي عام 1704 م قامت فرنسا بافتتاح أول ميناء في ويداه، وما زالت آثار الميناء الذي كان محطة إركاب الرقيق إلى أوروبا وأمريكا موجودة إلى اليوم، فقد كانت المدينة جسراً أو سوقاً أو ممراً لتجارة الرقيق، كما تعد (ويداه) مهد العقيدة الأرواحية في جنوب بنين.

في الطريق الترابي الفسيح الممتد على الشاطئ وأنت عائد إلى كوتونو ؛ تقابلك العديد من المنحوتات والتماثيل والأشكال الفنية المتنوعة، والتي يشير كل منها إلى حدث ما في تاريخ بنين، ومنها ذلك التمثال الذي يشبه عروس البحر تعزف على آلة هي أقرب إلى البوق الصغير أو المزمار. الزميل عبد الباسط بن غزال ـ وكعادته دائماً كمصور محترف ـ لا يسمح أن



سوق ويداه

تفوته مثل هذه المشاهد واللقطات الطريفة الرائعة دون أن يسجلها على ذاكرة مرافقته الدائمة (الكاميرا).

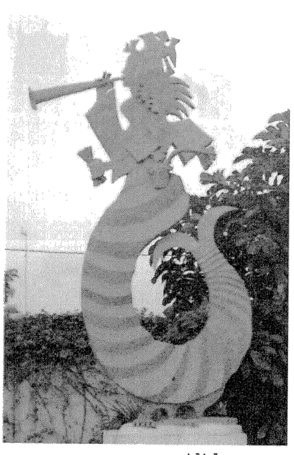
شجرة النسيان

في هذا المكان كانت توجد شجرة النسيان، وكان العبيد من الرجال يطوفون حولها تسع مرات، أما النساء (الأيامى) فكن يطفن حولها سبع مرات. وكان يُعتقد أنه بعد إتمام الطواف يفقدون الذاكرة وينسون ماضيهم وأصولهم وهوياتهم الثقافية، ويصبحون كائنات فاقدة إرادة رد الفعل والقدرة على المقاومة.

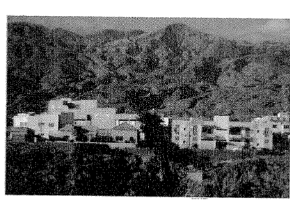
مدينة بورتونوفو

مدينة بورتونوفو PORTON-NOVO، مدينة عتيقة عرفت أيضاً باسميْ (هوغبونو HOGBONOU) و(أدجاتشي ADJATCHE). ولها طابع إسلامي بارز من خلال مساجدها ذات الطراز المعماري الحديث في غالبيتها، كما أنها تحتضن أكبر مكتبة وطنية للبلاد. بورتو - نوفو هي العاصمة الإدارية لبنين، غير أن معظم نشاط البلاد الحكومي يتم في مدينة كوتونو المجاورة. وتقع بورتو نوفو جنوبي بنين، على هّور - بورتو - نوفو، وهو لسان مائي من خليج غينيا في المحيط الأطلسي. يبلغ عدد سكانها حوالي 150,000 نسمة. وهي مركز تجاري رئيسي للبضائع التي تُنتج في بنين. ويربط خط حديدي ونهر كيمي الرئيسي المدينة بالأجزاء الداخلية للبلاد.

وربما تكون بورتو نوفو قد تأسست في القرن السابع عشر الميلادي على يد شعب أدجا الإفريقي الأسمر. وفي وقت لاحق من ذلك القرن أسس البرتغاليون مركزاً لتجارة الرقيق في المدينة. وأصبحت بورتو - نوفو مركزاً لتجارة الرقيق في القرن الثامن عشر الميلادي. وبدأ النفوذ الاستعماري الفرنسي في المنطقة في



تحفة فـ





جيل الغد... أطفال بورتو - نوفو

السبعينيات من القرن الثامن عشر مسيحي، وأصبحت المدينة العاصمة الإقليمية لإفريقيا الفرنسية الغربية، بعد إنشاء هذه المستعمرة عام 1904م. ولدى حصول بنين على استقلالها عن فرنسا عام 1960م أصبحت بورتو - نوفو عاصمة لها.

ومن أبز معالم المدينة المسجد الكبير أو المسجد المركزي الذي بدأ المسلمون تشييده منذ سنة 1910 م، واكتمل بناؤه سنة 1935 م، وكان آخر إمام هو الحاج الشيخ (مود جادين دامالا).

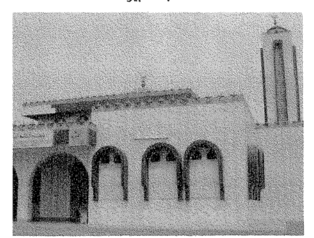


المسجد الكبير

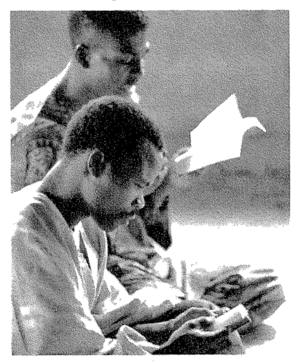
من دار للسينما
الى جامع واندو المركزي

بناه الحاج (باديرو وحيدي)، وهو معروف بكرمه وسخائه في بورتونوفو، وكوتونو وضواحيهما. كان المشروع أولاً دار عرض خيالة (دار سينما) لشباب المنطقة، غير أن سكان المنطقة طلبوا منه إمكانية تغييره إلى مسجد يتسع لهم، خاصة في صلاة الجمعة، وقد استجاب الحاج وحيدي لطلبهم وبدأ عملية التغيير منذ سنة 2001 مسيحي، وقد تحمل شخصياً كل مصاريف التحويل حتى اكتمل البناء وصار جامعاً كبيراً متكاملاً، وخصص له وقفاً لاستمراريته من متاجر ومساكن.

وما يجدر ذكره في هذا السياق أن الشيخ وحيدي لم تقتصر أعماله الخيرية على هذا المسجد، بل قام ببناء العديد من المساجد والمستوصفات ودور عرض الخيالة (السينما) للشباب، وكذلك قسم الأطفال بالمركز الطبي ببورتونوفو. وكان أول مسجد بناه بالقرب من منزله هو مسجد (IRE AKARI) أي السعادة الشاملة سنة 1954م، وتجاوزت أعماله الخيرية 20 عملاً، وقد وافاه الأجل رحمه الله في شهر الربيع (مارس) 2003 م. جزاه الله خيراً.



جامع واندو المركزي



«خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»



مستشفى الفاتح في بورتونوفو

مستشفى الفاتح، واندو - بورتونوفو

بناءً على توجيه من الأخ معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية تولت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بناء وتجهيز مستشفى الفاتح في مدينة بورتو نوفو، تقديراً للعلاقة المتميزة بين الشعبين الصديقين الليبي والبنيني، وافتتحه الرئيس كريكو والأخ أمين جمعية الدعوة الإسلامية في العشرين من شهر الطير (إبريل) 1998 م، كمستشفى متكامل، وبسعة مائة سرير. يقدّم مستشفي الفاتح خدماته الطبية للموطنين البنينيين ومواطني الدول المجاورة مثل نيجيريا والنيجر وبوركينا فاسو والتوغو. وتقدم هذه الخدمات في جميع فروع الطب وهي: الطب الباطني، الجراحة، النساء والولادة والأطفال. وتوجد عيادة متخصصة في أمراض القلب والشرايين.

ويقول الدكتور حسين موسى السنوسي، استشاري أمراض وجراحة القلب والشرايين، ومدير المستشفى:

يستقبل المستشفى المرضى على مدى الـ 24 ساعة متواصلة عن طريق العيادات الخارجية للمستشفى وخدمات الطوارئ والمستعجل أو الحالات المحولة من المراكز الصحية الأخرى.

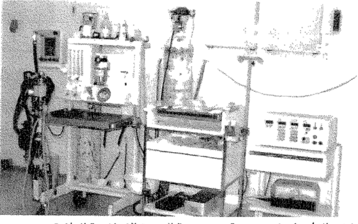
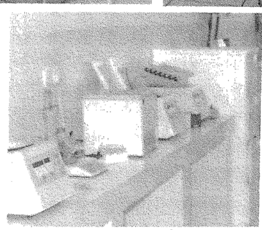


د. حسين موسى

المعامل الطبية والأشعة تقدم خدماتها للمواطنين والمراكز الصحية الأخرى من خارج المستشفى. وتشغيل الصيدلية متواصل مما يمكن المريض من الحصول على الدواء في أي وقت، ويتعاون المستشفى مع أطباء في مجالات جراحة العظام، وحديثاً في مجالات السرطان عند النساء. ونأمل أن تتطور هذه الأخيرة لتكون مركزاً متميزاً في بنين لاكتشاف ومعالجة السرطان عند النساء. ويمتلك المستشفى جهازا متطوراً في الموجات فوق الصوتية بالأبعاد الثلاثة الملونة، وهو الوحيد من نوعه في جمهورية بنين.

وتشمل خدمات المستشفى: الإيواء، العيادات الخارجية، وحدات التشخيص والعلاج، والخدمات العامة. وتعمل جميعها على مدى الـ 24 ساعة، وتقدم هذه الخدمات لمرضى المستشفى وكذلك للمراكز والعيادات الطبية في المنطقة، ويستقبل المستشفى الحالات المحولة من المراكز والمستشفيات الأخرى.



بعض من الأجهزة والمعدات الطبية الحديثة بمستشفى الفاتح / بنين ـ هدية من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الخدمات الطبية التي يقدمها مستشفى الفاتح في بورتونوفو

أ ـ الإيواء:

الأمراض الباطنية، الجراحة العامة، جراحة العظام، أمراض النساء والولادة، وحدة مراقبة الأجنة بالموجات فوق الصوتية، وحدة التشخيص ومعالجة السرطان عند النساء ووحدة أمراض الأطفال.

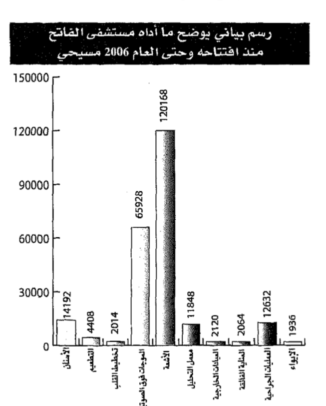
ب ـ العيادات الخارجية:

1 ـ المستعجل والطوارئ

2 ـ الأمراض الباطنية ـ أمراض القلب والشرايين ـ الأمراض الجلدية.

3 ـ الجراحة العامة وجراحة العظام.

4 ـ أمراض النساء والولادة: وحدة تشخيص واكتشاف



رسم بياني يوضح ما أداه مستشفى الفاتح منذ افتتاحه وحتى العام 2006 مسيحي

السرطان عند النساء، ووحدة مراقبة الأجنة بالموجات فوق الصوتية.

ج ـ وحدات التشخيص والعلاج:

1 ـ الموجات فوق الصوتية: الطب الباطني، وأمراض القلب والشرايين، الجهاز الهضمي، الكلية والمسالك البولية، البروستات، الغدد الصماء، النساء والتوليد، الأجنة.

2 ـ المعمل الطبي: الكيمياء العضوية ـ الدم ـ الميكروبات ـ المناعة ـ الديدان والفطريات.

3 ـ الأشعة:

4 ـ الصيدلية: المستلزمات والمستهلكات والأجهزة الطبية.

د ـ الخدمات:

ـ المغسلة

ـ الصيانة

ويضيف الدكتور حسين موسى: حديثاً بدأ المستشفى يؤدي خدماته في مجال التمريض، والطب، والتقنية الطبية على المستويين المحلي والعالمي، وبالنسبة لهذا الأخير فقد تدربت بالمستشفى ممرضات من فرنسا، كما بدأ المستشفى في تقديم خدماته في مجال البحث العلمي، حيث طلبت منظمة كندية التعاون في مجال البحوث الطبية والصيدلانية.

مدن من بنين

مدينة (أبومي ABOMEY) هي العاصمة الملكية لمملكة (دان هومي) القديمة، وبها أحد المتاحف الأفريقية المتميزة وشهرة القائمين عليه على اختلاف وتنوع هواياتهم تجاوزت الحدود البنينية.

مدينة (ألادا ALLADA) تعد أقدم الممالك البنينية لكونها مهد كل من مملكتي أبومي وبورتونوفو. فمؤسسوهما ينتمون إلى (ألادا) وهم أولاد الملك المسمى (تي أغبالين TE-AGBALIN) الذين انتشروا في ربوع أرض أبيهم باحثين عن الملك ببسط القوة.



مدينة (نيكي NIKKI) في الشمال الشرقي من بنين وتمثل العاصمة التاريخية لقبائل باريبا، وبها تقام مراسم أكبر وأهم احتفال لهذه القبائل وهي مناسبة (غاني GANI) التي يتوافق موعدها مع الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف من كل عام. وتجمع هذه المناسبة بين سكان شمال بنين وسكان شمال غربي نيجيريا من قبائل باريبا، ويشاركهم ملوك سائر القبائل من بنين وشمال نيجيريا ووفود من الحكومة.

مدينة (ناتيتانغو NATITINGOU) في الشمال الغربي وهي عاصمة محافظة أتاكورا، وتتميز بقصورها التقليدية المبنية من الطوب وجريد النخل والشجر القوية والمعروفة بـ (تاتا سومبا SOMBA-TATA) نسبة إلى قبيلة سومبا القاطنة بالمنطقة، كما تحتضن العديد من الأكواخ التقليدية المتينة المنسوبة إلى قبائل تانيكا وغيرها من القبائل القاطنة جوار حدائق الحيوانات الوطنية التي تضم أنواعاً عديدة من الحيوانات، وزاد من أهميتها في استقطاب الزوار والسياح كون الحدائق واقعة على نهر بانجاري (PENDJARI) أحد أشهر الأنهار في شمال البلاد.

القرية العائمة

بعد أن استضافنا الأخ فتحي سنيد كنت بصدد الانطلاق إلى مدينة بورتونوفو، غير أنه كان له رأي آخر، إذ طلب مني وبإلحاح أن أرافق عدداً من الإخوة الأحبّاء في زيارة للقرية العائمة !! أثار الإسم دهشتي واستغرابي.. قرية عائمة !؟ لقد قرأت عن ـ وشاهدت العديد من الصور حول ـ مدن وقرى عائمة في بلاد الله الواسعة، في آسيا خاصة، لكن أن تكون هناك قرية عائمة في إفريقيا فذلك ما أثار فضولي وحفّزني لزيارتها، وما شجعني أكثر، مرافقة هذه الثلة من الإخوة المقربين إلى النفس والقلب (إبراهيم الربو، محمد الزيادي، محمد هويدي، محمد عبد الونيس).

انطلق بنا نجل الحاج فتحي (بشار) نحو القرية العائمة. وصلنا إلى مرفأ صغير يحضن عدداً من المراكب الصغيرة، بعضها يدفعه محرك بسيط، وأكثرها يعتمد المجاديف وسيلة للدفع. وفي ذلك المرفأ سوق للصيادين الذين يبيعون ما تجود به عليهم تلك البحيرة من أسماك، وهناك بعض الباعة المتجولين الذين يعملون جاهدين على إغرائك بأن تشتري منهم بعض السلع من الصناعات اليدوية البسيطة، واستطاع أحدهم أن يقنع (إبراهيم الربو) الذي ابتاع غطاء للرأس، وعندما وضعه على رأسه بدا لنا وكأنه سائح قادم من آسيا أو إحدى دول الكاريبي !!

صعدنا مركباً واتجهنا صوب القرية العائمة..

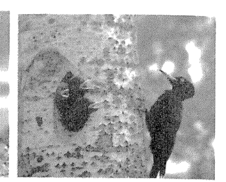
قرية غانفي GANVIE العائمة تعد القرية البحرية الوحيدة في أفريقيا كلها، يقطنها حوالي ألف نسمة من السكان. والناس فيها يقيمون مساكنهم في أواسط البحيرة فوق أعمدة أو قوائم خشبية طويلة جذورها في أعماق المياه، والغريب في الأمر أن تلك الأعمدة لا تبلى متأثرة بالماء فهي من نوع خاص من النباتات مخلوق هكذا.. سبحان الله !! والوسيلة الوحيدة للتنقل والتجول في غانفي هي الزوارق، وفيها وبها يتم البيع والشراء ومعظم المعاملات الاعتيادية اليومية، ويفد إليهم بعض الدعاة المسلمين من كوتونو من حين لآخر.

وعندما نتحدث عن (بنين) فلا بد أن نستحضر ثقافة (الفودو) وطقوسها الدينية القديمة. و(بنين) دولة تشكلت هويتها عبر تاريخها الطويل، وهي من الدول الإفريقية القليلة التي ما يزال أثر نظامها الملكي القديم يفعل فعله بقدرته على التكيف مع المجتمع العصري، لذلك احتفظت قرية (غانفيي GANVIE) بآثار ماضٍ ما يزال حاضراً في وجدان أهلها وتراثهم.

(غانفي) ليست مجرد موقع يقصده السياح، فهي أيضاً أثر لتاريخ زاخر بتراث الأجداد..



التنقل من وإلى القرية العائمة (بالقارب التاكسي)





المحمية الطبيعية في الشمال

عندما تصل إلى (غانفي) تكتشف أنك تزور متحفاً مفتوحاً على السماء.. وتبدو لك القرية كأنها خرجت لتوها من عوالم الغيب..

تقع القرية على الضفة الشمالية الغربية لبحيرة (فوكوي) عند مصب نهر (سو) على مسافة 8 كيلومتر من مدينة (أبومي كالافي) وتبعد حوالي 25 كيلو متراً عن مدينة (كوتونو)..لا يستغرق السفر إليها أكثر من 45 دقيقة عن طريق البر.

(غانفي) ليست فقط معلماً سياحياً في بنين، بل هي شاهد على تاريخ حافل بالأحداث، فهي كمثلها من العديد من الجزر والمناطق في إفريقيا، مثل (غوري) في السنغال أو (ويداه) في بنين أيضاً؛ تعتبر من أهم أسواق النخاسة (بيع وشراء العبيد) وكانت في الوقت ذاته مخبئاً يفر إليه العبيد المستجلبون قبل إرسالهم إلى خارج القارة الإفريقية. وعندما تتأمل موقع القرية تدرك أنها كانت ـ بموقعها الجغرافي وسط البحيرة، والمستنقعات التي تحيط بها ـ توفر حماية طبيعية للمختبئين فيها والذين كان معظمهم من قبائل (آدجا).

وكانت (غانفي) وبعض الجزر والمناطق المماثلة لها ؛ توفر الحماية الطبيعية للفارين من الاقتتال القبلي، ومعظم سكان القرية الحاليين ينحدرون من سلالة (الأيزو) أو (رجال الماء) وكانو يسمون أيضاً (التوفنو) أو (الغانفنوس) وكان موطنهم الأصلي منطقة (تادو) التي رحلوا عنها إلى (هويكي) في جنوب بنين في أواخر القرن السابع عشر مسيحي، ثم انتقلوا إلى (سندوسن) واستقروا أخيراً في (غانفي). وكانت تلك المنطقة تشكل خط الدفاع الأخير لسكانها في مواجهاتهم مع ملوك (اللادا) و(الداهومية) الذين يتعاملون بموجب عهود يبرمونها مع الأوروبيين في تجارة خشب الأبنوس.

ومن المشاكل التي واجهها سكان القرية الجدد الذين كانوا يمتهنون الزراعة في موطنهم الأصلي هي صعوبة فلاحة الأرض لكثرة المياه التي تغمرها والمستنقعات المحيطة بها من كل جانب، ولذلك فقد تحولوا إلى الصيد البحري لاكتساب رزقهم، وابتدعوا طريقة ذكية لصيد الأسماك دون الإبحار إلى أعماق البحر الذي لم تكن لهم خبرة تؤهلهم لركوب أمواجه وخوض غماره، وتلك الطريقة المبتكرة ما زالوا يستخدمونها إلى يومنا هذا، وتسمى طريقة (أكادجا) وهي بسيطة، وفي ذات الوقت تؤمن صيداً وفيرا، وتعتمد طريقة الصيد بواسطة (أكادجا) على إنشاء أحواض محمية بأغصان الأشجار تلجأ إليها الأسماك لوضع بيضها والاختباء من الأسماك الكبيرة في مواسم معينة. وللحصول على أعداد أكبر من الأسماك يضع الصيادون أكواماً من الأوراق الخضراء فيصيبها التحلل وتصبح طعاماً سائغاً يجلب الأسماك فيصطادونها.

وبالرغم من مرور عشرات السنين إلا أن سكان القرية لم يتخلوا عن كثير من أنماط الحياة التي

ورثوها أباً عن جد، والتي استطاعوا أقلمتها مع متغيرات العالم المعاصر، ومن مزايا (غانفي) أنها لا تزال تحتفظ بروح ونكهة ماضيها.

ويستخدم زوار المدينة من السياح القوارب الآلية أو القديمة للوصول إلى القرية.

مشاهدها لم تتغير عما كانت عليه منذ قرون، في الصباح كما في المساء يمكنك مشاهدة النساء يتنقلن من سوق إلى سوق على متن قواربهن، يشترين الخضار والأسماك والتوابل وما إليها، في حين يتولى الرجال جلب المياه العذبة من مدينة (أبومي كالاڤي).

أما المساكن الخشبية والمسقوفة بأوراق النخيل والبامبو فلم تتغير كثيراً باستثناء بعض البيوت الإسمنتية التي يقطنها الأكثر غنى وهم قليلون.

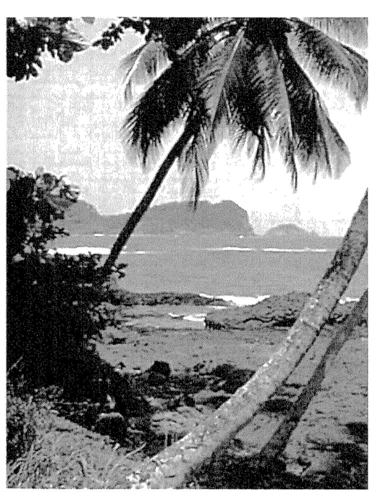
وما زالت القرية محرومة من الكهرباء، وأغلب السكان يستنيرون بمصابيح النفط، فيما يستخدم القليلون الأوفر حظاً مولدات صغيرة. أما ليل القرية فإنه يضفي روحانية غريبة على مشهد القرية الساكنة والحالمة بأنوارها الخافتة وهدهدة هدير الأمواج الخفيف.

ومن القرى المتشابهة إلى حد ما لقرية (غانفي) نذكر تلك التي تقع مثلها على ضفاف نهر (نوكوي) وهي(أغيجاجو) و(سوافا) و(فيكي) و(سوتشياكوي) و(ديكامي) و(أومي) و(ويدو).

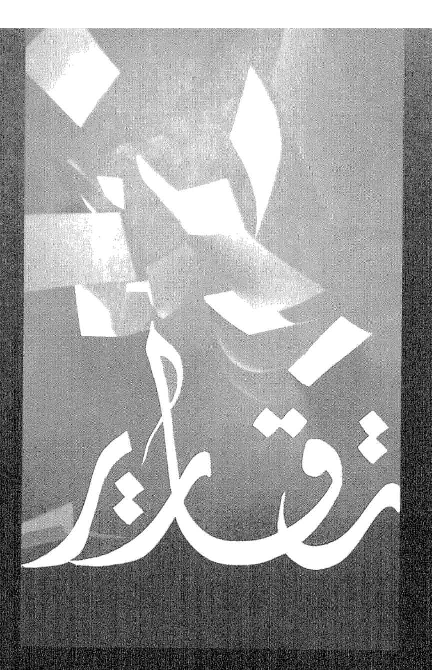
تحتفل هذه القرى سنوياً في مواسم محددة بأعياد (الفودو) وخصوصاً (غانفيي) التي تقيم حفلات ينجذب إليها الكثير من سكان المنطقة خلال الفترة من السابع إلى الخامس عشر من شهر آي النار (يناير). وتشتمل تلك المهرجانات على المسابقات والألعاب الجماعية والطقوس الدينية التقليدية.

وأنت على ظهر ذلك المركب تشاهد القصر الملكي القديم والمدرسة والمقبرة، وبعض المعالم التاريخية والثقافية الجديرة بالاهتمام. وهناك أيضاً المسجد الذي ما يزال في طور الإنشاء، وأفادنا أحد السكان بأن أعمال البناء غالباً ما تتوقف لفترات قد تطول.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بنين تتمتع بثروات سياحية متنوعة، منها حدائق وطنية للحيوانات، لعل أهمها تلك المحمية الطبيعية في الشمال التي تتربع على آلاف الهكتارات، وشواطئ رملية على طول الخط الساحلي، وكذلك آثار سياحية لحضارات قديمة في مناطق عدة من البلاد. وزيارة بنين والاتصال بأهلها والتواصل معهم يمنحك معرفة المزيد عن تقاليدهم وأسلوب حياتهم، كما يثري رصيدك الثقافي عن ذاك الجزء من القارة السمراء.



منظر سياحي خلاب



❖ حلب .. عين على الماضي وأخرى على المستقبل



حلب ..
عين على الماضي وأخرى على المستقبل

عزيزة السبيني*

تعتبر حلب من أهم المدن التاريخية، ليس في منطقة الشرق، بل في العالم، زارها وأقام في فندقها الشهير (بارون) العديد من الأدباء والمفكرين والسياسيين، منهم الكاتبة البريطانية (أجاثا كريستي) والسير (آثر كونان دويل) والزعيم (جمال عبد الناصر) والشاعر (الأخطل الصغير) الذي نظم في مدح حلب قصيدته المشهورة المؤلفة من (83) بيتًا والتي مطلعها:

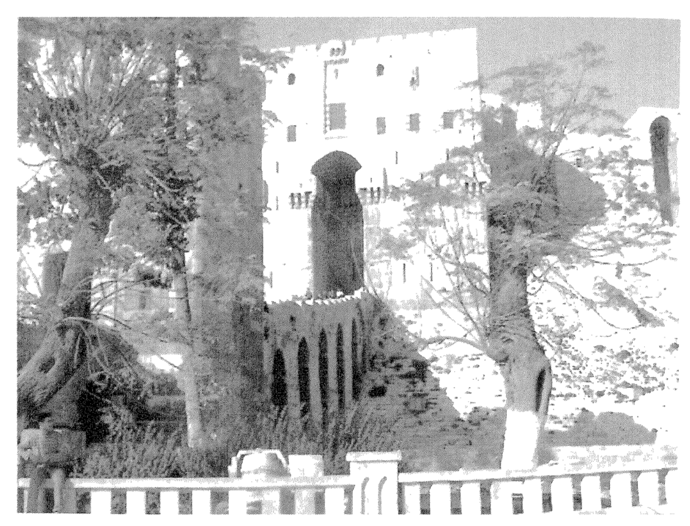
نفيت عنك العلى والظرف والأدبا
وإن خلقت لها إن لم تزر حلبا

وزيارة حلب الشهباء تسمح للزائر باكتشاف مدى التسامح الديني والاعتراف بالآخر، والعيش المشترك بين شتى العقائد والأعراق والمذاهب، تحت مظلة حضارة إنسانية رفيعة، استوعبت كل الحضارات السابقة، في إطار الحضارة الإسلامية المرنة الداعية

الجامع الأموي الكبير أو (جامع النبي زكريا)



* صحفية / سورية.
** الصور خاصة بمجلة التواصل.



قلعة حلب

إلى الحوار والحكمة. وتعتبر حلب مع القاهرة ودمشق واسطنبول من المدن الأكثر احتواءً للآثار والأوابد والمعالم الإسلامية، والتي لا تزال قائمة إلى اليوم، ومن أهم هذه الآثار المساجد والمدارس والزوايا والمقابر الإسلامية، وقد بلغ عدد مساجدها (1000) مسجد، منها (500) مسجد بني قبل القرن العشرين بمراحل تاريخية مختلفة، و(500) مسجد بني في القرن العشرين، كما أن المدينة لا تزال تحافظ على (80٪) من نسيجها المعماري الإسلامي الأصيل. ولهذا تمَّ اختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية بعد مكة المكرمة. وليس باستطاعتنا الحديث عن هذه المساجد جميعها، وأهمها: جامع الشعبية، جامع القيقان، جامع العادلية، جامع المولوية، وجامح الخسروفية، والجامع الأموي الكبير أو (جامع النبي زكريا) الذي بناه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك على غرار الجامع الأموي في دمشق، في موقع حديقة الكنيسة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين إمبراطور بيزنطة، والمعروفة الآن بالمدرسة الحلوية، ويتألف الجامع من ثلاثة أروقة وأربعة أبواب، وفي صحنه بئران ومئذنة مربعة الشكل تمثل رائعة من روائع العمارة العربية الإسلامية، وعليها كتابات بالخطين الكوفي المورق، والثلثي المزخرف، أما المنبر الخشبي في الجامع فيعود إلى القرن الرابع عشر مسيحي، مزخرف ومرصع بالعاج وخشب الأبنوس، وفي قبلة الجامع محاريب ثلاثة، وعلى يسار المحراب الحجرة النبوية وفيها مقام النبي زكريا عليه السلام حيث تفوح رائحة المسك.

قلعة حلب

ولأننا في حلب فلا بد لنا من الحديث عن قلعتها الصامدة التي يعود تاريخها الزمني إلى 9000 سنة. تقوم قلعة حلب فوق رابية طبيعية استعملت كمعابد عبر العصور التاريخية، ثم مقرًا لحكام اليونان والرومان. وبعد فتح حلب أنشئ في القلعة مسجدان، الجامع الصغير المسمى جامع إبراهيم، والجامع الكبير الذي ترتفع مئذنته المربعة الشكل فوق القلعة بحوالي 21 مترًا فتطل على كامل المدينة.

حافظت القلعة على قيمتها الدفاعية في العصور الإسلامية الأولى، وزادت أهميتها في عهد الحمدانيين الذين اعتنوا بإنشاء عدة أبنية دفاعية وقصور لسكن الأمراء في عهد سيف الدولة، ثم أنشأ نور الدين محمود زنكي في القلعة أبراجًا ورممها وأنشأ فيها ميدانًا لركوب الخيل والتدريب.

ويرجع الشكل العام الذي نراه حاليًا في القلعة إلى عهد الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، الذي أنشأ فيها عدة قصور وأبراج ومخازن ومغاور، وأصلح سفح القلعة وخندقها ورصفها بالحجارة، وبنى فيها مسجدًا ومئذنة وممرات سرية وصهاريج وأبنية للضباط والإداريين.

تعزى أهمية القلعة إلى تعدد الكتابات التاريخية التي يمكن منها تتبع تاريخ حلب، والاستدلال على ما تم في القلعة في العهود التاريخية، ويمكن اعتبار هذه الكتابات والزخارف المنقوشة على جدرانها سجلاً تاريخيًا صحيحًا.

فنادق حلب وخاناتها

ويكتمل النسيج العمراني في حلب بالخانات التي كان يؤمها المسافرون للراحة من عناء السفر الطويل، فهي محطة القوافل التجارية على طريق الحرير، وإضافة إلى كون هذه الخانات مكان إقامة النزلاء فإنها تضم سوقًا تجارية وسياحية.

وقد سكنت الخانات عدة عائلات أوروبية مستوطنة في حلب، وكان لكل جالية أوروبية خان خاص بها توجد فيه قنصليتها أيضًا.

وقد زاد عدد الخانات على (150) خانًا، منها (27) خانًا في أسواق المدينة، وأشهرها: خان القاضي، وخان الصابون، وخان الوزير، وخان القصابين، وخان الشونة، وخان الجمرك وهو أكبر الخانات حيث تبلغ مساحته حوالي نصف هكتار.

عاصمة الثقافة الإسلامية

وقد تمَّ اختيار حلب عاصمة للثقافة الإسلامية بعد مكة المكرمة لتوفر المعايير المعتمدة للاختيار من التراث العمراني المتمثل بالمساجد والقلعة والأبنية الأثرية (الخانات والحمامات والأسواق المغطاة بالحجر التي يبلغ عددها «39» سوقًا).

بالإضافة إلى الدور الاقتصادي، حيث كانت هذه المدينة نقطة استراتيجية للتبادل التجاري والاقتصادي بين الشرق والغرب، حيث كانت تستقبل القوافل التجارية بشكل يومي بمعدل (20) ألف جمل محملة بالبضائع.

وكذلك الرصيد الثقافي والعلمي والفني، إذ تشير المصادر إلى كثرة عدد الأدباء والمفكرين والعلماء فيها، (الفارابي) الأول في الفلسفة، (ابن جني) الأول في علم النحو، (الصنوبري) الأول في شعر الطبيعة، (المتنبي) الأول في الشعر، إضافة إلى عامل التراث، فلا يكاد يخلو بيت في المدينة من آلة موسيقية. وكما هو معروف فإن مدينة حلب هي مدينة الطرب الأصيل.. والفن - كما هو معروف - انعكاس للترف والتألق الإنساني. ومن يريد أن يرى الشعب المضياف، فليزر حلب، فالترحيب به لا يقتصر على الكلام المسعف، ولا على القهوة، بل يتخطاها إلى الموائد العامرة بالأطباق الحلبية الشهيرة التي تمتاز بالبهارات الحلبية الحارة، التي تضفي على الطعام مذاقًا لذيذًا مميزًا.



من حفل الافتتاح

دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام في العالم ومعالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)

انطلاقًا من المبادئ والرسالة الهادفة إلى حماية استقلال الثقافة الإسلامية من كل غزو فكري أو تشويه إعلامي، ووعيًا بأهمية الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وضمان موقع متميز للحضارة الإسلامية بين باقي الحضارات الإنسانية المعاصرة، وفي ظل تصاعد الحملات الإعلامية المتحاملة على الإسلام والرامية إلى تشويه صورته؛ فقد تمَّ تنظيم الندوة العلمية حول: دور وسائل الإعلام في إبراز صورة الإسلام في العالم ومعالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، وذلك في إطار احتفالية حلب عاصمة للثقافة الإسلامية، وبالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية. تطلعا إلى وضع رؤية إستراتيجية تبصّر بالأهداف والإجراءات الواجب اتباعها، وتحديدها حسب الأولويات، والتعرف بدقة على الإمكانات الواجب توفرها، ودراسة الظروف المحيطة، ووضع المناهج والوسائل التي تحقق الأهداف المنشودة.

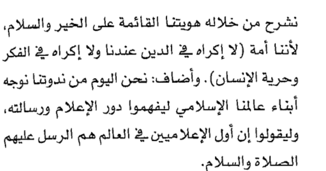
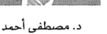
الجلسة الإفتتاحية

بدأت الندوة أعمالها بجلسة افتتاحية ألقى فيها الدكتور مصطفى أحمد علي كلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أشار فيها إلى أن الصورة



حضور متميز لحفل الإفتتاح

النمطية التي تدمغ بها بعض الأجهزة الإعلامية الغربية الإسلام والمسلمين؛ ليست ظاهرة حديثة، بل ذات جذور تاريخية وفكرية تمتد لقرون عديدة، إلا أنها تفاقمت وتحولت من عداء للإسلام والمسلمين إلى إشاعة الخوف منه، ووصمه بالعنف والإرهاب ومجافاة المنطق والعقل، وقد ارتبط ذلك بالتطور التقني الهائل الذي شهده الإعلام، حيث شرعت بعض الأجهزة الإعلامية الغربية المتحاملة على الإسلام والمسلمين، في التزود من الرؤى الاستشراقية السالبة المتراكمة عبر القرون، وإعادة بثها على نحو واسع وفاعل بين الجماهير، بعد أن كانت محصورة التداول في أوساط النخب.



د. مصطفى أحمد

وأضاف الدكتور مصطفى أن المنظمة تسعى إلى الرصد المتواصل لمختلف مظاهر تشويه الإعلام الغربي لصورة الإسلام وحضارته، للاهتداء إلى أنسب الطرق وأعمقها تأثيراً، وصولاً إلى تصحيح تلك الصورة عن طريق حسن استخدام تقنيات الاتصال الحديثة، وإعداد الرسائل الإعلامية والثقافية النافذة، واستغلال ما توفره هذه التقنيات من مقدرات لتعزيز الفهم والتفاهم بين الشعوب والحضارات، استناداً إلى القيم المشتركة بينها.

ثم ألقى الدكتور أحمد بدر الدين حسون كلمة، تحدث فيها عن الأمة الإسلامية والعربية التي حباها الله بكل رسالات السماء، وهى تتعرض اليوم لهجمة إعلامية منظمة تسعى للقضاء على فكرها وعقيدتها، والواجب علينا كقنوات إعلامية أن نملك لجنة تجمع هذه القنوات بشكل موحد في العالمين العربي والإسلامي، وتضع لها هدفاً استراتيجياً موحداً، وإن اختلفت في أسلوب طرحها أو التعبير عنها. ودعا سماحته إلى البدء بحوار ثقافي وفكري مع الغرب، نشرح من خلاله هويتنا القائمة على الخير والسلام، لأننا أمة (لا إكراه في الدين عندنا ولا إكراه في الفكر وحرية الإنسان). وأضاف: نحن اليوم من ندوتنا نوجه أبناء عالمنا الإسلامي ليفهموا دور الإعلام ورسالته، وليقولوا إن أول الإعلاميين في العالم هم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

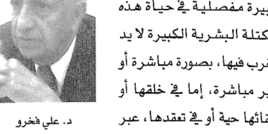
كما ألقى الدكتور المهندس محمد تامر الحجة محافظ حلب كلمة راعي الندوة الدكتور رياض نعسان آغا وزير الثقافة، تحدث فيها عن دور الإعلام في إظهار صورة الإسلام السمح الحقيقي، ورأى أن للإعلام اليوم الدور الأول في العالم بكل تجلياته، فبعد سقوط المنظومة الاشتراكية أخذت سياسة القطب الواحد تبحث عن عدو جديد لها، ووجدت غايتها في الإسلام، وبهذا الصدد لا بد من التصدي لهذه الظاهرة بإيجاد طرق جادة وإعلام خارجي نظهر من خلاله حقيقة هذا الدين الذي هو بعيد كل البعد عن التهم التي يلصقونها به من قمع وإرهاب. ولهذا فإن هذه الندوة مطالبة بوضع الأسس والمعايير التي تشكل البوصلة التي تحدد مسار الإعلام العربي والإسلامي، لإظهار الوجه الناصع للإسلام، في مقابل الهجمة الطاغية المنظمة التي تطالعنا كل يوم.

بدء أعمال الندوة

وبعد الجلسة الافتتاحية بدأت الندوة أعمالها في ورشات عمل، تمحورت الأولى حول سبل توظيف وسائط الاتصال المتعددة في إبراز صورة الإسلام في العالم، في حين تمحورت الثانية حول موضوع استثمار البث الفضائي، أما الثالثة فكان موضوعها عن دور الصحافة المكتوبة في إبراز صورة الإسلام.

مداخل للخروج من النمطية

تحدث الدكتور علي فخرو (البحرين) بأنه ليس من المبالغة القول بأن أحد مشاكل العرب والمسلمين الكبرى





د. علي فخرو

تتمثل في علاقتهم مع الآخر الغربي، فلا توجد مشكلة كبيرة مفصلية في حياة هذه الكتلة البشرية الكبيرة لا يد للغرب فيها، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، إما في خلقها أو إبقائها حية أو في تعقدها، عبر القرون الماضية، حيث وجد العرب والمسلمون أنفسهم في مواجهات مع الغرب لا تنتهي، فما إن ينتهوا من حلّ مشكلة حتى يدخلهم الغرب في مشكلة أخرى، بحيث يبقون في دوامة التجزئة والتخلف والصراعات والحروب الأهلية وتبديد الثروات، وحتى الفشل في مواجهة الاستبداد والفساد في الداخل. وأضاف أنه من الخطأ الاعتقاد بأن هذه النمطية نتيجة لأحداث سبتمبر، فالواقع أن اللجنة الأمريكية العربية نشرت في تسعينيات القرن الماضي عن جرائم الكره والتمييز ضد العرب، لكن أن تنقلب ذكرى الحادي عشر من سبتمبر بكائية أمريكية سنوية تتزامن في كل عام مع حملات ظالمة ضد ثقافة ودين العرب والمسلمين ؛ هو أمر لا يمكن التنبؤ بمخاطره. ورأى الدكتور فخرو أنه لا بد من خطوات عملية عاجلة تتلخص في إجراء حوار مع حكومات الدول الغربية الأساسية، حول إمكانية تعديل بعض المضامين لكتبهم المدرسية في التاريخ وعلوم الاجتماع، فمن حق العرب أن يفرد لإسهاماتهم الحضارية والثقافية مكان في كتبهم المدرسة. وأيضًا، لا بد من الحضور الإعلامي العربي والإسلامي في كل وسائل الإعلام الغربية من جهة، ووسائل الإعلام العربية والإسلامية المتواجدة في الساحة الغربية من جهة أخرى. وكذلك الأمر بالنسبة للجاليات العربية والإسلامية في الدول الغربية، كونها تمثل خط الدفاع الأول والأساسي لصد ظاهرة النمطية، عن طريق تحسين أوضاعهم التعليمية والثقافية والدينية، ومساعدتهم على تنظيم أنفسهم كقوة مجتمعية فاعلة.

وأكد الدكتور فخرو أنه قبل ذلك هناك الكثير من الخطوات التي تحتاج إلى تنفيذ داخل البلدان العربية والإسلامية، وعلى رأسها إجراء عملية مراجعة وتنقيح جذرية للفقه الإسلامي نفسه، وخاصة مسألة تنظيم الاجتهاد ليصبح اجتهادًا مؤسسيًا وليس اجتهادًا فرديًا.

حاسوب على الأرض ومنارة فوق القمر



د. مصطفى المصمودي

تناول الدكتور مصطفى المصمودي (تونس) ثلاثة عناوين أساسية، هي: صورة الإسلام في الغرب عبر العصور، ثم مقومات الخطاب الإسلامي الحديث وما يقتضيه إعلاميًا، وأخيرًا تكنولوجيا الاتصال الحديثة في خدمة الإسلام. مقترحًا توظيف منهجية الإعلام الاجتماعي لتحديد الأهداف كجزء من استراتيجية شاملة تقوم على خطة عملية، وتقييم مرحلي على مدى التطور وتوظيف ذلك لإيصال رسالة محددة عبر وسائل الإعلام المختلفة، ومنها التقنيات الحديثة للتعامل مع الغرب بشكل يتناسب مع قضايانا. وأشار إلى أن هناك الكثير من المسائل التي يجب على الإعلام العربي والإسلامي تجاوزها، كالأخبار التي تنتقص من قيمة المرأة. داعيًا إلى ضرورة تمسك الأمة الإسلامية بثوابتها، وإلى مراعاة ثقافة المخاطب، وكيفية إيصال الرسالة إليه، وتوظيف المناهج الإعلامية الحديثة. وبناء استراتيجية واضحة في جوانبها النظرية والعملية، والاستفادة من الحاسوب كونه يثبت المقاييس والاعتبارات لنشر القيم الإسلامية الحقة.

نعاني من سطحية الفكر وعجز التقنية

الإعلام هو الذي يسمو بالجمهور، وليس الجمهور هو الذي يسمو بالإعلام، هذا ما تحدث عنه الدكتور

بدر عبد الرزاق الماص (الكويت)، مشيرًا إلى التقصير الواضح في وسائلنا الإعلامية، وخاصة القنوات التي غالباً ما تستأثر (بالفرفشة الآنية)، وهذا دليل على سطحية الفكر ومحدودية الأفق، ودعا إلى ضرورة تقديم فكر حضاري راقٍ تحمله تقنية عالية، والسعي إلى تجديد خطابنا الإعلامي ليكون خطابًا عالميًا، والابتعاد عن الفئوية والمذهبية والطائفية التي تكرسها بعض قنواتنا العربية. متسائلاً: لماذا نحجر على أنفسنا؟ ولنا في تواصل الرسول محمد ﷺ مع الآخرين زمانيًا ومكانيًا خير شاهد؟ فخاطب الملوك والرؤساء، وأوفد الرسل الذين كانوا يوفقون بإيصال رسائلهم بكل حرفية ومهنية وأخلاقية. ونحن أمة إسلامية لديها المؤهلات كافة، ولكن لدينا تقصير واضح لأننا نركز على اتهام الغرب لنا متناسين اتهامنا لأنفسنا!!

كل دعوات الحق تواجه بالهجوم

أي دعوة حق على مرّ التاريخ تواجه بالهجوم. هكذا بدأ الدكتور محمود عبد الله عاكف (مصر) مداخلته، مشيرًا إلى أن التعامل مع الهجوم على الدعوة الإسلامية أيام الرسول ﷺ لم يكن بردود فعل مباشرة، وإنما كان عن طريق نشر الدعوة والتأكيد على المبادئ الأساسية لهذا الدين. وعلى عاتقنا اليوم تقع حقيقة نشر هذا الدين من خلال وسائل الاتصال المختلفة. ملخصًا هذه الوسائل في الآتي:

أولاً: الكتاب، فعلى الرغم من تراجع أهميته بسبب التقنيات الحديثة إلا أنه يبقى المرجع الأهم، فلا يكفي عقد مؤتمر هنا وندوة هناك، ونحن لم نستطع توظيف الكتاب حتى الآن بشكل مناسب لدعوتنا.

ثانيًا: الخيالة (السينما)، فهي وسيلة اتصال مهمة للتأثير في صياغة الفكر وتوجهه، فصناعة السينما في أمريكا تعمل جنبًا إلى جنب مع الجيش.

كما يجب أن توظف التقنيات الحديثة مثل (CD – DVD) لنشر رسالتنا وقيمنا العقدية.

وأخيرًا، الكلمة المباشرة، لأننا مطالبون بتقديم نموذج إيجابي إلى العالم لا ينعزل عن مفاهيم أساسية أهمها الحرية، وبلغة يفهمها الآخر ويحترمها.

بين المرسل والرسول والرسالة


د. أحمد بدر الدين حسون

أشار الدكتور أحمد بدر الدين حسون (سورية)، إلى أننا في كثير من الأحيان نخلط بين المفاهيم، والإعلام هو مرسل يوثق به، والرسول يؤدي الرسالة، والرسالة تحقق مصالح الإنسان في الكون، وإذا نظرنا إلى المرسل في الرسالات السماوية للإنسان فمصدرها واحد هو الخالق، لذلك لا تعدد في المصدر، وإنما ظهر هذا التعدد بسبب بعض رجال الدين وبعض الساسة عندما ألبسوا الدين صبغة سياسية ومذهبية. من هنا لابد من التأكيد على وحدة المرسل التي تمنع الكثير من الصدامات في العالم. يقول الله تعالى:

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

[سورة الأنعام، الآية:124]

فنوعية حامل الرسالة يجب أن تكون مميزة. والسؤال الذي طرحه الشيخ حسون هو: هل إعلامنا اليوم صاحب رسالة أم هو إعلام تجاري؟ وهل ينتمي إلى إنسانية الإنسان أم إلى طائفة أو جماعة؟! أما فيما يتعلق بالرسالة فأكد على أنها هي جوهر عملية الاتصال، وهي بالتالي يجب أن تتمتع بمضمون حضاري وأخلاقي يلتقي مع الآخر كإنسان بعيداً عن التطرف والمذهبية والطائفية.

الاستشراق الصحفي

تحدث في هذا المحور الدكتور جورج جبور (سورية) مشيرًا إلى انتشار ظاهرة الاستشراق الصحفي، بحيث أصبح بعض الصحفيين ذراعًا من أذرع التشويه لصورة الإسلام والمسلمين في الغرب. وأشار إلى أهمية الجانب الاقتصادي وأثره على توجيه الصحافة المكتوبة في كل صحف العالم من خلال الملكية. وكذلك، إلى الجانب السياسي مستشهدًا باستقالة رئيس تحرير مجلة (باري ماتش) حيث أجبر عليها. وتوقف الدكتور جبور عند مسالة إغفال دور العرب المسيحيين في تحسين صورة الإسلام، منوهًا بالدور الذي يستطيع العرب المسيحيون القيام به، من حيث أنهم يستطيعون تقديم شهادات حية على التسامح الذي هو أهم خاصية تمتاز بها الحضارة الإسلامية. وختم الدكتور جبور مركزًا على العلاقة بين السياسة والإعلام، وطالب بوضع مفكرة إسلامية سنوية خاصة بالمناسبات التي يمكن للإعلام تناولها ويخدم من خلالها قضايا الإسلام.



د. جورج جبور

استثمار البث الفضائي في إبراز صورة الإسلام

عن كيفية استثمار البث الفضائي في إبراز صورة الإسلام في العالم تحدث الدكتور أحمد عبد الملك (قطر)، عن اهتمام وسائل الإعلام الغربية بنقل الأحداث والصور والحكايات التي تخص الإسلام، وخاصة



د. أحمد عبد الملك

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، من هنا ركز في بحث على حالة الإعلام بشكل عام في العالم الإسلامي، مشيرًا إلى ملامح تقبل الرأي العام الغربي لهذا الإعلام، من خلال بعض المحطات العربية الإسلامية التي تبث برامج باللغة الإنكليزية، سعيًا منها إلى تبديل الصورة النمطية ضد الإسلام والمسلمين في الذاكرة الغربية. ورأى الدكتور عبد الملك ضرورة استنباط برنامج عمل تنفيذي يقوم على:

❖ **أولاً:** قيام المنظمة بإنتاج حلقات عن دور الإسلام في الحضارة العالمية بعدة لغات وإهدائها إلى المحطات العالمية.

❖ **ثانيًا:** الاتفاق مع محطات عالمية، أو عربية، على إنتاج برامج راقية تبتعد عن النظرة الضيقة للإسلام.

❖ **ثالثًا:** تمويل برامج في المحطات الغربية الأكثر مشاهدة حول حقيقة الإسلام، ورفض النماذج التي تخوف المجتمع الغربي من صورة المسلم.

دور البث الفضائي في تصحيح صورة الإسلام

تحدث الدكتور بدر الدين أحمد إبراهيم (السودان) عن كيفية الحد من ظاهرة الإسلاموفوبيا، مبتدئًا بتعريف هذا المصطلح وماهيته، الذي نشأ مع بداية الصدام الفكري والحضاري مع الغرب، وجندت الأقلام والصحف والإذاعات والسينما وغيرها من الوسائل الإعلامية لتصوير أي صراع يجري على الحدود الإسلامية الغربية، مشيرًا إلى التحديات التي تواجه العالم الإسلامي:



د. بدر الدين إبراهيم

(التحدي التقني): فلا نزال مستهلكين ولاهثين

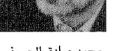
وراء تطورات التكنولوجيا، والتي لم نفلح في حسن توظيفها بما يحقق الرسالة والهدف.

(التحدي الفني): عدم التركيز على إعداد الفنيين والبرامجيين الذين يواكبون تطورات التقدم، ويجتهدون في توطين التقانة والعلم.

(تحدي الأسلوب): فنحن نعاني من وحدة وسلاسة الأسلوب الخطابي، وتنقص برامجنا جاذبية العرض والتميز الشكلي.

مقدمًا في نهاية بحثه مجموعة من المقترحات والتوصيات التي تؤكد على ضرورة وضع استراتيجية عربية موحدة للإعلام العربي، واتباع الأسس والمعايير العلمية التي يقوم عليها الإعلام الإسلامي، مع ضرورة الاهتمام بكل الملامح العربية، والاهتمام بالواقع الإبداعي والثقافي الحقيقي، وأخيرًا مواكبة الأحداث العالمية، ومتابعة نتائج البحوث والدراسات والمؤتمرات العلمية التي تخدم المجال الإعلامي.

دور الإعلام في مواجهة تشويه الصورة


محمد صادق الحسيني

قدم الباحث محمد صادق الحسيني (إيران) بحثًا توقف من خلاله عند مصطلح (المعلوماتية) في عالم صار فيه كل شيء متحركاً، حتى غدت رأسمالاً صار من يملكها هو المتحكم بالجماعة، ويستطيع توظيفها في صناعة الرأي العام الذي يريد. ورأى الباحث الحسيني أنه من المطلوب أن نوصل المعلومة، أي المادة الخام، كما هي إلى وسائل الإعلام، ومن مصدرها قبل أن يتصرف بها أهل الاختصاص، وأن نسعى إلى تعميم ثقافة الإعلام المسئول، وأن نتجنب أفخاخ (عاجل) التي تبحث عن السبق الإعلامي أو الصحفي، والسعي إلى استخدام ثقافة العدسة المركبة في الإعلام، وليس العدسة ذات البعد الواحد، من أجل تصحيح الصورة الأصيلة لدينا، عن مبادئنا وديننا وثقافتنا الإسلامية.

الإسلام.. تقديم الذات للآخر فكر وآليات الفضائيات نموذجًا


د. عدنان الصباح

الدكتور عدنان الصباح (فلسطين)، قدم بحثًا عن تقديم الذات للآخر، رأى من خلاله أن العالم الإسلامي يعاني من الصورة التي يرسمها له الإعلام الغربي، والتي ترسخت ونمت بعد أحداث سبتمبر، ومن يتابع التطورات التي جرت بعدها، يرى أن الغرب - وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية - كانوا بحاجة لتقديم إثباتات على ما يقدمونه من رُؤيا عن الإسلام والمسلمين، وأن المشكلة لا تكمن أبدًا في الغرب بل في صورتنا كما نرسمها نحن. وتساءل عن رؤيتنا لأنفسنا؟ وعن القناعات التي نحملها؟ وعن رؤيتنا للآخر؟ وأية صورة نحملها له؟ وما حجم المعرفة لنمط تفكيره؟ وما هي الأدوات التي نقدمها إليه طواعية للمساهمة في رسم صورتنا؟ وهل نحن نقدم هذه الصورة أم نترك للدوائر والجهات المعادية رسمها؟. وأشار إلى حادثة الرسوم الكاريكاتورية، وما رافق ذلك من مظاهرات وأنماط احتجاج عمت بلادنا، دون أن تؤثر على الآخر، بل إن بعض تلك الأنشطة أصابت بالدمار مؤسساتنا وثروات بلادنا.

المصطلحات الإعلامية ومرض الخوف من الإسلام

هل ساهمنا في صنع ونشر ما يخصنا من مصطلحات؟ أم أننا استقبلنا واستعملنا في وسائل

الإعلام ما تم تسويقه لنا من مصطلحات؟ بهذا التساؤل بدأ الدكتور عبد العاطي محمد عبد الجليل (ليبيا)، مداخلته، مشيرًا إلى أن عددًا لا بأس به من المصطلحات المتعلقة بالإسلام والمسلمين هي من صنع غيرنا. ولترسيخ (مرض الخوف من الإسلام) انقسم الإعلام حول التعبير الأمثل من حيث الاستخدام. وإذا كان الإعلام في الدول القوية مارس الهجوم ؛ فإن الإعلام في الدول الإسلامية مارس - دون أن يدري - التبرير والدفاع عن الإسلام، وكأنه في موقف ضعيف، بينما نجد أن الإسلام في موقف قوي، ولكن للأسف لا يشعر به المسلمون، ويتجسد ذلك في انتشاره بكل مكان.




د. عبد العاطي محمد عبد الجليل

ورأى الدكتور عبد العاطي أن الخطاب الإعلامي الذي نحتاجه ليس مجرد قناة فضائية دينية، وليس مجرد صحيفة أو مجلة دينية، بل الخطاب الإعلامي الذي يقدم الفكرة بوضوح وبساطة، لا يعيش في الماضي، ولا يقف على الحاضر، ولا يصادر المستقبل. ومن صميم حياة الناس يراعى لغاتهم وثقافتهم وخصوصياتهم، مع عدم التنازل عن الثوابت. وأشار إلى أن الإعلام في الدول القوية يعلن مبدأ حرية التعبير فيما يتعلق بالغير من منطلق ومنظور لا يضع في اعتباره تحديد معنى الحرية، وعدم الأخذ في الاعتبار الفارق بين الحرية الشخصية، والإباحية، على سبيل المثال، أو الحرية والإساءة للآخرين.

دور الصحافة في تصحيح صورة الإسلام في الغرب ومعالجة ظاهرة (الإسلاموفوبيا):

لقد أصبح مصطلح (الإسلاموفوبيا) مصطلحًا جامعًا ودالاً على عمليات التشويه والتمييع لصورة الإسلام، هذا ما أشار إليه الدكتور حسن عزوزي (المغرب)، على اعتبار أنه المصطلح الأكثر تعبيرًا عن عقدة الخوف والهلع من انتشار الإسلام ونفوذ قوته الدينية والثقافية والبشرية داخل المجتمعات والدول الغربية. وقد عزا الدكتور عزوزي أسباب هذا الخوف من الإسلام إلى قدرة الإسلام على الانتشار والامتداد، وإقبال الغربيين على اعتناقه بكثافة وتلقائية وطواعية، وتزايد أعداد العرب والمسلمين في البلدان الغربية، ودخول نخبة منهم في البرلمانات، وتسلم بعضهم مناصب في مجالات حيوية، بالإضافة إلى العلاقة غير المستقرة بين الإسلام والغرب عمومًا. من هنا يأتي دور الصحافة المكتوبة لما لها من دور قوي في إبراز صورة الإسلام، وكذلك تفعيل دور المؤسسات والمراكز الثقافية والمنظمات الإسلامية في البلدان الغربية، والتفكير في توسيع فكرة استئجار صفحات أو أعمدة في الصحافة المكتوبة الغربية، والاستفادة من جهود الكفاءات الإسلامية المهاجرة التي أخذت مكانها في منظومة العمل الثقافي والإعلامي. وأخيرًا، دعوة وتشجيع قادة العمل الثقافي الإسلامي في الغرب إلى الإسهام بالكتابة في المنشورات الصحفية بما يخدم مجال التعريف بالإسلام.

د. حسن عزوزي

مصادر الرؤية الإعلامية الفرنسية للإسلام

تحدث الدكتور صادق رابح (الإمارات العربية المتحدة) عن إشكالية الحضور العربي في الغرب (فرنسا نموذجًا) ضمن



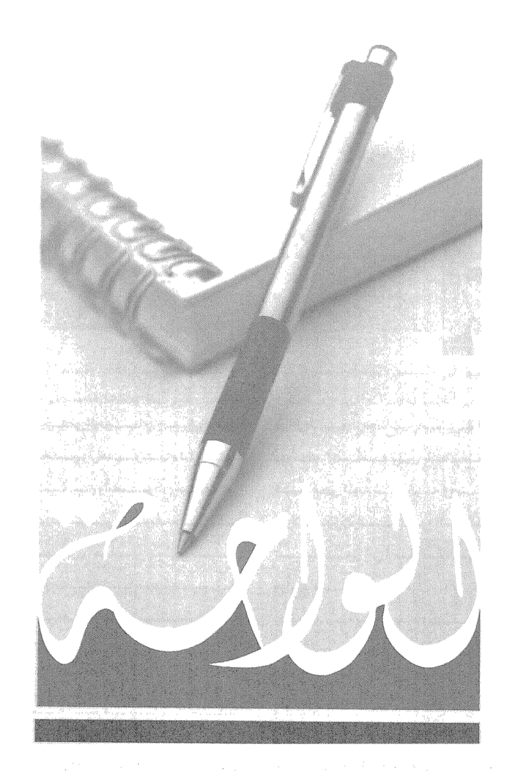
د. صادق رابح

إشكالية كبرى، وهي إشكالية المغايرة. والمغايرة مفهوم حاضر في كل الثقافات، وقائم على أساس ثنائية الاختلاف بين الأنا والآخر. وبنى الدكتور رابح دراسته على الرؤية الفرنسية الغربية عمومًا إلى الإسلام، فرأى أنها محصلة تراكمات تاريخية غذتها ولا تزال مجموعة من القبليات والقوالب المشوهة التي لم تفلح القطيعة الإبستيمولوجية الغربية في اقتلاعها. وأشار إلى أن مقاربة الإسلام في الغرب حالياً، وتحديداً فرنسا، والتي يطلق عليها تاريخيًا (البنت الأكبر للكنيسة)، تراوح مكانها، بل إنها تتنافس مع المقاربة القروسطية اللاهوتية في لغتها ومحتواها. وعلى الرغم من كل مفردات الصورة المشوهة عن الإسلام ؛ فإن محبّي التآخي بين الأديان بدأوا يسمعون صوتهم للوقوف في وجه مخطط الإقصاء المتبادل الذي تمارسه جماعات الغلو والتطرف في الحضارتين، من أجل خلق تواصل حضاري مبني على قبول الآخر باختلافه الديني والحضاري.

توصيات الندوة

وبعد مناقشة أوراق العمل بين الباحثين والإعلاميين المشاركين في الندوة ؛ توصل المشاركون إلى اعتماد التوصيات التالية:

1. الدعوة إلى صياغة خطاب إعلامي واضح يعتمد على المبادرة وليس ردة الفعل.
2. دعوة الإيسيسكو مع المؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية والتمويلية إلى التعاون في إعداد مشروع رقمي متكامل يشتمل على منظومة معلوماتية ومؤسسات إنتاجية، تعمل على تقديم الفكر والثقافة والقيم الإسلامية.
3. تعزيز سبل التعاون والتنسيق بين مختلف الجهات والمؤسسات التربوية والإعلامية والثقافية والتمويلية، لاستثمار البث الفضائي في إبراز صورة الإسلام في العالم.
4. دعم فكرة إنشاء مرصد لجمع وتحليل المعلومات والأفكار التي تتناول الإسلام وحضارته بالتشويه.
5. تعزيز الانفتاح على مؤسسات المجتمع المدني، واعتماد الدبلوماسية الشعبية، وتوظيف السياحة الثقافية.
6. دعم الجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب لتوضيح صورة الإسلام.
7. الدعوة إلى بناء جسور الحوار والتواصل مع المثقفين من الإعلاميين والمفكرين.
8. دعوة الإيسيسكو للقيام بدراسات ميدانية تبحث في ظاهرة الإسلاموفوبيا.



- وصية شاعر
- عظماء ومشاهير معاقون غيروا مجرى التاريخ
- الإفطار و (ماريا دل مار) لوحتان لـ (فالغاس)




إيليا أبو ماضي

وصية شاعر*

إن أنا أغمضَ الحمامُ جفوني ... ودوى صوتُ مصرعي في المدينه
لا تصيحي وا حسرتاه لئلا ... يدرك السامعون ما تضمرينه
وإذا ما زرتني وأبصرتِ وجهي ... قد محى الموتُ شكه ويقينه
لا تشقي عليّ ثوبكِ حزناً ... لا ولا تذري في الدموعَ السخينه
غالبي اليأسَ واجلسي عند نعشي ... بسكونٍ إني أحب السكينه
وإذا ما الحارسان ناما عياءً ... ورأيتِ أصحابه يتركونه
فتعاليْ وقبّلي شفتيّه ... ويديّه وشعَره وجبينه
قبل أن يسدل الستار عليه ... ويوارى عنك فلا تبصرينه

❖❖❖

وإذا الساعة الرهيبة حانت ... ورأيتِ أصحابه يحملونه
وسمعتِ الناقوس يقرع حزناً ... فيرد الوادي عليه أنينه
زوّدي الراحلَ الذي مات وجداً ... بالذي زود الغريبُ السفينه
نظرة تعلم السماوات منها ... أنه مات عن فتاة أمينه

❖❖❖

وإذا ما جلستِ وحدكِ في الليـ ... ـل وهاجت بك الشجونُ الدفينه
فاهجري المخدعَ الجميل وزوري ... ذلك القبْرَ ثم حيِّي قطينه
وانثري الورد حوله وعليه ... واغرسي عند قلبه ياسمينه

❖❖

★ عُثر على الوصية ضمن الأوراق الخاصة للشاعر المهجري إيليا أبي ماضي ولم تنشر ضمن دواوينه.



عظماء ومشاهير معاقون

غيروا مجرى التاريخ

(العقل السليم في الجسم السليم) حكمة مشهورة، أو مثل قديم يسير على ألسنة الناس منذ أمد بعيد، وربما في أغلب لغات العالم، وإن بصياغات مختلفة. غير أننا عندما نستقرئ حياة العباقرة والمبدعين؛ نجد أنهم من أكثر الناس تألماً جسمانياً وتفسياً. وفي واحة هذا العدد نقدم للقراء الكرام نماذج لعباقرة اعترتهم أمراض عدة، وشابت حياتهم أطوار شاذة وعلل مختلفة .



هوميروس

الشاعر الضرير صاحب أعظم الملاحم البطولية في التاريخ

يذهب بعض الدارسين إلى أن هوميروس، كان ضريراً لا يبصر، أو كان مبصراً في أوائل أيامه ثم فقد بصره، ويذهب آخرون إلى أنه كان ضعيف البصر طوال حياته. ولد من أبوين مغمورين في إحدى المدن الأيونية بآسيا الصغرى، ثم أظهر في صباه ميلاً لسماع القصائد وحفظ الأناشيد، وفي شبابه بدأ يتغنى بأشعاره، فلم ينل إعجاب سامعيه، الذين أعرضوا عنه ولم يشجعوه، فذاق مرارة الفقر. وعندما اتقدت قريحته ونبغ في إنشاد الشعر؛ ذاع صيته وتسابق الأثرياء إلى دعوته للإقامة في قصورهم والتغني بأسلافهم، وتنافست المدن في إجلاله وتكريمه، لما في أشعاره من تمجيد لأبطالها وإشادة بماضيها. وهكذا أتيحت له فرصة زيارة كثير من البلدان، ودراسة معتقداتها والوقوف على أحوالها ومعرفة عادات أهلها، فكانت مصدراً للمعلومات التي تفيض بها قصائده، التي صاغها في قالب قصصي وأسلوب روائي، يجمع بين الحقيقة والخيال. وقد عني هوميروس، بتهذيب أساليبه وتنقيح فنونه، حتى بلغ بشعره أرقى شأن، أمكن بلوغه في تلك العصور، وتمثل ذلك بجلاء في ملحمتيه الخالدتين (الإلياذة) و(الأوديسا) اللتين حصل بهما على لقب (صاحب أعظم الملاحم البطولية في التاريخ) وهما قصتان شعريتان طويلتان، احتلتا مقاماً مرموقاً في الآداب العالمية.

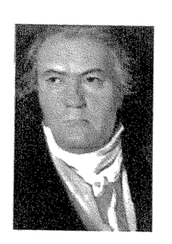


هيلين كيلر

مؤلفة عمياء وصماء.. وسعيدة !!

تقول هيلين كيلر: إن العمى ليس بشيء، وإن الصم ليس بشيء، فكلنا في حقيقة الأمر عمي وصم عن الجلائل الخالدة في هذا الكون العظيم.

ولدت هيلين كيلر في ألباما بأمريكا عام 1880 مسيحي، وعندما بلغت الشهر الثامن عشر من عمرها أصيبت بمرض تركها فاقدة النظر والسمع والنطق، فأخذت تستخدم في طفولتها الإشارة للتفاهم مع من حولها. وعملاً بما أشار به الطبيب الذي فحصها، وما أوصى به (غرهام بل)؛ عينت أسرتها مدرسة خاصة لها إسمها (آن سلفان) لتقوم بمهمة تعليمها، وقد بقيت معها مدة خمسين عاماً فنشأت بينهما علاقة ود وصداقة. وخلال هذه الفترة الزمنية الطويلة استخدمت المدرسة طريقة خاصة لتهجئة الكلمات عن طريق لمسٍ داخل الكف، وبعد عامين من بدء هذا النوع من الدراسة أصبحت الطفلة تجيد القراءة والكتابة بطريقة (برايل). وعندما بلغت العاشرة أصرت على تعلم الكلام والنطق فاستجابت المدرسة لطلبها بعد أن لاحظت أن (هيلين) يمكنها فهم الأصوات وتمييزها عن طريق لمس حنجرة المدرسة وتحسس الذبذبات الصوتية بواسطة اللمس !! وفي العشرين من عمرها التحقت بكلية (رد كليف) بصحبة مدرستها التي كانت تترجم لها المحاضرات بطريقة لمس بطن كفها، وبعد أربع سنوات أنهت دراستها، ووهبت حياتها لمساعدة أمثالها المعاقين. ذاعت شهرتها في العالم بعد أن كتبت بعض المقالات في الصحف والمجلات حول مواضيع حساسة كانت غير مقبولة في ذلك الوقت، ثم أخذت تنشر بعض مؤلفاتها التي منها «مفتاح حياتي». وفي عام 1902 وضعت كتاباً عن تاريخ حياتها، وعام 1908 وضعت كتاباً آخر عنوانه «العالم الذي أعيش فيه» وفي عام 1913 وضعت كتابها المشهور «الخروج من الظلام».



بيتهوفن

الموسيقي الذي تغلب على صممه

وُلد في بون عام 1771 لأُسرة فقيرة ينتمي أغلب أفرادها إلى دنيا الموسيقى، فنشأ متأثراً بذلك الجو الفني، حيث تلقى عن والده دروسه الموسيقية الأولى، ثم تقدم سريعاً في هذا المجال، وبالرغم من نجاحه المبكر إلا أن القدر لم يهب بيتهوفن حياة سعيدة فيما بعد. ولما كان عصبي المزاج فقد كانت حياته قلقة، فكثيراً ما كان ينتقل من مسكن إلى آخر، وكثيراً ما كان يتشاجر مع أصدقائه، كما كان سيئ الحظ في الحب، ولما لم يتزوج فإنه ولا شك لم يتمتع لحظة بهناء البيت والأسرة. لم يكن بيتهوفن بالفتى الجميل الذي يشد انتباه الناس أو يجذب عطفهم إليه، بل كان ذا عينين جاحظتين ورأس ضخم، فضلاً عن طباعه الخشنة ولهجته الريفية، والنوبات العصبية التي كانت تهاجمه من وقت لآخر. لكن المأساة الحقيقية التي ألمت به هي إصابة أذنيه بالصمم الذي بدأ يزحف إليهما بشدة وله من

العمر ثلاثون عاماً، ثم أخذ يتزايد مع سنوات حياته لدرجة أنه أصيب بالصمم كلياً في آخرها، ولفترة توقف عن التأليف الموسيقي، وخلالها عاش في عوز وفقر مدقع، يائساً من الاستماع إلى عزف أصابعه على البيانو. لكن بيتهوفن لم يتقبل الهزيمة، ولهذا انصرف كلياً عما يحيط به، وكرس حياته للموسيقى تماماً، وأنتج خلال سنواته الأخيرة بعضاً من أحسن أعماله، توفي وعمره 56 عاماً.



أبو العلاء المعري

الأعمى يقهر الحياة

غلام وحيد لأبويه، نشأ مدللاً مرموقاً من أعين أعمامه وأخواله بالعطف والرجاء. وهو في الرابعة من عمره فقد بصره بعد معاناة طويلة مع مرض الجدري، فتراءى للناظرين بشعاً: عينه اليسرى غائرة كحفرة، واليمنى ناتئة، قد اختلط سوادها ببياضها وتلونت بالدم في بعض نواحيها، وترك الجدري نُقراً متقاربة في جلد وجهه مما أثار سخرية الصبية من أقرانه. درج منبوذاً أو كالمنبوذ، وأرهف شعور الأسى فيه أنه عالة على الغير في كل شيء، يلذعه الناس سراً أو جهراً، صراحة أو تعريضا، فانطوى على نفسه وآثر الوحدة مكرها. وأقبل على حفظ دروسه التي حرص أبوه علي تلقينه إياها: القرآن الكريم والنحو وعلوم اللغة، وأدمن النظر فيها، فأجال فكره فيما، احتواه الكتاب العزيز من قصص وقضايا تتعلق بالكون والإنسان والموت والبعث. كان أبوه شاعراً فذهب منه بحظ غير قليل في إجادة الشعر. وكان أبوه أستاذه الأول، وقد ورث عنه نهماً إلى المعرفة، وعن أمه شغفاً بالأسفار والتنقل. فلماذا لا يرحل في طلب العلم ما دام موفور النعمة ميسوراً؟ لهذا شد الرحال إلى حلب يدرس النحو واللغة، ثم إلى أنطاكيا، ثم إلى اللاذقية، ثم إلى طرابلس.. يطالع من مكتباتها ما أنتجته الحضارة العربية الإسلامية وما نقلته عن الإغريق والفرس والهنود. مات أبوه أثناء تحصيله فلم يزد حزنه عليه أكثر من حزن التلميذ على أستاذه. بهر أهل بلده وزمانه بذكائه الحاد، وسعة علمه، ومواتاة شاعريته، ولطف حسه، وصفاء وجدانه، وعجيب فطنته. وصدرت عنه ومضات تكشف عن عالمه النفسي المجهد بالصراع بين شد الطموح وعجز الوسيلة، بين إرادة الحياة وخيبة الرجاء. امتحن بعمى البصر وبقي له نور البصيرة، وإن يكن عاش في سجن موصد، فقد أرهفت العزلة وجدانه، ومنحته صفاء الذهن ووضوح الرؤية، فكان البصير الذي خبر الدنيا كما لم يخبرها الغارقون إلى أذقانهم في خضمها، وإلى آخر عمره ظل يخوض معركته في مجاهدة شغفه بالدنيا وتعلقه بها، وفي رفض الظلم والبغي والتضليل والنفاق.

المصدر: كتاب (عظماء ومشاهير معاقون غيروا مجرى التاريخ)
تأليف: أحمد الشنواني
الناشر: دار الكتاب العربي / دمشق، القاهرة

خوسي ماريا فالغاس

- ❖ من مواليد مرسية/ إسبانيا 22/6/1929 مسيحي.
- ❖ درس في مدرسة الفنون الجميلة في مدريد، تحصل على عدة جوائز من بينها: جائزة الربيع في قرطاجة سنة 1947 مسيحي، وجائزة بلدية مرسية سنة 1947 مسيحي، والمدالية الفضية سنة 1949 والمدالية الدولية في المعرض الدولي في ايطاليا، بالإضافة إلى عدة جوائز أخرى.
- ❖ أقام عدة معارض في إسبانيا وفي عدد من الدول، من بينها ليبيا وإيطاليا وفرنسا.
- ❖ ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية، من مؤلفاته «حياة رسام» و«عشر سنوات من الرسم».



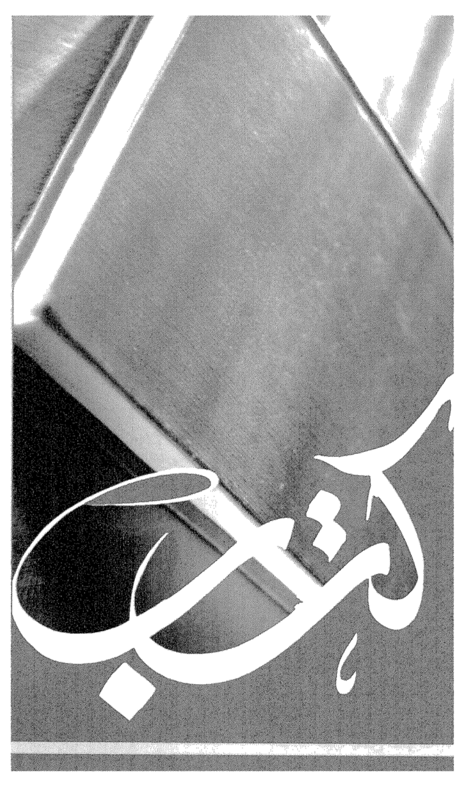
الإفطار
زيت 60×73سم
لوحة خاصة



ماريا دل مار
زيت 73×54سم
لوحة خاصة

المصادر

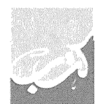
- ❖ معجم الرسامين الأسبان النصف الثاني من القرن العشرين
- ❖ معجم الرسامين والمبدعين الأسبان من القرن العشرين



* كيف يكتب الألمان تاريخ الأمريكان؟!

قراءة في كتاب: (رحمتك يا الله! صفحات مجهولة من تاريخ أمريكا)

* المكتبة



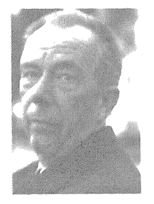
كيف يكتب الألمان تاريخ الأمريكان؟!

قراءة في كتاب: (رحمتك يا الله! صفحات مجهولة من تاريخ أمريكا)

| عرض: د. عبد العاطي محمد عبد الجليل *

كيف يكتب التاريخ؟! سؤال خلت أنه لا معنى له، لكنني ـ وبكل أسف ـ وجدت أن لهذا السؤال ألف إجابة و إجابة!، هناك من يكتب التاريخ حين يسرد الأحداث، وهناك من يكتب التاريخ حين يحلل الأحداث، وهناك من يكتب التاريخ حين يعرض (ما جرى) من زوايا متعددة..

المؤلف في سطور



ولد يواخيم فرناو سنة 1909م، وعمل صحافياً حراً معظم أيام عمره في ميونيخ، في ألمانيا، وفي توسكاني في إيطاليا.

جميع كتبه كانت من أكثر الكتب بيعاً، وترجمت إلى عدة لغات، توفي سنة 1988 في فلورانس.

(الناشر)

كيف يكتب التاريخ؟! سؤال هاجمني حين جازفت وبدأت قراءة كتاب ممتع بعنوان: **(رحمتك يا الله: صفحات مجهولة من تاريخ أمريكا)** للألماني **(يواخيم فرناو)**، والممتع قد لا يكون جاداً، وهنا يطل السؤال: ما الفرق بين عرض التاريخ وسرده؟ وسؤال آخر: هل من الممكن وهل من المقبول أن يكتب التاريخ بأسلوب هزلي؟! هل كان (فرناو) منصفاً وهو يعرض تاريخ أمريكا؟ أم أنه كان ألمانياً رأى بأم عينيه الحروب المتوالية منذ العقد الأول وحتى العقد الثامن من القرن العشرين، والتي كانت فيها أمريكا وألمانيا على طرفي نقيض، وعاش أحداثاً جساماً جرّت ويلات عانت منها بلاده، وذاق مرارة الدمار الذي عاشته بلاده. هل كان (فرناو) مؤرخاً محايداً ومنصفا ومتجرداً؟!.

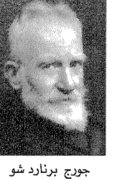
إجابات كثيرة يمكن تصورها إذا أدركنا معنى (الإنصاف والحياد والتجرد)، ليس باعتبارها كلمات مجردة فحسب.. ولذا لن نبحر في تحليل لا طائل من ورائه وبين أيدينا الكتاب الذي ينبئ عنوانه عن موقف المؤلف ممن يؤرخ لهم أو يستعرض تاريخهم أو يسرده أو يحلله. والحقيقة أنني ومنذ قراءة الصفحات الأولى من هذا الكتاب تذكرت عدداً من الكتاب من أمثال الكاتب الأمريكي الساخر (صمويل لانجورن

---

* صحفي وكاتب وأستاذ جامعي/ ليبيا.

❖ الرسوم والصور المصاحبة غير مدرجة في الكتاب.

كليمنصو) المعروف باسم (مارك توين) والايرلندي الذي لا يقل شهرة (جورج برنارد شو)، ولعل من بين الأسباب التي ذكرتني بهذه الأسماء هو إحساسي بأن يواخيم فرناو ينتمي للمدرسة نفسها التي ينتمي إليها (مارك وشو) والذين أظن - وربما لست آثما في هذا الظن - أن أصحابها امتطوا صهوة السخرية وهم يطلون على الناس بطريقتهم الخاصة: الساخرة الناقدة، وربما المتحاملة... ولم يخيب (فرناو) ظني فقد وجدته يذكرهما في كتابه هذا...


جورج برنارد شو

الكتاب يسهب في عرض بداية الهجرة البيضاء إلى القارة الحمراء، يصور مأساة من تمت تسميتهم خطأ بـ(الهنود الحمر)، ويكاد يجسد بكلماته عذابات السود منذ اصطيادهم وحتى موتهم، سواء في قاع المحيط أم على يد الرجل الأبيض.. ثم يتتبع بعد استقرار الأمور للرجل الأبيض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ (جورج واشنطن) وحتى (جيرالد فورد)..

في خضم الأحداث التي يعرضها أو يسردها أو يحللها يفسح المؤلف مجالاً واسعاً لـ(وول ستريت) الذي يراه المحرك الحقيقي، إن لم نقل المسئول الفعلي عما عاشته الولايات المتحدة الأمريكية والعالم من أحداث غريبة وعميقة التأثير، ليس على المستوى الأمريكي الداخلي فحسب وليس على مستوى الحاضر فحسب، بل ينسحب التأثير على المستقبل المنظور وغير المنظور..

لم ينس (فرناو) أن يحلل معنى الدولة والديمقراطية، يبدي رأيه أحيانا، ويسوق آراء حشد لا بأس به من الفلاسفة و المفكرين والساسة منذ (سقراط) وحتى منتصف القرن العشرين المنقضي. كما تتبع خطوات الغزاة و المهاجرين الأوائل من إسبانيا و فرنسا و بريطانيا و ايطاليا وألمانيا

❖ **العنوان الأصلي للكتاب:**

Halleluja Die Geschichte der USA

❖ **تعريب: ميشيل كيلو.**

❖ **الطبعة الأولى، سنة 2003.**

❖ **الناشر: شركة الحوار الثقافي.**

يعرض مؤلف الكتاب، بأسلوبه الخاص، وفنه في عرض أحداث ما جرى في أمريكا؛ تلك البلاد ذات الإمكانات التي لا تعرف حدودا، بطريقته الساخرة والمسلية. إنه يكشف للقارئ عن خفايا ما جرى في أمريكا قبل الاستقلال وبعده. ثم يبحث في تشكيل هذا التجمع من الولايات بعد الاستقلال، وكيف صُنع الدستور، والمشكلات التي نشأت بين ولايات الشمال وضغوطها على ولايات الجنوب، ومشكلات الأفارقة الذين سيقوا عبيداً إلى أمريكا، والحرب الأهلية الأمريكية ونتائجها. ويدخل في تفاصيل محاور القوى الاقتصادية والنافذة التي تحرك السياسات الأمريكية، والتي أثّرت في مجرى التاريخ الأمريكي حتى يومنا هذا.

(الناشر)



بعض طبعات الكتاب

وأيرلندا، الذين يرى أنهم في معظمهم كانوا مهجَّرين أكثر من كونهم مهاجرين، والحقيقة أنه استطاع أن يعيد رسم المشهد الذي اختلطت فيه أعراق وثقافات، مثلما اختلطت فيه دماء البيض والحمر والسود، وإن كانت دماء الحمر والسود أكثر غزارة لأنهم كانوا الهدف الذي اتفق عليه بقية القادمين من وراء المحيط..

لم يضع (فرناو) عناوين لأبواب كتابه ، كما لم يتقيد بعدد متقارب لصفحات تلك الأبواب.

يخيل إليك وأنت تتصفح الكتاب أن المؤلف يحاورك، يستفزك أحياناً، يثير فيك حب الاستطلاع، لكنه ينقلك كما يريد، إن لم أقل يتلاعب بك كما يريد!!

المشكلة التي تواجهك حين تقرأ الكتاب تكمن في أنك لا تستطيع أن تجتزئ منه ما تريد، فأنت ـ شئت أم أبيت ـ مضطر لأن تقرأه دون توقف ودون تفكير في أن تلخصه، وهذا ما جعلني أحجم عن عرضه بادئ الأمر، إذ كلما حاولت أن أتجاهل جزئية من جزئياته أحس أن الأمر لن يستقيم..أنا هنا لا أروج للكتاب، ولا أمدح الكاتب، لكنني أقر حقيقة، وإن كانت تصور مدى عدم قدرتي على عرض هذا الكتاب فإنها ـ في الوقت ذاته ـ لا تعني أن هذا الكتاب عصيّ على التناول..

اخترت أن أتتبع القضايا التي يثيرها، ما دفع بي إلى إعادة تركيب ما يتعلق بكل قضية دون تفكيك النص الأصلي، وهذا يعني ببساطة ضم ما قاله (فرناو) في الصفحة 300 مثلاً إلى ما قاله في الصفحة العاشرة، وهكذا...

الانجليز والفرنسيون وعلم أمريكا

كان لون المعطف الذي ارتداه العسكريون في أمريكا قبل استقلاها أحمر للبريطانيين وأزرق للفرنسيين .. ما علاقة ذلك بالعلم الأمريكي الحالي الذي يتكون من اللونين الأحمر والأزرق؟!

لن أزعم أنني أحلل الكتاب أو أنقده، إذ يكفي القول أنني أحاول تقديمه وعرضه..

❖❖❖

بدءاً من الصفحة الأولى، لا، بل منذ الأسطر الأولى يسفر (فرناو) عن وجهه حين يخبرنا أنه استلم سنة 1945 رسالة من أمريكا كتبتها صديقة قديمة ـ أنا لا أشك في أنها أمريكية ـ بها جملة واحدة:«**أنا احتقر الألمان جميعهم**»، بعد سنوات فكر فرناو في الرد على تلك الرسالة لكن الناشر (والتر كانيت) نظر إليه بجديه وقال: «**كلا، الأمريكيون قوم طيبون في أعماق قلوبهم، وقد أرسلوا لنا طروداً مليئة بالطعام حين كنا جياعاً، فلا تنس هذا أبداً**» (ص 5).

هل كان «فرناو» يدرك أبعاد ملاحظة صديقه الناشر؟! أظنه كان كذلك ..

ذات مرة سأل فرناو صديقة له وصفها بالفوضوية: «**لم تحمّل أذنيها مساء بعد مساء عناء الاستماع إلى موسيقى الأمريكيين، وترتدي قميصاً تزينه كلمة (رايلي) فأجابته: الأمركة عمل من أعمال الشيطان، لكن الشعب الأمريكي طيب**»(ص5).

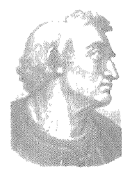
هل أراد فرناو حقاً أن يوهمنا منذ الوهلة الأولى بأنه مقتنع بطيبة الشعب الأمريكي؟، لن أثبت ولن أنفي... ويبدو أنه تنبأ بشعور كهذا لدى بعض قرائه، لذا أوحى لقارئه بضرورة تصديق هذا الأمر بقوله: «**إنه شيء يبعث على الرضى أن نعرف مسبقاً أمراً كهذا، بهذا اليقين نريد البدء بقراءة تاريخ هذا الشعب الطيب**» (ص 6).

حسن، نسلّم ولو إلى حين أنه يعني ما يقول!!

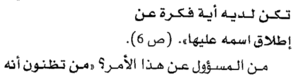
الحق على الألمان و الانجليز

«**نعرف أن أمريكا أخذت اسمها من (أمريجو فيسبوتشي (AMRIGO VESPUCCI)، فهل سأل أحد منا نفسه عن الشخص الذي ألصق اسمه بهذا**

الجزء الطاهر والبريء من الأرض؟»، يتساءل فرناو، ويضيف، «خاصة وأن أمريجو لم يكن مكتشف العالم الجديد، ولم ير أمريكا الشمالية ولو مرة واحدة، وكان - كما يصفه فرناو - كذاباً محترفاً، ولم تكن لديه أية فكرة عن إطلاق اسمه عليها». (ص 6).



أمريجو فيسبوتشي

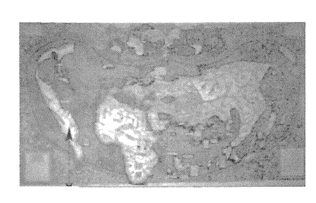


من المسؤول عن هذا الأمر؟ «من تظنون أنه كان؟»، يتساءل فرناو، ويجيب: «إن لدينا نحن الألمان سبباً كافياً لنخجل من ذلك، لأن المذنب كان ألمانيا، ذلك إن الجغرافي (فالديس مولر WALDSE EMULLER) أصدر أول خارطة عن العالم الجديد، وتجاسر في الوقت نفسه فأعطى القارة اسماً، لقد توصل فالديس مولر - يضيف فرناو - إلى خبطة عبقرية هي إطلاق اسم الفلورنسي المشبوه على جزء بكامله من الكوكب الأرضي»، وهنا يتضح أن الحق على الألمان.

وأتساءل أنا دون أن أحمل فرناو تبعات السؤال: هل يحمل المسمّى بعض صفات سميه، أعني: من حمل اسمه؟!

أما القول بأن الحق على الانجليز فإنه «يتجسد في واقعة وجود ولايات متحدة أمريكية، وهي حقيقة نقر بها - يقول المؤلف - للانجليز الذين لو لم يتبنوا فكرة إبادة (الهنود الحمر) فإن أمريكا كانت ستعرف مصيراً مختلفاً كل الاختلاف، وكانت عشرون أو ثلاثون دولة هندية ستحتفل بتحررها من نير المستعمرين»،(ص 7). وبسبب قلة فهم انجلترا للأمور، وامبرياليتها وتهديداتها هي التي أسست الولايات المتحدة الأمريكية...

لن أتتبع تلك الحروب، الكر والفرّ بين القادمين فيما بينهم، وبينهم مجتمعين والسكان الأصليين، وأرى أن (فرناو) اختصر كل ذلك في الإشارة إلى انه



خريطة فالديس مولر، تبدو أمريكا أقصى اليسار

وبينما كان الأسبان يتوغلون في الجنوب كانت أمتان غيرهم تبتلعان القارة في الشمال...

من هم القادمون؟

تكونت المستوطنات الأولى من بضع عشرات من الإسبان الذين كانوا يشعرون أن سفينتهم أنزلتهم على سطح القمر حين كانت تعود خالية دونهم إلى وطنها...

«كان الوقت صيفاً وكانت الأرض التي يقفون عليها - ما عرف لاحقاً بفلوريدا - تغلي، بينما كان الهواء رطباً والمناطق الواسعة داخلها تملؤها مستنقعات، تعلم القوم الخوف في ليالي الوحدة الأولى..» (ص 9-10).

«كانت كل سفينة جديدة تأتي لتلقي بحمولتها من البشر الوافدين الجدد على الشاطئ، وكان الله وحده يعلم لم تفعل هذا أصلاً، وماذا كان يريد هؤلاء؟... ولعل هذا ما كان يريده الملك الاسباني والأميرالات وبناة السفن ورجال الدين وصانعو الكحول و البحارة».(ص 11).

كيف ولدت الإمبراطورية البريطانية؟

في سلام باريس سنة 1763 سلمت إسبانيا فلوريدا إلى انجلترا، وتخلت فرنسا عن كندا ولويزيانا وجميع ممتلكاتها الهندية، وبذلك قامت الإمبراطورية البريطانية. (ص39).

الاسبان كيف كانوا يصلون؟

يصف (فرناو)، السفن التي كانت تنقل أولئك الأسبان «بأنها مجرد صناديق بلا شكل، تهلك عند هبوب العواصف، لأنها مجرد صاريين وجوفين واسعين وأشرعة غليظة، فهي أشبه بغيلان لم يسبق لشعب بحري عاقل في العصر القديم أن يسمح لنفسه بتخيل ما يماثلها، وعندما أراد الإسبان إنزال فوج إلى الساحل سنة 1539 سيروا لهذا الغرض أسطولاً كاملاً لأول مرة في تاريخهم، فبدت سفنه كقطيع من الفيلة جاءت تسبح في البحر». (ص12).

الفرنسيون والانجليز

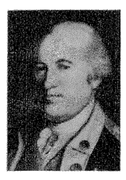
إضافة إلى الإسبان فإن السفن كانت تنقل مهاجرين جدداً دون توقف إلى العالم الجديد، «فقد عبرت مئة وخمسون سفينة فرنسية المحيط في سنة واحدة هي سنة 1578». (ص 13)، «ترى ماذا كان يريد هؤلاء؟» يتساءل فرناو، ويجيب: «إني آسف إذ لا أستطيع أن أقول لكم ما كانوا يريدون بلوغه.. كان معظم الفرنسيين القادمين إلى العالم الجديد من المجرمين الذين التقط الأمير روبر فال المئات منهم من سجون باريس ومعتقلاتها ثم شحنهم إلى أمريكا وأفلتهم هناك، لكنهم كانوا والانجليز في جميع الأحوال بيضاً، وأرفع شأناً من المتوحشين



القادمون من أوروبا

(الهنود الحمر)، وبعض من الانجليز الذين باعوا أنفسهم في أحياء لندن البائسة عبيداً لبعض الوقت مقابل حفنة من المال هي عشرة جنيهات... أما الألمان فقد وصل منهم سبعة عشر ألفاً معظمهم من (هيس)، حملتهم إلى أمريكا سفن حملة عسكرية بريطانية، إلتحق بهم فيما بعد أحد عشر ألفاً آخرين، وقد شحنتهم السفن مباشرة إلى أمريكا لأن دخولهم انجلترا كان محظوراً عليهم». (ص 64) .

الألمان



فردريك شتويبن

وقيّض لألماني أن يغدو رجلاً مصيرياً لدى أمريكا التي أطلقت اسمه على أربع مدن، وتحتفل إلى اليوم بذكراه.. إنه (فردريك فلهلم فون شتويبن Friedrich Wilhelm von Steuben)، هاجر إلى أمريكا سنة 1777، وكسب بسرعة ثقة (واشنطن)، ونقل خبرته الحربية التكتيكية والعملياتية التي اكتسبها في الأركان العامة البروسية إلى جيش الثورة الأمريكية، وطبقها في مواجهة القوات الانجليزية، وإليه يرجع القسم الأكبر من انتصار الأمريكيين». (ص 80-81). ورغم أن فرناو لم يفسح مساحة كبيرة للألمان إلا أنه ذكر جملاً هي كفيلة بوضعهم في مكانة متميزة، وإضافة لما سبق ذكره يضيف أن عدداً لا بأس به منهم قدم إلى أمريكا إبان حكم (مونرو)، وهم الذين عرفوا سنوات جوع مخيفة بعد الحروب النابليونية، وساق في معرض حديثه عنهم كلمات نسبها إلى الشاعر (إمرسون)، حيث نقل عنه ما نصه: «الألمان هم سماد الأرض في أمريكا، إنهم يعبرون المحيط، يزرعون الأرض ثم يرقدون آخر الأمر ليصبحوا هم أنفسهم قطعة من المرج

الأخضر، هذه هي مهمتهم الزراعية في أمريكا»، ويضع فرناو سؤالاً كبيراً: «هل تتصورون أن يقول (بسمارك) مثل هذا الكلام؟» لم أدرك في البداية سبب الزج باسم (بسمارك)، «لم يكن أحد من الألمان يتكلم كلمة إنجليزية واحدة.. انتشروا في بنسلفانيا، حيث سمعوا من جديد أصواتاً ألمانية للمرة الأولى، ورأوا اليافطات والجرائد والإعلانات المكتوبة بالألمانية. أعطاهم ذلك انطباعا أن أحداً ما كان ينتظر قدومهم ... وباستثناء حاكم واحد، كان جميع حكام بنسلفانيا بين سنتي 1808-1839 ألمانيي الولادة»(ص 137 - 138).

حسناً، أهذا كل ما لديك عن الألمان يا فرناو؟ أعرف أنه لن يجيب لأنه غادر دنيانا منذ فترة، وأعتقد جازماً أنه لن يجيب إن كان لايزال يعيش معنا في غرفة الانتظار هذه التي نسميها الكرة الأرضية، لكنني توقفت كثيراً عند إعلان بالألمانية كان يلصق على الجدران حين قدوم الألمان إلى أمريكا نصه: «للمهاجرين الغربيين! إلى أرض يهوه في وادي ديموان...» لن أكمل نص الإعلان لألفت نظر القارئ الكريم إلى عبارة «أرض يهوه»، التي أظن أن (فرناو) تجاوزها متعمداً مع سبق الإصرار، لأنه قال في ثنايا كتابه أن أحداً ما يحرك الماء الساكن حين جره قلمه إلى ذكر اليهود في أمريكا!!.

من ملامح المجتمع الجديد

كان هذا خليطاً من أجناس وشعوب فرّقت بينها في بلدانها الحروب واللغة والسياسة والدين، لكن ما وحد بينها كان أمراً جديداً في أرض جديدة أملاً في

.....وكابوس العالم

لقد صارت أمريكا
كابوس العالم.



توينبي

أمريكا، كابوس بريطانيا.

عندما قامت الإمبراطورية البريطانية كانت تستند على ركائز وطيدة كانت أمريكا أكثرها رسوخاً وولاء واستعدادا لتقديم العون - حسب اعتقاد لندن - التي ما لبثت أن أفاقت من حلمها الجميل على كابوس. (39).

حياة جديدة، ومع ذلك لم ينس (فرناو) أن يعطينا ملامح المجتمع الجديد، يتعمق في إيضاح جذور النزعة الأمريكية، والشعور بالعظمة..

إنه كالعادة في هذا الكتاب يعود إلى الجذور يستكشف الأعماق، ويرى أن التبدل الذي طرأ على نفسية القادمين إلى العالم الجديد كان عبر «(آباء الحج) الشهيرين، وهم قوم جاؤوا ضمن شحنات بشرية حملتها السفن من انجلترا قبل أجيال، لقد فقدوا الشعور بالراحة في موطنهم القديم، لقد توهموا أنهم (أصفياء الله)، كانت حماستهم (الإيمانية الطهورية) لا تحتمل، وما إن نزل الآباء في أمريكا وهم يصرخون: المجد لله، ويجثون على ركبهم حتى أفسدوا الأجواء باستقامتهم المنافقة، كان تعصبهم هو الذي أجّج الصراع ضد الفرنسيين المستعمرين، وبخاصة إنه خالط صفاتهم السابقة حقد ديني جامح ضد الكاثوليك، إنه لأمر مفعم بالأسرار تحار فيه الألباب، كيف تمكن (آباء الحج) هؤلاء من اكتساب شهرة لازمتهم مع أنهم كانوا آنذاك طاعوناً حقيقياً؟! إذا وضعتم هذه الأمور في حسابكم وصلتم إلى محصلة لايزال المرء يحطم اليوم رأسه في محاولة فهمها، إنها جذور النزعة الأمريكية». (ص 24-25).

وفي فترة متأخرة نسبياً، ونظراً لبدء تشكل أو تكوُّن الولايات المتحدة الأمريكية يلتقط (فرناو) مؤشرا آخر على الشعور بالعظمة لدى الأمريكيين فيقول: «صارت الولايات المتحدة الأمريكية تمتد من محيط إلى آخر، وقد شعر كل أمريكي - حتى من كان لا يعرف منهم الواقع الجديد - أنه نما عشرة



حمر الجلود أو الهنود الحمر

سنتيمترات من الداخل، تلك كانت ساعة ولادة الهوس الأمريكي بالعظمة». (ص151).

الحمل و المخاض و الولادة!

حملت القارة الأمريكية الشمالية بين أحشائها أجناساً وأقواماً اتفق معظم المؤرخين على أن أكثرهم كان هارباً أو مهجَّراً أو مطاردا أو أفاقاً أو مجرماً، خليط غريب لا تربط بين عناصره عقيدة ولا لغة ولا ثقافة ولا عادات أو تقاليد أو أعراف..

كان الحمل غريباً في تكونه، ولذا مر بمراحل عديدة: غريبة وخطيرة.. ربما هذا وأكثر، ولذا فإن المخاض كان عسيراً بكل المقاييس، فرحم الشاة لا يحتضن ذئباً، وإن حدث ذلك فلكم أن تتخيلوا نوع المخاض وألم الولادة!! ولن يكون الأمر مستساغاً لا من قبلي ولا من قبل غيري - وأظنكم كذلك - حين نرسم ذلك التصور الموغل في الغرابة، فكيف ستكون الحالة حين نضيف تصوراً آخر أكثر غرابة يمكن اختصاره في أن المخاض كان دموياً، مرعباً أكثر من أي كابوس يمكن تصوره؟ مع علمي المسبق أنه لا أحد بإمكانه أن يتصور الكابوس بقدر ما هو قادر على تصور الأحلام، وما نراه كابوساً رآه القادمون إلى أمريكا الشمالية حلماً وردياً، وكم هي شاسعة تلك المسافة بين الأحلام الوردية والكوابيس التي لا لون لها!! رغم أنها مصبوغة بالألوان غير المحببة كلها..

الهنود الحمر: شعب بلا اسم ولا هوية

(فرناو) تحدث كثيراً عن تلك الأقوام التي أطلق عليها خطأ اسم (الهنود الحمر)، لأنهم لم يكونوا (هنوداً) ولم يكونوا (حمراً)، ومنذ الصفحة العاشرة وحتى الصفحة السابعة والعشرين بعد المائتين يقدم صوراً مأساوية، أحيانا يستمر حديثه صفحات وأحياناً

يقذفنا بجملة واحدة تحتاج صفحات وصفحات إن أردنا تحليلها.. يصورهم أحياناً عتاة، قتلة، متوحشين، سذجاً، متناحرين، وأحياناً يراهم ودعاء، بسطاء، شرفاء، أبطالاً، متحدين، أذكياء، لا يقلون تحضراً عن غيرهم من الشعوب .. ولأننا لا نستطيع تتبع كل ما قاله فلا مناص حينئذ من التوقف عند بعض من كلماته حول تلك الشعوب التي أبيدت من قبل من جاء ليبني حضارة لا تقل تقدماً عن غيرها في أوروبا القديمة، لكن البناء كان بشراسة منقطعة النظير.. فمن هم أولئك البؤساء الذين أرغموا على مغادرة التاريخ والجغرافيا؟!


استقبال القادمين بالترحاب

«الهنود مخلوقات قصيرة القامة، قوية، ترتدي إزارات قطنية وتلف نفسها بدثار ملون ينسدل فوق أكتافها، وقد أحاطت شعرها الأسود المائل إلى الزرقة بباقات من الريش، سودت وجوهها الحليقة ذات العظام الناتئة، ودهنت جلودها الطينية اللون بالأحمر فبدت كأنها حمراء». (ص 10).

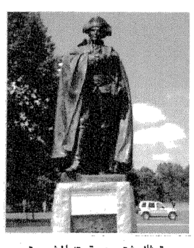
حسناً يا فرناو، من هنا أصبحوا يعرفون بـ(الحمر)، لكنك لم تتطرق للسؤال : لماذا تمت تسميتهم (هنوداً)؟!

«هنود الشمال كانوا صيادين وجوالين وعابري غابات، كما كانوا بدوا نزاعين إلى الحرب، لقد كانوا يعيشون في عدد لا حصر له من اتحادات البطون والقبائل التي ارتبط بعضها بمعاهدات واتفاقات قربى شديدة التعقيد. وكانوا متعادين في غالب الأحيان، ولأنهم كانت لديهم مفاهيم رفيعة وغير مفهومة في الوقت نفسه عن الشرف، فإنه لم يكن سهلا أبدا التلاعب بهم..». (ص12).

«استقبل الهنود الحمر كل القادمين الأوائل بالترحاب، لم يكونوا قلقين، بل كانوا ودودين، يفوق ميلهم إلى حب الاطلاع نزوعهم إلى الخوف، ومع أنه من المستبعد جداً أن يكونوا قد رأوا في الغرباء(آلهة) بيضاء، فقد شاهدوهم وهم يقضون

تاريخ قبعة ..

الألماني (شتويبن) الذي يعود له الفضل في انتصار الأمريكيين كان يرتدي قبعة صيادين قرويين.. قال عنها (فرناو): هذه القبعة كانت تعتبر في القرن السابع عشر قبعة صيد إقطاعية، أما في رسوم (فاسكيز)* فيعتمرها الملك (فيليب وشقيقه دون فرناندو)، ثم غدت طوال مائة وخمسين عاما قبعة فلاحية، قبل أن يحولها إقطاعيو الأرض الألمان في القرن الثامن عشر من جديد إلى رمز لأراضي الفرسان، وقد عاد مكتب عمل الرايخ إلى استخدامها في حكم (هتلر). (هامش ص 82).


تمثال شتويبن وقبعته المشهورة

❖ أظن أن الاسم هو: باثكث.

حاجاتهم البشرية وراء الدغل، الأمر الذي كان إلههم الوثني (مانيتو) لا يفعله قطعاً، كما رأوهم وهم يعانون من ألم الأسنان، وشاهدوا بأعينهم كم كانوا جائعين». (8-9).

لم يحدثنا فرناو عن شيء آخر يخص الهنود الحمر، لم يحدثنا - مثلاً- عن عاداتهم ،عقائدهم، مدنهم، قراهم، خيامهم... كما لم يتطرق لقضية شغلت الباحثين كثيراً ولا تزال، أعني بها الاختلاف الكبير حول أوائل القادمين..

لنترك فرناو قليلاً ونحاول أن نعرف سبباً واحداً على الأقل دفع بالهنود الحمر إلى استقبال القادمين من مشرق الشمس بتلك الطريقة الحميمية. تقول بعض كتب التاريخ أن الهنود الحمر يؤمنون بثلاث عشرة أسطورة هي بمثابة كتاب مقدس لديهم..تتحدث تلك الأساطير عن مجيء آلهة بيضاء من الشرق عبر أمواج المحيط، ستكون مخلّصة لهم من جميع الشرور والخطايا، وكانوا يجمعون قطع الذهب والمعادن النفيسة ليقدموها لتلك الآلهة المقدسة حال ظهورها..

كيف ولد الحزبان الأمريكيان الجمهوري والديمقراطي؟

كان (جيفرسون) يكره (هاملتون) الذي كان يتثاءب لما كان (جيفرسون) يبدأ حديثه، بينما كان الرجل الكبير واشنطن يجلس بينهما ويستمع صامتاً إليهما، لم يكن أولئك الثلاثة يدركون أنهم في جلستهم تلك سيكونون مؤسسي الحزبين السياسيين الأمريكيين : (هاملتون وواشنطن) للحزب الجمهوري، و(جيفرسون) للديمقراطي . (ص 112) .

الحزب الجمهوري شكل في ميتشيغان 1854، وهو اسم كان الديمقراطيون قد أطلقوه على أنفسهم في بداياتهم. (هامش ص152).



إغراءات مقابل الأرض

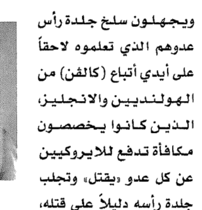
لعل هذا هو أحد الأسباب التي دفعت بالهنود الحمر إلى أن يكونوا ودودين مع القادمين، **«حتى أن القادمين عندما كانوا يشعرون بالخوف ينضم إليهم من يأنس وحدتهم ... كانوا من الهنود الحمر الذين قصدوا المعسكر الذي يقيم فيه أوائل الإسبان القادمين من الشرق، وأحضر لهم الهنود الثمار، وطحين الذرة، وأهدوا لهم زوارق صغيرة، ودخنوا غلاينيهم أمامهم، وأرشدوهم إلى أعشاب تشفي من حمى المستنقعات.** (ص 10).

الحمل و المخاض ..

«لاحظ الهنود الحمر، بعد حين، أن الرجل الأبيض لم يأت في زيارة قصيرة إليهم». (ص11). **«ففي القرن السادس عشر حدث تحول مصيري، فالهنود الذين كان البيض قد بدأوا يبيدون ببنادقهم مناطق صيدهم، تعلموا كره البيض الذي جعل اندثارهم فيما بعد أمراً حتمياً، وحال بينهم وبين إنقاذ أنفسهم، والتحول بسهولة إلى ماسحي أحذية وخدم مصاعد، وبدلاً من أن يتخلوا عن مناطقهم الضائعة بطريقة ليبرالية يغمرها التسامح ويفكروا بطريقة عقلانية، ويسترخوا؛ فقد فعلوا شيئاً يفضي إلى قتل من يواجه جبابرة العالم: آمنوا بحقهم، فهل تستطيعون تخيل شيء كهذا؟».** (ص 14).

أمم ثلاث تتحمل ذنب حدوث ذلك التحول وهي: إسبانيا وفرنسا وانجلترا.

كانت الخطوة الأولى هي الانتشار في كل مكان، والخطوة الثانية دق إسفين الخلاف بين القبائل والشعوب صاحبة الأرض، تناحر الإخوة، تقاتلوا. بريطانيا استخدمت (الإيروكيين)، وفرنسا احتضنت (الهورونيين)؛ وحتى لا أبحر مع (فرناو) في بحار الدماء التي تدفقت وكادت تصبغ كل تراب أرض الهنود الحمر بكامله، بل حدث ذلك فعلاً، أقول باختصار: إنها سنوات الحمل والمخاض، وفيها ولدت الحرب الدائمة بين الإيروكيين المجَبرين على صداقة انجلترا، والهورونيين المكرَهين على صداقة فرنسا، تحولت حرب الغابات البكر الدامية إلى وضع دائم أطلق غرائز قتل لدى (حمر الجلود)، كانوا يجهلونها، هنا ربما يكون (فرناو) قد حاول إطلاق تسمية جديدة على الهنود الحمر، **«أكد المستكشفون الذين توغلوا فيما بعد داخل البلاد أن أولئك الهنود الذين لم يكونوا قد احتكوا بعد بالبيض، كانوا لا يبدون أية علامة على الغدر والقسوة، ويجهلون سلخ جلدة رأس عدوهم الذي تعلموه لاحقاً على أيدي أتباع (كالفن) من الهولنديين والانجليز، الذين كانوا يخصصون مكافأة تدفع للايروكيين عن كل عدو «يقتل» وتجلب جلدة رأسه دليلاً على قتله، كان البريطانيون يقبلون أية جلدة، سواء كانت لرجل أم لامرأة أم لطفل».** (ص 17).




كالفن

لا زلنا في مرحلتي الحمل والمخاض..

يقول فرناو «إن جمعاً من الكهنة كانوا قد قدموا من الجنوب الاسباني الكاثوليكي إلى العالم الجديد» أعتقد أنه يقصد أولئك الذين طردوا الأندلسيين من ديارهم لأنهم «كانوا سادة رفيعي المقام من محاكم التفتيش، لقد قام (شامبلين CHAMPLAIN) برسمهم، كما فعل الشيء نفسه (دوبريس DEBRYS) في تقريره حيث ظهر



رسم متخيل لرجال من حمر الجلود ينتمون لعدة قبائل

أولئك الكهنة في أردية مزركشة، وسترات خيطت بمهارة، وقد علت رؤوسهم قبعات مثنية الحواف، وهم يقفون قرب محرقة يشوى على قضبانها هنود لم يقبلوا الهداية من أجل مجد «الرب العظيم»!! (ص 19).

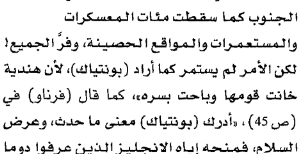
❖❖❖

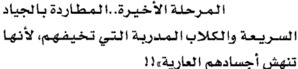
ثورات وإبادة

ثار (حمر الجلود) كما قال (فرناو) ذات مرة.. أسماء عديدة يمكن ذكرها، انتفاضات كثيرة يمكن تتبعها، لكننا نعرض كتاباً ولا نكتب تاريخاً، من بين الأسماء شد انتباهي (بونتياك) ليس لأنه اسم (سيارة) أمريكية مشهورة، بل لأنه اسم أحد قادة (حمر الجلود) **«الذين بذلوا جهداً كبيراً في سبيل استعادة الحق، لقد حقق انجازا هائلاً، فقد انتقضت جميع قبائل البلاد العملاقة بعصبها المريعة.. واستعادت تلك القبائل خلال أشهر صيف سنة 1736 تسعة حصون تقع بين مسطحات البحيرات في الشمال وكاليفورنيا في الجنوب كما سقطت مئات المعسكرات والمستعمرات والمواقع الحصينة، وفرَّ الجميع! لكن الأمر لم يستمر كما أراد (بونتياك)، لأن هندية خانت قومها وباحت بسره»**، كما قال (فرناو) في (ص 45)، **«أدرك (بونتياك) معنى ما حدث، وعرض السلام، فمنحه إياه الانجليز الذين عرفوا دوما كيف يرفعون قبعاتهم لعدوهم العظيم قبل أن يقتلوه في النهاية بيد قاتل مأجور!!»**. (ص 46).

استمر تلاشي (حمر الجلود) لعدة أسباب يصعب حصرها، ويطول ذكرها، لكن لا بأس من أن نشير إلى أنه كان من بينها **«اقتراح تقدم به الجنرال آمهيرست يقضي بتلويث أغطية صوفية بجراثيم وعصيات الجدري قبل« إهدائها» إلى الهنود»**. (هامش ص 45).

وما لم يذكره (فرناو) في كتابه موضوع حديثنا أثبته (يورد جاك) في كتاب بعنوان (العملاق)، الذي تضمن نصائح للقيادات الانجلوساكسونية، ومما جاء فيه: **«إن إبادة الهنود الحمر والخلاص منهم أرخص بكثير من أي محاولة لتنصيرهم أو تمدينهم، فهم همج، برابرة، عراة، وهذا يجعل تمدينهم صعباً، أما الإبادة فإنها تختصر هذا الوقت، ووسائل تحقيق الانتصار عليهم كثيرة، بالقوة، بالمفاجأة، بالتجويع، بحرق المحاصيل، بتدمير القوارب والبيوت، بتمزيق شباك الصيد، وفي المرحلة الأخيرة.. المطاردة بالجياد السريعة والكلاب المدربة التي تخيفهم، لأنها تنهش أجسادهم العارية»!!**





زي ارتداه القادمون

هذا ما لم يورده (فرناو)، كما أنه لم يذكر أن الجمعية التشريعية (البرلمان) لمن يسمون أنفسهم (البروتستانت الأطهار) أصدرت سنة 1703 قراراً بتقديم مكافأة قدرها 40 جنيهاً مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندي أحمر، و40 جنيهاً مقابل أسر كل واحد منهم، وبعد خمسة عشر عاماً ارتفعت المكافأة إلى 100 جنيه!!

هل كان الكاتب الكبير (كليمنصو) مخطئاً حين قال: أمريكا هي التطور من البربرية إلى الانحطاط دون المرور بدرب الثقافة الملتوي؟!

❖❖❖

الأحزاب والدولة

... الأكاذيب والشعارات الدعائية والشتائم والتخرصات الأيديولوجية تصبح حتمية عندما ترى الأحزاب في مؤسسة الدولة أداة سلطة تريد أن تسيطر عليها وتجعلها في قبضتها. (ص 120).

الإنهاء والإنقراض!

عودة إلى (فرناو) الألماني الساخر من تاريخ الشعب الأمريكي الطيب...

لم يوفر أحدٌ جهداً في سبيل القضاء على حمر الجلود، «حتى أن (توماس جيفرسون) حين حلم بأن تصبح أمريكا عملاقاً سيكون أسطورة الإنسان الأبيض، كان يظن أن ذلك لن يحدث إلا بتصفية حساب الهنود الحمر التي عرف في ساعاته السوداوية كيف ستكون وأي أشكال ستأخذ». (ص125).

لم يتوقف الهنود بعد (بونتياك) الذي ذكرناه آنفا عن قتال البيض: بل انتفضوا مرة أخرى - ولعلها الأخيرة - «بقيادة (توكومزين) الأسطوري، الذي كان من الممكن أن يصير (واشنطن الهنود) لو أنه لم يولد في وقت متأخر جداً.. وبعد أن سلب البيض مراعي الهنود وقتلوا حيواناتهم امتلأت نفوسهم حنقاً وغيظاً، وسكنهم خوف مقيم على مصادر عيشهم، وهربوا في رحلة مضوا فيها تحت رحمة بنادق البيض قبل أن يبلغوا (أوهايو) على بعد ألف كيلو متر من موطنهم .. لم يكن ما حدث كافياً، فقد تبع البيض الهنود .. ورغم أن الأرض كانت كافية لهم وللهنود فقد غلبهم الجشع ودفعهم إلى الاستئثار بها وحدهم، فمن كان المالك الأصلي؟» تساءل فرناو، وأجاب: «أصدرت محكمة الولايات المتحدة العليا فيما بعد حكما يقول: إن هندي الأصل ينتمي بالولادة إلى عرق غريب، ولا يستطيع أن يكون مواطناً في ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية!». (ص 139-140).

«أي نوع من القرارات كان هذا القرار الذي أمر المقاتلين بحمل بنادقهم وأخذ سهامهم وأقواسهم، ومغادرة أرضهم؟ فإلى أين يغادرون، ومن يقاتلون؟». (ص 140)، تساءل (فرناو) ولم يجب، يبدو أنه سئم الإبحار في مأساة (حمر الجلود)، ولذا نجده يقترب رويداً رويداً من إنهاء شعور قرائه بالألم، يبدو أنه كان يريد ذلك، في خاتمة أحاديثه المتقطعة والمبثوثة في كتابه. يقول بشيء من الألم وقليل من الأسى، في نبرة لا تخلو من الأسف العميق، ممزوجة جيداً وبإحكام بما لانهاية له من التهم الموجهة نحو البيض.. يقول (فرناو)، بعد أن يتساءل عن وضع الهنود الحمر «لقد أزفت ساعة معاناتهم، لا تتنهدوا يا أصدقائي، إنني أتحدث عنهم للمرة الأخيرة ..». (ص200)، لم يفعل ذلك باختصار، أفرد لهم تسع صفحات كاملة مليئة بالألم والإدانة والإشفاق على الضحية وعلى الجلاد، ليس من السهل اختصار ما قال، لأنه من الصعب اختزال الأحاسيس والمشاعر، خاصة منها المليئة بالدماء والدموع والضحايا ..

لم يكن أمامي غير اختيار بضعة أسطر من تلك الصفحات التسع.. «وصلت فرقة من الجنود المدنيين الكسالى إلى الشمال، طرح قدومهم

نجوم أم جماجم ؟!


مارك توين

عندما اقتربت انتخابات سنة 1901 قضت ثرثرة المرشح الديمقراطي (براين Brayn) اللعينة حول الامبريالية على فرصته في مواجهة (ماكنلي)، عندها كتب (مارك توين): «على الولايات المتحدة أن تستبدل نجوم علمها بجماجم القتلى»، علق (فرناو) على ذلك بقوله - ربما ساخراً - «لا يجوز للمرء أن يكتب أشياء كهذه، فهي ببساطة، غير لائقة!». (ص246). لكن (مارك وفرناو) ربما نسيا أنه إن تم تطبيق هذا المقترح فإن الولايات المتحدة ستحتاج إلى علم بحجم الكرة الأرضية وربما أكثر حتى تستطيع أن تضع اقتراح (مارك) موضع التنفيذ!!.

مشكلة جديدة، هي: إلى أين يذهبون بهم؟ كان (الكونجرس) يعرف الجواب: يجب تكليفهم بحل مشكلة الهنود حلاً بيولوجياً نهائياً، فقد صاروا (أي البيض) بحاجة إلى آخر بقعة صغيرة من الأرض، وقد نطق (تيودور روزفلت) في فترة لاحقة بالجملة الفظيعة التالية: لو تركنا للهنود أراضي الصيد الخاصة بهم لوضعنا قارتنا تحت تصرف همج قذرين متوحشين، لذلك لم يبق أمامنا خيار غير إبادتهم. وأود أن أذكركم أن (تيدي روزفلت) حاز على جائزة نوبل للسلام سنة 1906». (ص 199-200).


تيودور روزفلت

تساءل (فرناو): أمازال للهنود بقايا في أمريكا، ولو كانوا قلة قليلة؟ كيف هي أحوالهم؟».. ثم تتبع مسيرة بقايا ذلك الشعب الذي كان يعد بالملايين فإذا به يصبح آلافاً قليلة، وفي فترة قصيرة لم يزد عن المئات، حتى الحيوانات لم تسلم من المطاردة والقتل، «الثيران البرية - التي كانت بالنسبة للهنود الحمر كل شيء، فهي غذاؤهم وكساؤهم - لم تأت معهم، بل نزفت دماؤها في البراري بعد أن قتل منها ثلاثة ملايين ونصف المليون.. كان الهنود يموتون جوعا.. كتب (كارلتون) يقول: إن طرد شعب بأسره من أرض آبائه وأجداده ليس مسرحية فحسب، بل هو عمل آسر. وتنسب إلى (شيرمان) زعيم الحرب جملة قالها كقائد أعلى للحرب هي: كلما ازددت معرفة بحمر الجلود هؤلاء ازددت قناعة بوجوب قتلهم جميعاً». (ص 200-202).

الرصاصة الأخيرة ضد شعب بأكمله

وضع من بقي من حمر الجلود على قيد الحياة في معازل مغلقة، كانوا يموتون جوعاً، «وفي مرحلة أخيرة ساق البيض أفراداً من (السيوكس)، كما يساق قطيع من الطرائد، لم يكن البيض عابئين بعقل ولا إنسانية، كانوا يطلقون الرصاص عشوائياً على نساء الهنود الحمر وأطفالهم دون تمييز ولا اكثراث، لاحق البيض أولئك التعساء حتى كندا. فعبروا الحدود وجروهم إلى داخل أمريكا ليعدموهم». (ص 203).

في هذه المحنة الأخيرة أنجب الهنود من جديد قادة حفظت الذاكرة أسماءهم، يشبهون (تكومزين) في زمنه، «لكنهم ماتوا جميعاً ميتة بائسة.. وصدر في سنة 1862 مرسوم ضد الأباتشي الذين أرادوا مغادرة معزلهم، يقول نصه الحرفي ما يلي: يقتل محاربو (الأباتشي) حيثما تم العثورعليهم. في عام 1804 انقرض (الشايين)، أو كادوا، وفي سنة 1877 أبيد هنود (إلنه برسي) الذين لم يكن قد بقي لهم غير الخرق التي كانت تستر سوءاتهم وهم في طريق الهرب إلى كندا، وفي عام 1890 كانت مجزرة

ليس ثمة شعب اشترى واستعبد ملايين البشر من السود، وذبح في قرنين مليون هندي أحمر، لم يكن لشعب أن يفعل هذا إلا عندما يكون مصاباً بالجنون.

لقد هلل (والتر وايتمان)، أحد أعظم شعراء أمريكا الكبار قائلاً: «إن ولاياتنا المتحدة هي أكمل قصيدة». (ص 206 - 207).

الاقتصاد

على الاقتصاد أن لا ينتج فقط السلع، بل كذلك المشترين، لا مفر إذن من إغواء الناس، هذه القطعان من الخراف، لحملهم على إنفاق ما لهم على أشياء لا يحتاجون إليها. (ص 290) .



هل هم حقا ابناء حمر الجلود؟

(ووندد ني WOUNDED KNEE) التي انقضت خلالها فرقة الفرسان، سيئة الصيت، على معسكر (سيوكس المينكونجو) حيث استسلم الهنود الحمر دون مقاومة وسلموا سلاحهم، لكن عسكر أمريكا حصدوا - في واحدة من أشهر أحداث (سوء التفاهم المؤسفة) - الرجال والنساء والأطفال ببنادقهم.

يخبرنا (دي براون) DE BROWN أن عساكر أمريكا مددوا المصابين بجراح خطيرة. لا ننس أننا نتحدث عن واقعة تمت في اليوم الرابع من عيد الميلاد - وهم أربعة محاربين وسبع وأربعون امرأة وطفلاً على أرض كنيسة تزين مذبحها أغصان السرو ومنديل كُتبت عليه الكلمات التالية: على الأرض السلام وفي الناس المسرة»!!. (ص 204 - 205.

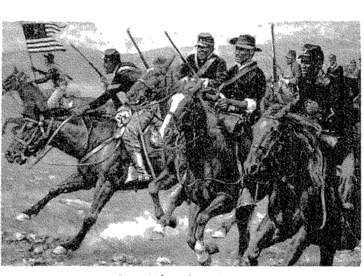
تساءل فرناو: «ماذا أراد البيض؟ وما الذي كان يحركهم؟ كيف ينفلت الناس ويطلقون العنان لوحشيتهم، بعضهم على بعض، دون رقيب ولا حسيب، كما حدث في ذلك الوقت في أمريكا؟ (ص 203). وكان قد تساءل قبل بضع فقرات: «بالله ماذا أصاب الأمريكيين؟ هل اجتاحهم شيء يشبه الحمّى أو مرض سار؟!».

أحس (فرناو) بشيء ما يختلج في صدره وهو ينهي هذا الفصل من كتابه موضوع حديثنا، وكأني به يفر من التاريخ ليحلق بعيداً، بعيداً جداً وهو يصرخ بصمت: «لا أستطيع فهم من يبيدون البشر دون سبب أو كره، بل دون نفحة من جنون، أمة بكاملها. لقد سقط (الإنكا) و(الأزتيك) ضحايا هجمات تشبه كوارث الطبيعة، وكأنها انفجار بركان. لكن الهنود مسحوا مسحاً عن وجه الأرض؛ مسحتهم أحقاد عقول تنتمي إلى عرق بشري يمر في طور تحول»، وحتى يصمت عن القول المباح قال بمرارة: «ليس المعذبون هم من يلحون هذه المرة على قلبي، بل هم المتنصرون، الذين لا يزال يوم القيامة في انتظارهم جميعاً». (ص206).

من حمر الجلود إلى العبيد السود

ذلك بعض ما كان من أمر حمر الجلود، فكيف ياترى هي الحال بالنسبة للعبيد السود؟!

للمرة الثانية ألفت نظر القارئ الكريم إلى أن (فرناو) لم يكن مضطراً على ما يبدو إلى ترتيب القضايا، فهو يقول ما يريد متى يريد وكما يريد، فإذا كان قد عرض بعضاً من أحداث ومجريات حمر الجلود منذ الصفحة العاشرة حتى الصفحة مائتين وسبع وعشرين فإنه فعل الأمر ذاته بالنسبة للعبيد



فرق الفرسان سيئة السمعة

السود، ولذا لا مفر من تتبع تلك المأساة بدءاً من الصفحة 20 وحتى الصفحة 285، لعلكم تقولون: هذا كثير، إنه فعلاً كثير، لكنه أيضاً مثير..

الإسبان وراء تجارة العبيد

(لاس كاساس) إسباني عاش في القرن السادس عشر، وصفه (فرناو) ساخراً بـ(العبقري)، لا لشيء إلا لأنه وجد حلاً لورطة نقص اليد العاملة في أمريكا، فمن هو (لاس كاساس) هذا؟

«دخل التاريخ قديسا يستحق أن يدرج بين قديسي الكنيسة الأربعة عشر، سيما وأنه كان من (رجال الله)، ـ الوصف لفرناو ـ كان صاحبنا في أول أمره رجل قانون مكنته معارفه من التمييز بين الحق والباطل، شأن قضاتنا الآن ـ الرأي لفرناو أيضاً ـ ثم دخل، وقد وعى رسالته العليا في (أخوية الدومينيكان)، وكانت مشهورة بقدرتها على التخلص من الكفرة والمسحورين بالقتل، وبمعرفتها الدقيقة بما (يرضي الله)، ثم ارتقى فيها إلى مرتبة أسقف، ما جعله أهلاً لأن يعرف بدقة (ما يرضي الله وما يغضبه)، شأن الكهنة السامين في أيامنا هذه ـ مؤكد أنكم تدركون أن الكلام لفرناو ـ وقد كان في دم الأسقف شيء جعله ينجذب إلى العالم الجديد، حيث رافق أبوه (كولومبس) دون أن يلقى حتفه ... تذكر كيف حل



سادة الأمس بؤساء اليوم

قبل عشرة أعوام بواسطة العبيد السود مشكلة العمل في مزرعته الخاصة، وقرر حل المأزق الأمريكي بالطريقة ذاتها، وإن كان الأسلوب أكبر ... أعطى البابا مباركته وفرح من أعماق قلبه .. نجحت الخطة نجاحاً رائعاً في البداية، وكان منفذوها قد حازوا خبرة سابقة في (ساحل العاج)، حيث كانوا يداهمون قرى الأفارقة السود ويحرقونها، ويقتلون من لا نفع منهم من أطفال ونساء وشيوخ، ويأخذون

كو كلوكس ـ كلان Ku-Klux-Klan

بدعوى حماية أنفسهم أسس البيض عصبة سرية أسموها (كو كلوكس كلان)، وهو اسم اكتسب رنيناً سيئاً في العالم، لأنه صار الاسم الرديف للحقد العنصري، اختفت هذه العصابة سنة 1877، وأقام (كارل ماي Karl May) الشاهد الناطق على طيبة القلب الألماني نصُبَ عار لهم في رواية (فينيتو الثاني II Winnetou). (ص192، 193)، انتعشت هذه العصابة من جديد في بداية القرن العشرين، خاصة في الجنوب، ومن بين أعمالها ما أقدم عليه البيض في (ليفرمور Livermore) حيث ربطوا رجلا أسود متهما بجريمة قتل إلى عمود على منصة مسرح ورموه بالنار في حضور المشاهدين، فأطلق السادة الجالسون في المقصورات ست رصاصات عليه، بينما كان نصيب القاعدين في القاعة رصاصة واحدة فقط. (ص 285).

الصحيح الباقي ليشحن بين الأحمال وصناديق الحيوانات في بطون السفن المنتظرة التي كانت تفرد أشرعتها وتبحرنحوأمريكا .. كانت هذه التجارة تدرعلى أربابها أموالاً طائلة». (ص21 ـ 23).

«كل إسباني هو (كابايرو Caballero) فارس، على الأقل فارس صغير، فالعمل ينجزه السود المستعبدون مدى الحياة، والسفن تجلب كل سنة أكثر من خمسمائة ألف منهم». (ص30).

بؤس وألم وحزن ومعاناة

حسناً يا (فرناو)، بدأت السفن تنقل هؤلاء البؤساء، أو تشحنهم، كما أحببت أن تقول، ثم ماذا بعد؟ كيف كان أولئك السود؟ مشاعرهم، أحاسيسهم، أيامهم، لياليهم، أطفالهم، نساؤهم، طموحاتهم، أحلامهم، إن كانت لهم طموحات وأحلام؟!

يقول بأسلوب يشبه التخمين: «ربما كان الحزن صفة عامة لهم، وكان الصمت طابعهم، لكنهم كانوا بارعين، وقبل كل شيء مطيعين.. كانوا يسكنون أكواخاً متتابعة لا يزعجهم فيها أحد، وكانوا يتزوجون وينجبون أطفالاً كما تتزوج العصافير في أقفاصها وترزق فراخاً، وكانوا يغنون أغنياتهم الحزينة .. ماذا كان الأفارقة السود يغنون حين كانوا يجلسون عند الغسق أمام أكواخهم وينظرون إلى السماء؟ لا أعرف، يقول فرناو، لقد كانت أغنياتهم غامضة غريبة ورتيبة ومليئة بالحزن والشكوى».

وكيف يا ترى كنت تتوقعها يا (فرناو؟!).

«لم يكن رجال البعثات التبشيرية يحبون الاستماع إلى أغاني السود، لذلك كانوا يعلمونهم التراتيل المسيحية ... وقد حدث أن رفض بعض السود الإيمان (بالرب الكاثوليكي الطيب) بعناد شديد، وعندما كانوا يبلغون واحداً بعد آخر قامة الغوريلا، ويكسرون أسنانهم من الغل والغضب، وجب عندئذ التدخل، ووجب عقاب أمثال هؤلاء بعقوبات قاسية جداً، تصل إلى درجة القتل، على



هل أصبح العبيد مسيحيين سعداء؟!

الأقل من أجل شرف (الإرادة الإلهية) ، رغم أن هذا كان يعني خسارة مالية كبيرة ... كان العبيد يتحولون إلى تقاة متحمسين، رغم أنهم لم يصيروا مسيحيين سعداء». (ص30 ـ 31).

تكبر مأساة السود بتكاثرهم، بينما تكبر مأساة حمر الجلود بتناقصهم! هذا ليس أمرا مسلما من كل وجوهه، لكنه حدث على أية حال.

استراحة مع الصراعات

صمت (فرناو) عن السود طويلاً .. فمن الصفحة الحادية والثلاثين حتى الصفحة السادسة والثلاثين بعد المائة غرق في صراعات البيض فيما بينهم، وصراعهم مع حمر الجلود، تحدث كثيراً عن الاتحاد والوحدة والانفصال والحروب والمفاوضات، لكنه عاد إلى العبيد السود ليتابع ما انقطع من حديث، إلا أنه ظل مشدوداً بخيط رفيع إلى بدايات إحضارهم، كان (لاس كاساس) صاحب الوجوه المتعددة يسعى إلى حل مشكلة زراعية اقتصادية حين فكر في جلب الأفارقة، وكبرت مأساتهم فيما بعد لأسباب زراعية واقتصادية .

كان استقدام العبيد السود واجباً أو مهماً أو ضرورياً حين «بلغت المزارع ضواحي المدن واحتلتها، محدثة انقلابا تاما في الحياة أدّى إلى إقامة مخازن هنا وهناك، ونصب آلات، واستقدام العبيد السود». (ص 136).

السود وراء شهرة لينكولن !

لم يكن لـ(أبراهام لينكولن) أن يصبح مشهورا يحتل مقعدا في الصفوف الأولى من المشاهير لو أنه لم يمتط ظهور العبيد السود!. في القرن التاسع عشر كان عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة وعشرين مليوناً، بينهم أكثر من ثلاثة ملايين عبد أسود، السيد (لينكولن) خطب ذات مرة وقال:« **لست الآن، ولم أكن في أي يوم مع تحقيق أي شكل من أشكال المساواة السياسية والاجتماعية بين العرقين: الأبيض والأسود، ولست الآن، ولم أكن أبداً مع إعطاء السود حق التصويت أو حق الانتماء إلى هيئة محلفين، ولست كذلك مع السماح لهم بتولي مناصب عامة، أو بالزواج من بيض، وأود أن أضيف إلى ما قلته: إن هناك فارقاً فيزيولوجياً بين العرقين: الأبيض والأسود، سيحول دوماً في رأيي بينهما وبين العيش معاً على أساس المساواة السياسية والاجتماعية**». (153-154).

بعد هذا النص كيف يمكننا أن نغير ما درجنا على سماعه من أن (لينكولن) كان وبجدارة محرر العبيد في أمريكا؟!

من أين جاءت إذن هذه القناعة؟ هل غيّر لينكولن قناعاته؟، هل فاجأته صحوة ضمير فأصبح قلبه رقيقاً ورفض أن يستمر السود رقيقاً؟! إن سيلا جارفاً من الأسئلة لن يضعنا على شاطئ الحقيقة، اللهم إلا إذا أقدمنا على دراسة وتحليل الفترة التي سبقت ورافقت ظهور السيد (لينكولن) .. وهذا ما لا أريد الغوص فيه، لأنه سيجرني - كما حدث مع (فرناو) - إلى الغرق في الخلافات والصراعات التي دارت بين الأمريكان الجنوبيين والشماليين، وهو الصراع الذي نشب بسبب الصراع على امتلاك القوة الاقتصادية.

ما الذي يريده السيد (لينكولن) حقاً؟ هل كان مؤيداً للعبودية انطلاقا من أن بين السود والبيض فوارق فسيولوجية؟! هل كان مع تحرير السود؟! أم أنه كان يمارس لعبة خاصة به؟! يبدو أن القضية برمتها كانت أكبر منه بكثير، ويبدو أننا عشنا وهماً كبيراً حين اقتنعنا بأنه كان المناضل والداعية إلى تحرير السود من رق العبودية!.

القطن محرر السود ،
وليس السيد لينكولن!!

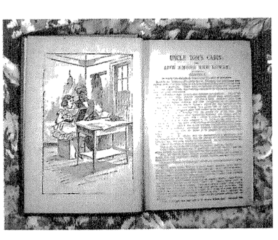
القضية برمتها تتعلق بهموم اقتصادية لولايات الشمال، استهدفت وقف أعمال الجنوب المزدهرة بفضل القطن. كان الشمال ينتجه أيضاً، لكن المستورد من الجنوب كان الأفضل نوعاً والأعلى ثمناً.. وبسبب القطن كاد الجنوب أن يتحول إلى قوة اقتصادية جديدة في أمريكا.. انتشار زراعته في الجنوب ونجاحها كان بسبب العدد الكبير من العبيد



غلاف (كوخ العم توم)

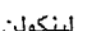


هاربيت بيتر ستوس



(كوخ العم توم) بالإنجليزية، طبعة سنة 1900

السود العاملين في تلك الحقول، وهي خاصية يفتقدها الشمال، تلك كانت المسألة الحاسمة والتي كانت السبب الكامن وراء بروز قضية السود.. «**نجحت (ولايات الشمال) في دفع الكونجرس إلى اتخاذ قرار يضع حداً لانتشار العبودية**



لينكولن

جعل خط عرض 36,6 أو الحد الجنوبي لولاية ميسوري الحاجز الذي لا يجوز للعبودية تجاوزه. (ص 155). **إثر ذلك» طالبت كانساس ونبراسكا، الإقليمان الجديدان اللذان تميزا ببنيتهما الزراعية وسكنهما عدد قليل من البيض بحق اتخاذ قراراتهما بنفسيهما حول العبيد..** (من هنا بدأت كرة الثلج، ومستعظم النار من مستصغر الشرر) **أطلق الشمال العنان لآلته الدعائية، وكتبت السيدة هاريت بيشر ستوس** (HARRIET BEECHER.STOWES) **ذات القلب الرقيق** - الوصف لفرناو - **وزوج الكاهن، والجاهلة إلى درجة تثير الانفعال، كتبت (كوخ العم توم) وهي رواية عن السود، حققت رواجاً كبيراً في نصف العالم، وفجأة، رأى الناس (العبيد الفقراء) يعيشون تحت السياط مقيدين بالأصفاد، أو تنهشهم الكلاب».** (ص 156).

دخل هنا لينكولن على الخط، وألقى خطبة اشتهرت وذاعت، قال فيها: «**إن بيتاً منقسماً على نفسه لا يستطيع البقاء... أعتقد أن نظامنا الحكومي لن يقدر على البقاء، لأنه نصف مؤيد للعبيد ونصف معاد لهم ...**» جاء الرد سريعاً، وكان له وقع الصاعقة! فقد أعلنت كارولينا الجنوبية انسحابها من الولايات المتحدة الأمريكية!» كرت حبات المسبحة، «**فقد غادرت الاتحاد ست ولايات أخرى، هي: فلوريدا وجورجيا وألاباما والميسيسيبي ولويزيانا وتكساس، وأسست (ولايات أمريكا المتحدة)، كانت الكارثة تأخذ طريقها ... اتجهت أنظار الجميع إلى لينكولن، الفظ ذي المظهر الهازئ دائماً** - الحديث لفرناو - الذي وقف بهدوء وقال كلمات تستحق التأمل، لم تنل حقها من الشهرة لأنها محرجة إلى حد كبير، قال لينكولن: «**لا أنوي التدخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة في مؤسسة العبودية، حيث هي قائمة**». (ص 158). وكرت حبات المسبحة مرة ثانية «**كارولينا الشمالية وفرجينيا وتنسّي انضمت إلى المتحدين**». (ص159).

أبحر (فرناو) بعيداً عن السود، سبح كثيراً بين الشمال والجنوب في محاولة منه لاستكشاف ما يجري، ورغم أن القطن كان السبب الرئيس إلا أن أصوات طبول الحرب طغت على حفيف شجيراته ... عاد (لينكولن) مرة أخرى ليمتطي هذه المرة صهوة الوطنية عندما أحس أن طريق العودة قد أغلق تماماً، عاد ليقول: «**إن هدفي هو إنقاذ الإتحاد وليس حماية العبودية أو القضاء عليها، إذا كان باستطاعتي إنقاذ الوحدة دون أن أحرر عبداً واحداً، فإنني لن أتردد في فعل ذلك**». (ص 164). «**طبعاً** - علق فرناو - «**ليذهب السود إلى الجحيم**». (ص 158). لقد تمردت عدة ولايات، وكانت تلك مشكلة لا يمكن تجاهلها.. السبب كان نشاط السود المستبعدين والذي أدى إلى نجاح الجنوب في زراعة القطن وتسويقه، ما أدى إلى إلحاق الأضرار بالشمال، ومنذ متى كان الشمال واسع الصدر ويتقبل الهزيمة بروح رياضية؟ «**لقد كان واضحاً منذ أمد طويل أن الصناعة ورأس المال الكبير في الشمال يريدان خنق (الملك القطن) ... كان رأي شارع المال في الـ(وول ستريت): نحن نريد تحرير العبيد الفقراء**». (ص 163-164).

السياسة أحياناً تكون لصالح العبيد

انطلقت الرصاصة الأولى ... دمر الجنوب، هدّمت المباني، ضربت المدن، أحرقت القرى والمزارع، قتلت الحيوانات.. ولكن أين هم السود في هذه الحرب وأين السيد (لينكولن) من ملايين السود؟ يقول المؤرخون إنه أصدر في شهر يناير سنة

1863 رسالة لها قوة القانون تعلن إلغاء الرق في الولايات المتحدة الأمريكية.. هذه خطوة تحسب له أم تحسب عليه؟! ربما هو سؤال غريب، لكن الغرابة ستتلاشى حين ندرك كما قال (فرناو) أن ما أقدم عليه لينكولن كان « **نقلة شطرنجية، أراد من خلالها لينكولن عدم تصدي القوى الأوروبية للشمال الأمريكي الذي أثبت من خلال رسالة - ليس إلا - أن شمال أمريكا على قدر كبير من الإنسانية والروح المسيحية**». (ص 173). إضافة إلى ذلك فإن لينكولن ربما كان يسعى دون تصريح واضح إلى إرضاء (وول ستريت)، يستدرك (فرناو) ويقول: « **أعترف أن أمراً كاد يفوتني، وربما يفوتك أنت أيضاً قارئي العزيز، هو كلمة (دول الجنوب) في إعلان لينكولن (يشير إلى إعلان تحرير العبيد) أية سخرية وأيّ هزء أن يكون تحرير السود لا ينطبق على عبيد دول الاتحاد التي لم يكن عددها قليلاً مثل كنتاكي وماريلاند وديلاور وميسوري، إن هؤلاء العبيد، الذين كانت لدى لينكولن السلطة اللازمة لتحريرهم قد تركوا في الأغلال**». (ص 174).

إلى أين؟

«**أصبح الجنوب مدمراً ومقفراً، وذلك كان أمراً مقصودا**» انتهت مزارع القطن، وهو ما كان الشماليون يريدونه بأي ثمن، كان المعلن: تحرير السود، بينما كان المضمر إفقار الجنوب الذي ساهم السود في ازدهاره، ألا ترون أن العلاقة بين الشمال والجنوب لم تتبدل؟ ولا أظن أنها ستتغير، بعد إحراق وتدمير مزارع القطن، «**إلى أين يجب إرسال ملايين السود (المحررين)؟**» تساءل (فرناو)، هنا اختفى السيد (لينكولن)، فقد ضمن له مقعداً في الصفوف الأولى التي يجلس فيها المشاهير بمجرد إعلان كان ظاهره إنساني التعبير وكان في باطنه عدائي النزعة.. تحرر السود من العبودية! هل كان ذلك أمراً حقيقياً؟ «**كان العبيد السابقون يقفون أمام المزارع المدمرة وقد خلت نفوسهم من أي شيء غير الإحباط والتعاسة، إذ لم يبق لهم ما يفعلونه غير إمساك أيدي زوجاتهم وربط أطفالهم على ظهورهم والهجرة إلى محرريهم في الشمال، في حين انصرفت القلة التي تمكنت من البقاء من جديد للزراعة**». (ص 182-183).

> بعد خمسين عاماً من ولادتها بدأت أمريكا أسفارها رافعة شعار: «الحديد أقوى من الدم، والذهب أقوى من العَلم». (ص 173).

رحلات الألم

سأنقل فيما بعد صورة رسمها (فرناو) للسود وهم يغادرون إلى الشمال، إلا أنني أتمنى أن تقارن تلك الصورة بما يحدث اليوم للأفارقة الذين يحاولون العبور إلى الشمال، يقول: «**دفع السود إلى الماء، إلى المجرى الوحشي للصراع الأمريكي من أجل الحياة، رغم أنهم كانوا لا يعرفون السباحة، فغرقوا إلى أعماق أكثر من تلك التي سبق أن بلغوها من قبل، وتحولوا إلى منبوذين لطالما أغلق الشماليون أنوفهم تقززاً منهم**». (ص 183).

تصوروا ما كان وما يجري، وأضيفوا الصورة التالية لما سبق، «**السود الذين قصدوا الشمال بأسمالهم وأكياسهم، ابتلعت المصانع جزءا منهم، أما جزؤهم الثاني - وهو الأكبر- فقد شكل مدن صفيح تمنى البيض أن يطردوهم منها بالسوط**». (ص 187). وعندما حاول الشماليون تقديم المساعدة للسود «**كانت النقود التي رصدت للعون قد ضلت الطريق إلى الجيوب الخطأ**». (ص 191).

يبدو أن (فرناو) قد سئم هذه المأساة، أحس به وهو يسطر كلماته الأخيرة حول هؤلاء البؤساء، صحيح أنه لم يعامل العبيد مثلما حمر الجلود الذين أفرد لوداعهم صفحات عديدة متصلة إلا أنه لم يبخل على السود حين ودعهم في جمل متناثرة عبر

«ثمة زعم هنا (أي في أوروبا) يقول إن إرادة الشعب المتحققة بصرامة تقنع كل واحد أنه صانع سعادته. وهو زعم خاطئ بجميع المقاييس. فعندما تفرض إرادة 51٪ من المواطنين نفسها، يكون السماح لـ 49٪ الباقين بالانتخاب مجرد عزاء باهت». (ص 101).

صفحات متباعدة، «استمرت مأساة العرق الأسود، **وتحولت بعد مائة سنة إلى مادة متفجرة في العالم بأسره. تبدو وكأنها انقلبت اليوم إلى مأساة للعرق الأبيض. ألم نبدأ نرى السوط تمسك به يد الملونين؟**». (ص 183). وضع السود هنا يختلف عن وضع حمر الجلود، حيث نلمس من كلمات (فرناو) أن السود بدأوا يمسكون ببعض مواطن القوة، ربما، لكنهم حينما يعودون «**بعد عناء يومهم إلى مقارهم التي يحولونها من جديد إلى مايشبه قرى الهنود الدائرية المغلقة، حيث يرقصون ويهتزون ويغنون، ويضربون الطبول وينفخون في الأبواق، وتسمى الصحف هذا الأمر لأول مرة: جاز JAZZ**». (ص 227).

❖❖❖

لم يكن مصير حمر الجلود يشبه ما آل إليه العبيد السود في أي جانب من جوانبه، لكن (فرناو) أبى إلا أن يجمعهم في جملة غاضبة قوية حين أراد أن يتخلص ويخلصنا من الغرق في مأساة لم تنته فصولها: «**ألا يبين هذا أن الهنود والسود كانوا سينجون لو أنهم لعقوا حذاء المنتصر وأقروا أنهم حشرات؟**». (ص 205).

من المذنب يا (فرناو)؟!

ليس هذا عنواناً غريباً. إنه محاولة لإيضاح أمر مهم للغاية تناوله (فرناو) في كتابه كله تلميحاً، إلا أنه في الحقيقة لم يجد بدا من قول ذلك. لقد احتاج



السود في أكواخ الصفيح

إلى مايقرب من مائة صفحة ليقول ما حاول أن يهرب منه.. حاول (فرناو) في الثلث الأول من كتابه الذي لا بأس من أن أذكركم بعنوانه (**رحمتك يا الله...**) تبرئة الأمريكيين علناً من المذابح حين تساءل وأجاب في الوقت نفسه: «**من حمل وزر مذابح الهنود؟ الانجليز. من خاض المعارك؟ بريطانيون ضد بريطانيين. من جرجر مئات الآلاف من العبيد إلى هنا؟ البريطانيون. لقد حدث هذا كله قبل وجود الولايات المتحدة التي كانت رايتها نظيفة لا يلطخها عار**». (ص 95).

لا أدري حقيقة ما الذي يرمي إليه (فرناو)، خاصة وأن عددا من الباحثين والمؤرخين أكدوا أن ملف أمريكا مع الهنود الحمر والشعوب الأخرى ليس هو الأشد بشاعة، بل أضافوا إلى ذلك ملفها مع طبقة العبيد الذين تم استيراد الملايين منهم لخدمة الشعب الأمريكي، فتحول رعاة البقر إلى بحارة يجوبون السواحل الأفريقية لاصطياد (العبيد) وحشرهم في سفن الشحن، وقد جلب الأمريكيون أول الأمر ملايين الأفارقة المسترقين في الأصفاد، فقد صدر عن منظمة اليونيسكو عام 1978 تقرير يصور فظاعة ما حصل للأفارقة، وهي الكارثة التي حلّت بهم من أجل تعمير أمريكا!، وتذكر التقارير أن ما لا يقل عن خمسة وعشرين مليوناً من الأفارقة الذين تم شحنهم من أنحاء القارة في أفواج من جزيرة (غوري) الواقعة في

مواجهة العاصمة السنغالية دكار قد هلك أكثرهم قبل أن يصلوا إلى العالم الجديد.. يبدو أن (فرناو) لم يطلع على تلك التقارير التي صدرت قبل وفاته، أو ربما قرأها وتجاهلها.. ولو أنه كان حياً عام 2000 لاكتشف أن الأمريكان قد استفادوا من صك البراءة الذي منحهم إياه، حيث أحبطوا في مؤتمر (دوربان) مطالب الأفارقة بالتعويض عما حدث لهم، بل رفضوا تقديم مجرد اعتذار...

لم يشأ (فرناو) أن يؤخذ عليه أنه برأ الأمريكيين حيث أثبت مسئوليتهم بشكل غير مباشر لكن ذلك لم يجد نفعاً، إذ كلما حاول الابتعاد عن إطلاق حكم واضح وصريح تخذله عزيمته، ويفلت منه إصراره على التبرئة، وتنفلت الكلمات منه لتعلن ما يعتمل في قلبه ولا أدري إن كان ذلك رغم أنفه أم لا؟!

الرجال الخمسة
يكتبون الدستور الأمريكي

الولادة!

رددنا كثيراً فيما سبق (الحمل والمخاض)، ويخيل إليَّ أننا مجبرون على أن نضع حداً لتلك الآلام، ونفتح نافذة الآمال، ونتحدث عن الولادة..

هل نتحدث عن ولادة (أمة) أم (دولة) أم (حكومة) أم (اتحاد) أم (وحدة) أم ماذا؟ يمكننا أن نذكر كل ذلك، لكن (فرناو) أبى إلا أن يغوص أحياناً في أعماق بعض ما ذكرناه من مسميات أو مصطلحات أو كلمات إن شئتم ...

واقعياً، ولدت الولايات المتحدة الأمريكية من رحم مأساة شعوب عديدة: حمر الجلود والعبيد السود، المنفيين من فرنسا وألمانيا، المغامرين من إسبانيا وبريطانيا وإيرلندا، والذين تم إغواؤهم أو إغراؤهم من بولنديين وطليان وروس، والذين تم شراؤهم من تلك البقاع وغيرها..

من حيث الأحداث ولدت أمريكا كنبات غريب ارتوت الأرض التي خرج منها بدماء أجناس لا رابط بينها..

أما من حيث المصالح فقد ولدت من خلال صراع طويل ومرير بين القادمين والمواطنين، ثم بين القادمين فيما بينهم من إنجليز وفرنسيين وإسبان، ثم بين الشمال والجنوب، ثم بين الإنتاج ورأس المال، ثم بين أفراد يملكون وآخرون يسعون لأن يكونوا من المالكين..

ولادة عسيرة ولا شك، فكيف يا ترى كانت الولادة الرسمية ؟!

نعود إلى (فرناو) الذي ربما بدأتم تشعرون بالملل من تتبع صفحات كتابه، لكن الأمر يستحق أن يدفع بالمرء إلى التحلي بقليل من الصبر، **«كان اليوم هو الرابع من شهر يوليو سنة 1776 يوم مولد الولايات المتحدة الأمريكية! وصل هزيم الرعد إلى أوروبا .. اقتصر الاهتمام بالأمر على باريس ومدريد، حيث انتظرت العاصمتان أخباراً إضافية، وهما تقولان باستغراب: ولايات متحدة؟ ما هذا؟، حقا، ترى ماذا كان هذا؟، لئن كانت كلمة (ولاية) التي تصف هذه (الدزينة) من المدن ذات رنين مضحك في الآذان الأوروبية، فإن كلمة (متحدة) جعلت المعاصرين يحارون تماماً في فهم معناها... لقد عرف الناس ممالك متحدة، هذا أمر يسهل فهمه أكثر، إنه ملك يستولي على بلدان أخرى أو يحصل عليها بالزواج، أما هنا فإن أحداً لم يستول ولم يتزوج».** (ص 69).

بقليل من التفصيل نقترب أكثر من لحظة الولادة،

الجريمة

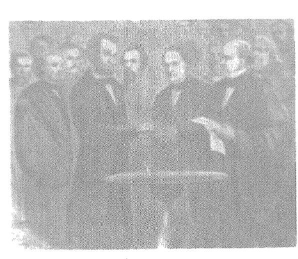
«الجريمة المنظمة هي جزء تكويني من طريقة الحياة الأمريكية» عالم الإناسة: فرانك جاني. (ص 278).

سيلاحظ القارئ الكريم تشابها ما بين ولادة أمريكا وولادة أي شيء آخر!! تمعنوا جيداً، وستلمسون أوجه شبه ما.. «**جلس خمسة رجال صيف سنة 1776 داخل غرفة صغيرة في فيلادلفيا، وهم يتصببون عرقا أو يتعاركون بمرارة، باستثناء (توماس جيفرسون) الذي كانت نفسه تعاف أي وضاعة وتزلف**». (ص 70).

دعوني أسأل (فرناو): هل معنى هذا أن غيره من الحضور كان وضيعاً ومتزلفاً؟ أم أن الأمر في مجمله محاولة إحاطة (جيفرسون) بهالة من النبل والفروسية؟! أعرف أنه لن يجيب، لكنه مجرد تساؤل ليس أكثر..

لنعد إلى غرفة الولادة، سنكتشف أن الرجال الخمسة ما إن وصلوا إلى صياغة الجملة التالية « ... **ونحن نؤمن بحقيقة لا مراء فيها هي أن جميع البشر ولدوا أحرارا ومستقلين .. حتى قفز (جون آدامز وتوماس بين) وطلبا شطب كلمة (مستقلين)، أحدهما لأنه اعتبرها كذبة كبيرة ملعونة، والآخر رأى فيها تناقضاً مع الرضوخ لإرادة الشعب... كان الجميع يتحدثون في آن معاً، وكانت الغرفة غارقة في جلبة وضوضاء شديدتين ... وحين أراد أحدهم تضمين الوثيقة إدانة العبودية انفجر آخر محتجاً، فحذفت الفقرة وأقحمت محلها جملة شاعرية متعددة المعاني...**». (ص 71).

يخيل إليّ أن الوليد سيكون مختلفاً، أعني أنه لن يكون مولوداً باراً، ولذا اسمحوا لي أن أثبت نص الشكوى التي أعلنها المولود الجديد قبل الخروج من الغرفة، ففي معرض التطرق لملك الإنجليز طفا على السطح شيء ما، ينبغي حتى نفهم ما سيأتي أن نذكركم وأنفسنا أن الإنجليز ساهموا وبشكل غير عادي في مراحل الحمل والمخاض بشكل أو بآخر، الشكوى التي أعلنها المؤسسون من الملك الإنجليزي كانت كما يلي: «**إن تاريخ هذا الملك هو تاريخ سلسلة من الادعاءات، تستهدف جميعها إقامة طغيان لا حدود له على الولايات ... لقد نهب بحارنا، وخرب سواحلنا، وأحرق مدننا، وقتل أبناءنا، ونجده الآن**



واشنطن يعين رئيساً لأمريكا

ينزل جيوشا كبيرة من المرتزقة على شواطئنا لإكمال العمل التدميري». (ص 71).

أتساءل أنا هنا: إذا شطبنا كلمتي (**الملك والولايات**) وقرأنا النص من جديد فماذا عسانا نكتشف يا ترى؟!

عودة إلى السياق، «**وعندما امتلأت الغرفة بالدخان - كانت فيرجينيا تنتج أفضل تبغ - وصار البقاء فيها لا يطاق حتى في نظر ذبابات دلاور الشهيرة، كان العمل قد بلغ تمامه**».

حسنا، تمت الولادة..

لكن (فرناو) كالعادة صدمنا بسؤال إن قبلناه فسنكون مضطرين لأن نضع كل الدول التي سبقت الولايات المتحدة الأمريكية في مهب الريح، وهي دول عديدة، لا يمكن حصرها، قال: «**هل تتصورون أن دولة يمكن أن تؤسس دون سكرتيرات وآلات كاتبة!**»، ترك (فرناو) السؤال معلقا، وأتركه بلا إجابة، فالحديث عن السكرتيرات لا نهاية له ولا حدود، أما الحديث عن الآلات الكاتبة فلا معنى له على الإطلاق دون المرور بالسكرتيرات..!!

وأخيراً .. ولايات أمريكية متحدة حرة ذات سيادة

تتابعت الأحداث، حروب صغيرة وكبيرة، انكسار وانتصار، تحالفات وتناقضات، حتى «**تكرم الملك**

الإنجليزي واعترف في خطبة عرش احتفالية باستقلال (الولايات المتحدة الأمريكية) وسيادتها، حدث هذا يوم 5 ديسمبر سنة 1782، صارت الولايات حرة وسيدة الآن، رغم روعة هذا الأمر فعلى ماذا حصلت الولايات؟ لقد حصلت - يجيب فرناو - على وثيقة وكونجرس، وثيقة هي مجرد ورق، وكونجرس هو محض لا شيء». (ص 85).

«**أعلن الدستور يوم 4 مارس سنة 1789 في كونجرس احتفالي** - يخيل إلي أن الولادات التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية هي في نظر فرناو: احتفاليات - **وفي اليوم ذاته انتهك أعضاء الكونجرس الدستور الجديد لأول مرة**»، كيف ذلك يا فرناو؟ «**لقد أراحوا الشعب من عبء ثقيل هو انتخاب رئيس الدولة، وعينوا ببساطة وقوة سلطتهم الذاتية الكاملة والجملية (جورج واشنطن) أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية..**». (ص 94).

ما ذا حدث بعد انتهاك الدستور؟ «**لا شيء**» يقول فرناو، ماذا كان القسم الذي أعلنه المؤسسون؟ «**سنصدر قوانين عادلة، وسنقيم مؤسسات وننشيء مناصب، ونعد أن نفعل هذا بخشوع وطاعة هذا شيء بهيج دوماً، ويبسط أشياء كثيرة ... دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحياة كما يدخلها وليد جديد بريء**». (ص 95)، فهل كانت البراءة صفة ملازمة لها؟ لا تنسوا أننا قلنا: وليد جديد، والوليد لا يظل دائماً كذلك..

إجرام دائم

«لم يسبق منذ وجد الكوكب الأرضي أن وجدت أمة واحدة نجحت كأمريكا في إلقاء الأخلاق والنوعية الإنسانية إلى الهاوية على كامل سطح الأرض تقريباً، إنني أتهم الولايات المتحدة بأنها في حالة إجرام دائم ضد البشرية». مونترلان. (ص 334).

آخر الهجرات الجماعية

يرى (فرناو) آخر موجات الهجرة الجماعية التي شهدها العقد الواقع بين 1890ـ 1900 بأعين جديدة، لا سيما أن مقدماتها كانت مختلفة عن مقدمات جميع الهجرات السابقة. «**سأقول ما أعتقده في جملة واحدة، مع أنني أعلم علم اليقين أنني سأفزعكم: هذه الهجرة، التي تمت بأسلوب غريب، كانت في رأيي الموجة الثانية من استيراد العبيد** (ص 247) **... ليس ثمة ما يوازي هذه الظاهرة إلا تلك الخاصة بـ(العبيد المؤقتين) البيض، الذين استقدمتهم أمريكا في القرن الثامن عشر من إنجلترا باعتبارهم (قمامة بيضاء)** . (ص 248)، (**(زبالة بيضاء، نفايات بيضاء، هما تعبيران غير عاديين تماماً، أطلقا على من كان مقدراً لهم أن يصيروا لاحقاً أسلاف ملايين الأمريكيين)**). (هامش ص 248).

«**أرسل القوم دعاة إلى أوروبا، جلبوا في سنوات عشر بين 1890 / 1900 ثمانية ملايين وافد جديد وظفوهم في الصناعة ... قصدوا بلدانا متأخرة بالمنظار الأمريكي كروسيا وبولونيا وإيطاليا والنرويج متسلحين بصور زاهية وخيال خصب، نجح هؤلاء في إغراء مهاجرين بالقدوم إلى أكثر القفار القاتلة التي لا تصلح للسكن**». (ص 250).

مجتمع جديد، ولكن بأية مواصفات؟!

لا شك أنكم أدركتم ولو قليلاً معان كثيرة كان (فرناو) يصر على تأكيدها بكلمات وجمل، وأحياناً يخفي ما يريد قوله وراء الكلمات، يخيل إلي أنه لو اختار أن يكون روائيا لأمتعنا كثيراً، ولكن ألستم معي أن التاريخ حينما يسرد بشكل مميز يكون أكثر إمتاعاً من الروايات؟ ربما..

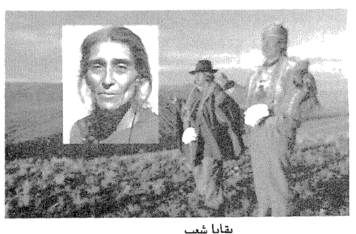
ما إن تشكل المجتمع الجديد حتى أدركنا أن مواصفاته لا تماثل مواصفات غيره من المجتمعات، ولكن منذ متى كانت المجتمعات ذات مواصفات واحدة؟ ومنذ متى كان التاريخ تكراراً لأحداث مضت

وانقضت؟ منذ متى كتب العدو تاريخ عدوه بتجرد وحيادية؟ ليس هذا اتهاما لـ(فرناو) بعدم الحيادية، وليس في الوقت ذاته صك براءة.

الشعب الأمريكي الطيب، هل كانت جملة لا معنى لها؟ أم أنها جملة تصور مجتمعا تتصارع في داخله قيم الخير ونوازع الشر؟ ليس أمامنا غير القبول بمبدأ الصراع بين الخير والشر، هذه سنة الله في خلقه، لكن أن تظل نوازع الشر هي السائدة في مجتمع ما من المجتمعات فإن الأمر ينبغي أن ينظر إليه لا باعتباره سنة من سنن الحياة بقدر ما ينبغي أن ينظر إليه على أنه ظاهرة تتطلب جهداً كبيراً يحفز الدارسين والمحللين على الغوص بعمق في نفسية أبناء هذا المجتمع لفهمه وتقديم الوصفة الحضارية التي من شأنها أن تنتشله من واقعه الذي ربما لا يدرك في داخله أنه واقع فيه..

ولدت الولايات المتحدة الأمريكية، ونمت وشبت عن الطوق، لم تشأ في البداية أن تبحر بعيداً، كانت تخشى في داخلها من الغرق في مياه المحيطين اللذين يحيطان بها، كما أنها ربما كانت تخشى أن تعامل باعتبارها ابنا عاقا، شق عصا الطاعة، وهو أمر لم يكن يقبل بهدوء من قبل أوروبا القديمة التي لم تتأخر عن تزويد العالم الجديد بالرجال والسلاح، صحيح أنهم كانوا رجالا غير مرغوب فيهم بشكل عام، وصحيح أن أوروبا كانت تتوق إلى أن تكون أكثر من قارة نضبت مواردها أو كادت، لكن الرياح بالنسبة للأوروبيين كانت تجري في أغلب الأحيان بما لا يشتهي ملاحو سفنها التي جابت الآفاق، وتاريخ أوروبا خير شاهد على ذلك.. ولكن هل كانت الولايات المتحدة الأمريكية محكومة بقانون الوراثة؟ أم أنها كانت في وضع يمكنها من أن تتخلص نهائيا من كل ما يربطها بالأوروبيين؟

(فرناو) لم يأل جهدا في أن يقدم من الأدلة ما يؤكد على أن هذا المولود الجديد لن يكون أكثر من «كابوس مرعب»، ولذا لا يوفر أي تعبير يوضح مدى شعوره بالألم وهو يرى ذلك (الإبن العاق) يفعل ما



بقايا شعب

يريد دون أن يراعي في أجداده وأسلافه إلاً ولا ذمة، فكانوا أول من اكتوى بناره..

المشكلة تكمن في أن المجتمع الأمريكي شب عن الطوق قبل أن يكون مؤهلاً لذلك، لكن ذلك لا يعني شيئا بالنسبة للذين يرون فيه نموذجاً متكاملاً، وإن كانوا قليلين..

إبحار في جميع الاتجاهات، بعد شد وجذب، بعد مد وجزر، بعد انحسار واتساع .. حروب، انتخابات، مغامرات .. كان كل ذلك مقدمة لبناء مجتمع جديد يحاول أن لا يكون نسخة مكررة عن أسلافه..

❖❖❖

وبعد رؤية أوروبا النامية، أوروبا التي بدأت تهضم ما سلبته أو أخذته أو افتكته من كل أنحاء العالم، ها هي أمريكا «**البلاد الواسعة، والغابات الهائلة، والبراري التي لا نهاية لها، حقول الحبوب المتماوجة ... الوديان المخيفة، الجبال المتأججة باللون الأحمر، الميسيسيبي ... شلالات نياجرا الساحرة ... عمال يحاكون النمل في اجتهادهم ... قاعات مصانع الفولاذ ...** »(ص 224).

تلك كانت صورة أرض بكر، ولكن الصورة لن تكتمل إلا إذا أضفنا إليها الإنسان، «**يرجع السود حول نهر أولدمان، على الميسيسيبي، بعد عناء يومهم إلى مقارهم، التي يحولونها من جديد إلى ما يشبه قرى الهنود الحمر الدائرية المغلقة، حيث يرقصون ويهتزون، ويغنون، ويضربون الطبول**

وينفخون في الأبواق .. إنها العزلة والوحشة ... أما في الشمال وعلى بعد ألفي كيلومتر، وعلى رقعة أرض مأخوذة من جبار روكي، تجلس بقية (المخلوقات) الهندية الباقية البائسة القرفصاء حول النار، منشدة (أغانيها الليلية)، التي تذكر بـ(وفوكا) وبرقص الأشباح ... أما في صالونات الغرب في مدن الغرب القريبة، فيغني الفتيان عن (اليانكي yankee dooble) : فتى اليانكي، قوي وطويل القامة ...». (ص 227).

«كان الأطفال يستعملون غالباً في المصابغ، ثمة صور مؤثرة تظهر أطفالاً في العاشرة من العمر يعملون في قاعات الآلات. وكان هناك مليونا طفل يعملون في الصناعة، فأمريكا تعطي العمل والخبز حتى للطفل الوليد». (ص 251).

❖❖❖

«جاءت أمريكا وانتزعت ما عند غيرها، أو استقدمته إليها، أو اشترته، أو استعارته، أو سرقته ... لم تعترف أمريكا بامتلاء الابتكار الفكري بالحياة إلا في اللحظة التي تولته هي فيها. ماذا كان قبل ذلك؟ لا شيء إطلاقاً. وليس لشيء قيمة غير قيمته بالدولار: **«إن أكثر اللوحات إثارة للإعجاب هي ما تساوي أعلى ثمن دفعه أحد ما لشرائها».** (ص 239).

❖❖❖

أصبح (فرناو) مسرع الخطى، تتدافع كلماته، وتتابع الصور التي يعرضها بسرعة غير معتادة، يطوي الوقائع التاريخية بسرعة، وإن كان في بعض الأحيان يأخذ قسطا من الراحة ليهتم ببعض التفاصيل، التي رأى أنها جديرة بالاهتمام: تحدث عن كوبا، قناة بنما، الفلبين، تحدث أيضا عن شراء ما أمكن شراؤه من أراض أصبحت ولايات ضاعفت عدد النجوم في الجانب الأيسر من علمها الرسمي ...

يغرق أحياناً في تفاصيل يراها البعض ليست جديرة بذلك، لكنه ـ وكما قلت في بداية هذا العرض الذي طال أكثر مما ينبغي ـ يقول ما يريد كما يريد متى يريد.

أربعة قرون في مائتي صفحة تقريباً، وأقل من قرن في مائة صفحة، لم حدث ذلك؟ السبب بسيط للغاية، إنه القرن العشرون الذي شهد تلاحقاً في الأحداث لم يسبق له مثيل!! احترق العالم أكثر من مرة ولا يزال، من اليابان إلى أمريكا الجنوبية، ومن شمال أوروبا إلى عمق إفريقيا .. وفي واحدة من تلك الحروب **«كانت وسائط القوة التي ألقت بها أمريكا على جبهات القتال هائلة: 290000 طائرة، و25000 دبابة، 17 مليون بندقية، و300000 مدفع، 40 مليار قذيفة ...».** (ص 310).

ويبدو أن (فرناو) أحس أن سؤالاً سيصدمه حين يتحدث عن أولئك الأمريكيين الذين وطئت أقدامهم أرض أسلافهم : كيف سيرى الأحفاد أرض أجدادهم؟ تذكرت هنا ـ ولا بأس أن أذكركم ـ أن أمريكا كانت الابن العاق بجدارة! ولعلكم ستلمسون ذلك في الفقرة التالية التي نقلها (فرناو) عن (باتون)، وهي فقرة ألقاها الجنرال (باتون) في جنوده قبل الإنزال الأمريكي في إيطاليا، ونصها: **«حين ننزل على الشاطئ سنجد أمامنا جنوداً إيطاليين وألماناً، ستكون مهاجمتهم وإبادتهم شرفاً وامتيازاً لنا، ثمة كثيرون بيننا يسيل في عروقهم دم ألماني وإيطالي، فليتذكر هؤلاء أن أسلافهم أحبوا الحرية حتى تركوا وطنهم وأرضهم، واجتازوا المحيط كي يجدوها هناك، إن أسلاف الناس الذي سنقتلهم الآن افتقروا إلى شجاعة الإقدام على تضحية كهذه، فواصلوا العيش عبيداً».** (ص 311).

يعلق (فرناو) على تلك الفقرة بقوله: **«لم يعرف التاريخ خطبة تحاكي هذه الوقاحة واللؤم، بين جميع خطب الحرب التي ألقيت قبل المعارك، بدءا من ليونيداس مرورا بخطب فريدريك الكبير وصولا إلى هتلر».** (ص 312).

مأزق مساعدات النمو!

على الرغم من أن (فرناو) لم يأل جهدا في إيضاح رأيه حول قضايا عديدة تتعلق بالعلاقة بين أمريكا وأوروبا، خاصة مع غربها، وبشكل أخص بلده ألمانيا، إلا أنه فجأة ودون تمهيد واضح قفز إلى قضية من أعقد القضايا المعاصرة: العالم الذي اصطلح على تسميته بـ(الثالث)، ورغم أنني كغيري من بعض الناس لم نعد ندرك معنى واضحا لهذه التسمية إلا أننا قبلناها بشكل لا يقبل النقاش، ولكن ماذا عن (فرناو) و(العالم الثالث)؟ صحيح أنه لم يثبت هذا المصطلح بوضوح كامل، لكنه قاله بشكل آخر على أية حال ..

يقول: «**إن شفاء اسقربوط الشعوب عمل جيد، وتسكين جوعها أمر جيد جدا، وتأمين حياتها أمر رائع. ولكن أن نطالب المخازن الكبرى إعطاء أموال إلى حوانيت العالم لتصبح مخازن كبرى بدورها، فهذا الخراب بعينه**». (ص 325).

«**لماذا أطلق (وول ستريت) هذا المشروع بحجم العالم كله؟ ماذا يجني من تقديم أموال ألمانية إلى زائير مثلاً إذا كانت زائير ستعيدها إلى ألمانيا في صورة مشتريات صناعية؟**». (ص 326).

«**يجب أن يكون باستطاعة من يتلقون الهدية الاختيار بين أن يعيدوا النقود إلى مهديها أو يرسلوها إلى أمريكا**». (ص 327).

❖❖❖

اسمحوا لي أن أختتم معكم هذا العرض الممل لكتاب ممتع ومثير، وأفضل طريقة رأيتها هي أن أصمت وأترك المؤرخ الألماني السيد (يواخيم فرناو) يودعنا جميعا بالطريقة التي اختارها، لن أسمح لنفسي أن أنقل كل ما قاله، أفضل أن أختار بعضاً من كلماته المؤثرة التي ابتعد فيها قليلاً عن كونه مؤرخاً، اقرأوا معي ..

«**سبق لأمريكا - إذا كنت لا أخطئ - أن غنت ذات مرة عن: السلام على الأرض وعن البشر وقد بلغوا النعيم. ولكن، متى كان هذا؟**.(ص 314) ... **أمريكا لم تعد تجرؤ على خوض أية حرب حتى نهايتها**. (ص 316) ... **أمريكا قوة توفيق ومصالحة، وحاكمة للشعوب، ووراع خير، وغاو، ومتآمر ومحارب، وداعية انفراج، وأكبر مورد للسلاح، رسول خلاص للأعراق وكاره لها في بلده، مكتشف لـ(نوعية الحياة) ومبتكر الأسلحة القاتلة ... مكتشف للقهوة سريعة الذوبان والتاريخ اللحظي (سريع الذوبان)، داعية حقوق الإنسان بسبابة مرفوعة، ومقتحم لـ(ما لاي MA LAY) برشاشات مرفوعة ...** ». (ص 320).

«**نستطيع قفل الموضوع، وأنا أميل إلى قفله برغبة شديدة، ألم تقلع أمريكا عن صنع التاريخ السياسي؟ ... بالتأكيد، إن واشنطن لا زالت عنوان الصفقات الدولية في العالم الغربي، لكنه عنوان وهمي لسكان أرياف ...** ». (ص 321).

«**انتهى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. فما هذا الذي ما زلت أكتبه؟ ... علينا تعلم العيش مع النهج الأمريكي في الحياة، فالولايات المتحدة تشهد مئة ألف عملية قتل كل سنة، ويسقط كل سنة خمسة ملايين أمريكي ضحايا جرائم ...**». (ص 329 / 331).

الفصل الأخير، الصفحة الأخيرة، كانت بمثابة صرخة، صرخة ألماني كتب تاريخ أمريكا، ولكن، هل كتبه باعتباره ألمانيا أم باعتباره مؤرخاً؟ هذا ما لا يمكن التأكد منه، المهم أنه كتبه كما يريد، وعلى القارئ أن يفهمه كما يريد، آخر ما قاله (فرناو): «**هل بقي لنا مستقبل؟**

طبعاً.

سامحوني على هذه الكلمة الصبيانية، إن عليها فقط حجب حركتي.

المستقبل مضمون لنا،

إذا ربحت نزعة الأمركة، فإنها ستدمر البشرية خلال مئة وخمسين سنة، ستواصل الأرض بعدها دورانها في الفضاء الكوني ككوكب مريخ ميت.

أما إذا ربح الخير، فإن البشرية ستعيش ما قدر الله لها أن تعيش.

وفي الحالتين : «**رحمتك يا الله**». (ص 336).

فرناو وبعض من رؤساء أمريكا

لم يخصص (فرناو) مساحة خاصة بالرؤساء الأمريكيين، إلا أنه ضمن كتابه فقرات تطول أو تقصر حول بعضهم، وأحياناً يخصص صفحات عديدة لبعضهم، مثلما حدث مع (أبراهام لينكولن)..
لم يكن (فرناو) ودوداً مع معظم الرؤساء، إن لم أقل مع جميعهم، لم يبد إعجابه بأي رئيس أمريكي، بمن فيهم أولئك الذين كنا نقرأ عنهم جملاً إيجابية..
لن أتتبع كل ما قاله عنهم، ولن أفتش عن أي رأي إيجابي عن أي منهم، لأنني لم أجد ذلك، باستثناء جملة أو جملتين عن رؤساء لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة..

جورج واشنطن: متبجح.. مقرف

اسم لامع ولا ريب، لكن (فرناو) جعل ذلك اللمعان كلمعان البرق الخُلَّب، وهذا ما سترونه في جملة سأوردها فيما بعد..


جورج واشنطن

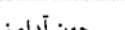
يقول (فرناو) عن واشنطن: «**رغم أن شعوره لم يكن إنجليزياً أبداً، فإنه فكر إنجليزياً بحساب، وعاش إنجليزيًا كما يعيش لورد.. كان غنياً، فقد تزوج في السابعة والعشرين من أرملة أكثر ثراءً منه.. سكن في مونت فرنون، وهو قصر ريفي إقطاعي يتوسط ملكية عملاقة، يشقى فيها جيش من العمال يضم خمسين من العبيد الأفارقة السود. كان مصيرهم يحرك مشاعره، كما اعترف هو نفسه بذلك... افتقر إلى روح الدعابة، وكان غير شاعري أبداً. كان متبجحاً، متغطرساً، تستطيع أن تعد على أصابع يد واحدة المرات التي صافح فيها أحداً تعبيراً عن شكره له. وعندما صار رئيساً لم يعرف أنه دعا في يوم من الأيام أحد ممثلي الشعب إلى الجلوس في حضرته..**». (ص 65 ـ 66).

ترك (واشنطن) الرئاسة بعد فترتين، «**فماذا خلف وراءه؟**» تساءل (فرناو)، وأجاب: «**إذا استثنينا بعض النصائح الجيدة التي قدمها فإننا لا نجده قد ترك خلفه غير فراغ ممل..**»، وفي نهاية الأمر قذفنا (فرناو) بأسئلة ليست لها إجابات واضحة، من بينها: «**ترى ألم يكن واشنطن أمريكا؟ ألم يكن أب الوطن؟ ألم يقف على رأس العالم؟**». (ص 115).

باختصار يقول (فرناو): «**لا بد من الاعتراف بأنه كان رجلاً مقرفاً، رغم أن كتاب السير يحاولون منذ مائتي سنة تبييض صفحاته**». (ص 66). هذه هي الجملة التي جعلت لمعان (واشنطن) بلا معنى!! وليذهب جورج واشنطن إلى الجحيم، ربما هذا ما أراد (فرناو) أن يقوله تلميحاً لا تصريحاً..

ومع كل ذلك أرى أنه ليس من المنطقي أن ننسى أن (جورج واشنطن) كان من المؤسسين، وأن صورته تتصدر العملة الأمريكية، وأن قرية أصبحت مدينة ثم عاصمة سميت باسمه، «**وكان قد علق ذات يوم آماله على المدن الوهمية (ومن بينها واشنطن) التي كانت لا تزال آنذاك قرية وهمية إلى حد كبير**». (ص 119)، وينبغي ألا ننسى أن الكونجرس الأمريكي «**وبمناسبة الاحتفال سنة 1976 بالمئوية الثانية للاستقلال كرم واشنطن بأن رقي إلى رتبة (جنرال) بستة نجوم**». (ص 116).

جون آدامز: شيء بائس تماماً



جون آدامز

«نستطيع فتح فصل جديد للرئيس الجديد، لكنني لا أعتقد أن ثمة جدوى في ذلك، ربح (آدامز) الانتخابات، وكان واشنطن قد عينه نائبا له. لم يكن نجاحه إنجازاً خارقاً، ولم يأت بمطامح أو مخاطرات جديدة». (ص 116). وبعد أن قدم وصفاً شخصياً لـ(آدامز) شعر أن قراءه ربما استغربوا صنيعه هذا، فقال: «ستسألون أنفسكم، لماذا افصل القول في وصف جون آدامز؟ أعترف بصراحة: لقلة ما يمكن أن أقدمه عنه، تستطيعون طبعا أن تقرأوا في كتب التاريخ تفاصيل كثيرة عن حرب أمريكية فرنسية صغيرة قادها جون آدامز، لكنني أنصحكم أن لا تفعلوا، لأن هذه الحرب تمخضت عن لا شيء». (ص 117).

يبدو أن (فرناو) أحس أنه ظلم الرجل قليلاً، استدرك في ختام حديثه عنه بقوله: «في النهاية قام الرجل بشيء، لكنه كان بائساً تماماً، ودخل التاريخ ليبقى فيه على مر العصور: لقد نقل مقر الرئيس والحكومة الاتحادية من فيلادلفيا إلى عش صغير، هو قرية، بل مدينة في طور البناء الخام، أو شيء على درجة من القبح... وقد سموا تلك القرية التي كانت آنذاك وهمية إلى حد كبير، وغدت اليوم حاضرة العالم باسم مؤسسها: واشنطن». (ص 118 - 119).

توماس جيفرسون: نزع سلطة الإتحاد

«رجل متألق! شغل منصب سفير بلاده في باريس، كان يرتدي ثيابا غالية الثمن، غير أنها كانت مهملة... يحسن الكتابة والعزف.. مهندس.. صمم عددا من أجمل القصور الريفية في فيرجينيا.. أحضر إلى بيته أول ساعة (أربع وعشرين ساعة)، وأول كرسي دوار..». (ص 111)، «كان أول من شعر بسلطة الصحافة قبل زمن من اختراع وكالة الأنباء على يد باول يوليوس رويتر Reuter» (ص 113)، «تسلم منصبه بطريقة نموذجية أسعدت الشعب... تخلى عن بعض مبادئه الرئيسية حين فوجئ أنه لا يستطيع الحكم دون سلطة.. فما كان منه إلا أن نزع سلطة الاتحاد... انتهك الدستور ووقع اتفاقية دولية دون تفويض». (ص 121 - 123).

توماس جيفرسون

جيمس مونرو: مبدؤه ضرب من البلاهة

«عرفت حقبته بحقبة السنوات السعيدة». (ص 130)، «وقبل أن يتوفى كتب إعلاناً، وهو نص قصير ودقيق، أسطره متشابهة ونظيفة، اشتهر فيما بعد باسم (مبدأ مونرو)، اعتبره الأمريكيون حتى القرن العشرين حجر الحكمة، ثم اكتشفوا بعد ذلك أنه كان ضربا من البلاهة. يقول الإعلان في كلمات قصيرة: إن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تتخذ مبدأ لها هو عدم السماح لأية أمة أجنبية التدخل في شؤونها، وعدم تدخلها هي ذاتها في شؤون أمة أخرى. بذلك أخذ (مونرو) قبعته وذهب، تصحبه السنوات السعيدة». (ص 43).

هل كان (فرناو) يعني تماما ما قاله من أن «مونرو ذهب تصحبه السنوات السعيدة»؟ أعتقد جازما أنه عنى تماماً وبدقة ووضوح ما قاله!.

كوينسي آدامز:

... إلى دكان الرئاسة


كوينسي آدامز

لن أتوقف كثيراً عند هذا الرجل، فقد كان كما قال عنه (فرناو) «وجهاً انتقالياً»، لكنه كان أولاً ابن الرئيس الثاني،

وكان ثانيا قد «حمل الحياة إلى دكان الرئاسة». (ص 43)، وما أشبه الليلة بالبارحة في أروقة البيت الأبيض الأمريكي؟!

آندرو جاكسون:

قاتل الهنود الذي انتخبه آكلة لحوم البشر

هذا الرئيس شكل تحدياً لـ(فرناو)، ومن خلال حديثه عنه أدركت كم كان عاشقاً للرأسمالية، وقد وجد في (جاكسون) ضالته ليعلن - وبطريقته المعهودة - آرائه، **«انتخب أندرو جاكسون بأغلبية كبيرة وبتأييد سكان الغابات الخلفية ... الذين رأوا فيه فتى صلباً كجذع شجرة، واعتقدوا جازمين أنها صفة تناسب الرئيس، الذي كانت آخر ألقابه: قاتل الهنود .. شق طريقه عبر الحياة في تينيسي ذات السمعة السيئة جداً آنذاك، صار في سن السادسة عشرة من عمره معلما - وإن كان نصف أمي - ... انتخبه أكلة لحوم البشر مدعياً عاما وهو في الحادية والعشرين .. افتتح مخزناً تخصص في بيع التبغ واللحم المملح، مارس تجارة واسعة بالعبيد ... ذهب إلى الكابيتول يوم تنصيبه رئيسا سيرًا على قدميه ... على رأس مجموعة كبيرة من أنصاره، كان الطقس ممطراً عاصفاً، فاتسخ هو والكابيتول .. أقام باعتباره رئيساً جديداً وليمة كبيرة للزملاء، وسكروا بعد التهام كل ما كان عليها، وكسروا الآنية، وغطوا السجاد بالتبغ الممضوغ ... يعتبر جاكسون مؤسس ما عرف باسم (نظام الغنيمة)، وهي عبارة يراد بها التعبير، بل إنها تعبر فعلاً، عن أن جهاز الدولة ومناصبه جميعها هي غنيمة للرئيس وأعوانه... ولله في خلقه شؤون».** (ص 144 - 149).

آندرو جاكسون

❖❖❖

أنهى (فرناو) هذه الحقبة بقوله: **«أعترف أنني قد ارتضيت ما حصلت عليه من حاجتي إلى رؤساء (مهمين)، وأن التاريخ يرضيني، فالرؤساء الذين جاءوا بعد تلك الفترة قد افتقروا إلى كل أهمية حقيقية، لذلك يمكننا أن نتركهم ينعمون بالراحة حيث هم: في النسيان».** (ص 149).

ربما كان (فرناو) محقا في ما ذهب إليه، لكنه لم يكن دقيقاً تماماً، فأمامه أكثر من رئيس له بصماته - بغض النظر عن نوعها - إن لم يكن على المستوى الدولي فعلى الأقل على المستوى المحلي الأمريكي.

بعد بضع صفحات من كلماته تلك أدرك أنه كان متسرعاً، حيث نجده يفرد لـ(أبراهام لينكولن) أكثر من ثلاثين صفحة، صحيح أنها ليست جميعها تخصه، لكنه يذكره في كل صفحة أحيانا، ربما يكون الرئيس الأكثر حظا بالنظر لعدد الصفحات التي خصصت له وللأحداث التي تمت في عهده.

ونظرا لأننا استعرضنا بعضاً من مجريات الأحداث حول الهنود الحمر والسود ومواقف (لينكولن) ومن بعده من الرؤساء فلا بأس من أن نقبل بما ذهب إليه (فرناو)، مع أنه كان بإمكاننا تقديم أشياء كثيرة لم يغفلها المؤلف، مثل حديثه عن (أندرو جونسون) الذي كان نائباً للينكولن، والذي وصفه بأنه «مصيبة.. **كان خياطاً في قرية، علمته القراءة والكتابة زوجه المصون».**

أندرو جونسون



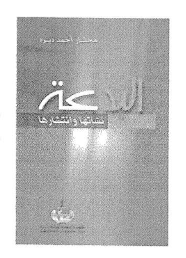
هداية البيان في تفسير القرآن

(أربعة أجزاء)

المؤلف : راشد عبد الله الفرحان

الناشر : كلية الدعوة الإسلامية / طرابلس

هذا التفسير، وسط بين المطولات والمختصرات، مما يحتاجه العالم، ولا يستغني عنه القارئ المتعلم. والمنهج الذي يسير عليه المؤلف في هذا التفسير: يجعل تفسير كل آية بعدها، مع إعادة ذكر كل نص يحتاجه الشرح ليجمع القارئ بين القراءة والتفسير، مع المحافظة على ربط المعنى بين الآيات والسور. وأخذت اللغة العربية اهتماماً متميزاً، حيث يختار من الآراء ما يناسب سياق الآيات ويبرز المعنى بسهولة، موضحاً ما في الكلمة والجملة والآية من بيان وبلاغة، وفصاحة وإعجاز امتاز القرآن بها. كما يعتني بإبراز القراءات وذكر صاحب كل قراءة، والتعريف به في هوامش التفسير، معتمداً القراء العشرة لكون قراءتهم داخلة في الأحرف السبعة. ويحاول ما استطاع وضع التفسير العلمي والكوني في مكانه المناسب بما تدل عليه الآيات، مع المحافظة على المعنى اللغوي، ويذكر أسباب النزول كل ما كان ذلك ضرورياً لتوضيح المعنى، كما يشير إلى أسماء الأعمال والأماكن التي يرد ذكرها مع التعريف بها. كما يستجلي معاني العقائد، وفهم مقاصدها، والمراد منها، محاولاً جهده تفسير مشكل كثير من الآيات التي التبس معناها وفهمها على كثير من المفسرين. ويحرص المؤلف كذلك على إبراز وتوضيح الأحكام الفقهية دون التنصيص على المذاهب والآراء المتعصبة، ويعتمد المؤلف على كثير من كتب التفسير وعلوم القرآن والقراءات والحديث واللغة، والعلوم والطب والتاريخ وغيرها..



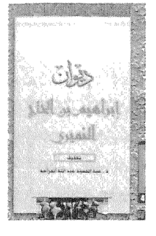
البدعة.. نشأتها وانتشارها

المؤلف: د. المختار أحمد ديرة

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

نطالع في هذا الكتاب دراسة موجزة حول (البدعة) من حيث مدلولها اللغوي والاصطلاحي والشرعي ، وما يترتب على البدعة من مضار تصيب المجتمع والأمة، ودور الجهل واتباع الهوى في نشأة البدع وانتشارها . ويحاول المؤلف تقديم إجابة عن سؤال مهم يقول : كيف نتصدى للبدعة قبل انتشارها؟ وإذا ما انتشرت كيف نعالج مضارها ؟. كما يتناول أنواع البدع الثلاثة - وفق تقسيم الشاطبي - وهي: الحقيقية، الإضافية، التركية . ويدرس أيضاً: البدع في العقائد، البدع في العبادات، البدع في العادات.

ديوان إبراهيم بن الحاج النميري



تحقيق: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة

الناشر: المجمع الثقافي للإمارات العربية / السلسلة الأندلسية

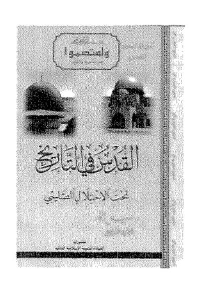
لا تخفى ضرورة أن تكون هناك صلة للكاتب بالتراث الإنساني، حتى يستطيع تعميق تجربته، بشرط أن يفيد من هذا التراث بأصالة فنية، ولعل خير إنتاج الكاتب ما يظهر فيه بجلاء أن الأقدمين من نوابغ الأسلاف لم يموتوا. وفي هذا السياق، ومساهمة في إحياء التراث العربي وإعادة نشره، وتسليط الضوء عليه؛ يأتي تحقيق ديوان النميري (8 هجري / 14 مسيحي) الشاعر الذي وصفه المترجمون له، بأنه: (فقيه ومحدث ورحالة وقاض وشاعر وإمام وخطاط). ويجعل المحقق الكتاب في قسمين: القسم الأول للتقديم، والقسم الثاني للديوان. وقد اختص القسم الأول بالتعريف بالشاعر، إذ شكل هذا العنصر لبنة أساسية في بنائه، باعتبار علاقة المبدع بالنص، وضرورة تحقيق اسمه ونسبه وحياته والتعريف بأسرته وآثاره العلمية ومصادر شعره. ويعتمد المحقق في ذلك على استقراء القرائن المبثوثة عبر المصادر الأدبية والتاريخية. أما القسم الثاني والأخير فقد كان مخصصا لتحقيق الديوان، حيث جاءت النصوص وعددها 123 نصاً، بما مجموعه 2157 بيتاً شعرياً، مرقمة ومحققة ومضبوطة ضبطا كاملاً وسليماً..

القدس في التاريخ

(تحت الاحتلال الصليبي)

تحقيق: د. سهيل زكار

الناشر: القيادة الشعبية الإسلامية العالمية



عجيب هو أمر القدس، والأعجب تاريخها المديد، أسسها العرب وأرادوها مقدسة ومدينة سلام، لكن نازعهم عليها أقوام ادعوا الإيمان بقداستها، لكنهم سفكوا فيها بحاراً من الدماء، مرات ومرات، حتى دخلها الخليفة العربي: عمر بن الخطاب فأعادها مدينة القداسة والسلام، وعاشت لقرابة خمسة قرون بسلام وأمن وقداسة، حتى جاءت الحروب الصليبية فتحولت مدينة السلام إلى مدينة الدماء والاغتصاب، وباسم المسيح اقترفت أعظم المذابح شناعة، وبعد قرابة القرن عاد نور الله إلى القدس بسلام مع صلاح الدين، لأن نور الله ينشر الهداية والسلام، والظلام وسفك الدماء مرتبطان بالشيطان. وقرن محنة الاحتلال الصليبي للقدس هو موضوع هذا الكتاب، حيث يبحث فيه المؤلف الحياة السياسية، أي حياة الملوك والذين تعاونوا معهم، ويعرج بشيء من التفصيل الموجز على النشاطات العسكرية لأولئك الملوك، كما يتناول بالبحث بعض جوانب الحياة الاجتماعية، والحياة الكنسية، والعلاقات بين السلطة ورجال اللاهوت، كما يضمّن الكتاب بعض الملاحق المفيدة التي تبين أن اعتماده في هذا الكتاب هو بشكل شبه مطلق على الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية للمؤلف نفسه وتقع في ثمانين مجلداً، صدر منها حتى الآن خمسون .

دليل مجلات البحث العلمي الجامعية

الناشر : اتحاد جامعات العالم الإسلامي



يسعى اتحاد جامعات العالم الإسلامي، الذي تحتضنه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إلى توثيق التعاون بين مؤسسات التعليم العالي في العالم الإسلامي، ويعمل على دعمها من أجل تحقيق تطلعاتها في الوصول إلى مستوى علمي رفيع وتطوير البحوث العلمية التي تضطلع بها. وتحقيقاً لهذه الغاية فقد تضمنت خطة عمل الاتحاد للسنوات 1998 ـ 2000 برنامجاً خاصاً بتوفير المعلومات عن مؤسسات التعليم العالي، وذلك بإعداد دليل جامعات العالم الإسلامي، كما تضمنت هذه الخطة إعداد دليل مجلات البحث العلمي الجامعية، وهو الدليل الذي بين يدي القارئ في طبعته الأولى، والغاية منه تيسير تبادل هذه الدوريات بين الجامعات، وتعميم الاطلاع عليها والإفادة منها.

وقد تم إعداد هذا الدليل بعد أن قامت الأمانة العامة لاتحاد جامعات العالم الإسلامي بتوزيع استبيان على جميع الجامعات الأعضاء، وتلقت إجابات من ثلاث وخمسين (53) جامعة في إحدى وعشرين (21) دولة، تتضمن معلومات عن مئتين وسبع وستين (267) مجلة. ويقدّم هذا الدليل معلومات وافية عن مجلات البحث العلمي الجامعية تشمل عنوان كل دورية، واسم مديرها ورئيس تحريرها، وعنوان مقرها كاملاً، ورقم هاتفها وبريدها المصور وبريدها الإلكتروني، واسم ناشرها وعنوانه، وسنة صدور العدد الأول منها، وعدد مرات صدورها في السنة، ولغتها، وحقول تخصصها، ورقم تسلسلها الدولي، وسعر بيعها، وعدد النسخ التي توزع من كل عدد من أعدادها، وثمن الاشتراك السنوي فيها. وقد تم ترتيب هذه المعلومات طبقاً لتوصية المنظمة العالمية للتقييس، ليسهل تداول البيانات وتخزينها في قواعد المعلومات.

أنوار..

مجلة فصلية نوعية تصدر في ليبيا

في عددها الأول أطلت مجلة (أنوار) على القارئ إطلالة واعدة بحسن الأداء، وشمولية المتابعة، في مختلف الإنجازات الحضارية، والإبداعات الثقافية والفنية في ليبيا.

ومع أن المجلة تصدر عن دائرة الإعلام بالشركة العامة للكهرباء؛ غير أنها تتسع بصفحاتها التي تتجاوز المائة صفحة لمقالات وتقارير ودراسات شارك في كتابتها كوكبة من الكتّاب والباحثين المعروفين، فضلاً عن عدد من المتخصصين في قطاع الكهرباء، مواكبة للتقنيات الحديثة، وتطبيقاً للبرامج الوقائية والتنبؤية.



ولعل من اللافت للاهتمام، والباعث على الرضا والحبور، بالنسبة لجيل كامل من المبدعين الليبيين؛ هذه البادرة من رئيس تحرير المجلة بتخصيص ما بعد الغلاف الأول لمصافحة شيخ الرسامين العرب في فن الرسم الساحر (الكاريكاتير) محمد الزواوي، في إشارة مستحقة وتكريم مشكور، مع إحدى لوحاته الجديدة (2006). ويضم العدد جملة من المحاور منها: حكومة الإلكترونية تدير العالم، بلد المليون حافظ، في دار الأوبرا الإنجليزية: عرض قوي لشخصية حية، البقاء للأسرع وليس للأقوى.

حصاد عام

خدمة للقارئ الكريم نقدم هذا الثبت لما نشرته مجلة التواصل في أعدادها الأربعة التي صدرت خلال سنة 1374 من وفاة الرسول ﷺ 2006 مسيحي

الافتتاحية

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
نحو عالم أكثر تسامحاً	محمد عبد السلام شاهين	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	1
هل حقاً هناك (آخر) في المنظور الإسلامي؟	د.عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	1
إساءة للقيم والمثل والأخلاق	د.عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	1
غزو أم تهجير أم تدجين؟!	د.عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	1

مقالات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ نحو مجتمعات المعرفة.. الشيء الوحيد الذي يكبر بالمشاركة	كويشيرو ماتسورا	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	6 ـ 8
❖ حوار الحضارات ..حتى لا يفقد الشعار وعيه	د. حسن الباش	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	9 ـ 16
❖ بين الإسلام والغرب.. تواصل أم قطيعة؟	د. سالمة عبد الجبار	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	17 ـ 21
❖ النهضة الإفريقية في كتابات الحاج أحمد سيكوتوري	سيسي سليمان	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	22 ـ 28
❖ المدارس القرآنية وشخصية الأمة	عمر لطفي العالم	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	29 ـ 31
❖ الثقافة والهوية.. بين المفهوم والغاية	عمر ميلاد سلامة	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	32 ـ 39
❖ التعايش السلمي بين العقائد	محمد السعدي	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	40 ـ 42
❖ أقوال مأثورة في شرف اللغة العربية	أ.د. أحمد بلاسي	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	43 ـ 46
❖ مساهمة الحوار وتفاعل الأديان في دعم السلم والتنمية	د. محمد ساموري	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	6 ـ 10
❖ من مأدبة الله	أ.د. مهدي امبيرش	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	11 ـ 14
❖ النخبة الإفريقية ومعضلة البحث عن بدائل الهوية (الزنوجة نموذجاً)	أحمد مختار لو	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	15 ـ 20
❖ الدين الحق ليس ظاهرة فكرية أو اجتماعية	د. سالمة عبد الجبار	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	21 ـ 26
❖ أين إنجيل برنابا؟	عمر بن محمد المجذوب	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	27 ـ 32
❖ بعد 1700عام الكشف عن إنجيل يهوذا	د. محمد السماك	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	33 ـ 36
❖ حقيقة إنجيل يهوذا	أ. الصديق بشير نصر	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	37 ـ 54
❖ حوار الحضارات .. هل تحكم الأيديولوجيا اختلاف المعايير؟	د. حسن الباش	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	55 ـ 60
❖ من مأدبة الله .. في المأدبة والأدب (2)	أ. مهدي امبيرش	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	6 ـ 8
❖ إسرائيل والخيار الصليبي	عمر سعادة	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	9 ـ 17
❖ ثقافة الحرية وتجسيد قيم التواصل	عمر القاضي	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	18 ـ 25
❖ حوار الثقافات بين الإمكان والاستحالة	محمد الشحومي	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	26 ـ 36
❖ التواريخ المستحيلة	إدوارد سعيد	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	37 ـ 44

مقالات				
الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ سنن الفطرة ومنطق التجديد الحضاري	عطية فتحي الويشي	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	45 ـ 49
❖ أفكار حول احترام كرامة الإنسان	إيان لندل	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	50 ـ 62
❖ كيف نحاكم قوانين الإبادة البشرية؟	د. حسن الباش	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	63 ـ 71
❖ علاقة الهوسا باللغة العربية	مالم لولي بطر	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	72 ـ 78
❖ تبادل المعرفة: هل سيظل مؤجلاً إلى الغد؟	كويشيروا ماتسورا	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	6 ـ 9
❖ من مأدبة الله.. في القراءة (3)	أ. مهدي أمبيرش	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	10 ـ 12
❖ التسامح الإسلامي وسيلة للسلم العالمي	د. شارنو كاه الحبيب	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	13 ـ 17
❖ المسلمون في الغرب: حقوقهم وواجباتهم ومستقبلهم	مراد ويلفرد هوفمان	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	18 ـ 24
❖ المسلمون بين تحدي الأمن الفكري والأمن الروحي	د. محمد بشاري	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	25_29
❖ الإنجيليون الأمريكيون يحتضنون إسرائيل وعين على هرمجدون	آندرو هيغينز	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	30 ـ 37
❖ المزمار مخرجاً صوتياً	خالد العيساوي	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	38 ـ 40
دراسات				
❖ أوروبا والإسلام واقع ثقافي	د. صلاح الدين الجعفراوي	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	124 ـ 132
❖ مذهب شيداو تانغ والتطبيق الفعلي لنموذج الأمة المسلمة المثالية في الصين	عبد الله مافنغ جون	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	134 ـ 149
❖ إسهام الأفارقة في الثقافة العربية ـ الإسلامية (غرب إفريقيا أنموذجاً)	علي يعقوب	العدد التاسع	الربيع 1374ور/مارس 2006	150 ـ 162
❖ أركون والقرآن	د . محمد إسحاق الكنتي	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	120 ـ 133
❖ حقوق الأقليات وواجباتها في المجتمع الإسلامي	ا . د . محمد الدسوقي	العدد العاشر	الصيف 1374ور/يونيو 2006	134 ـ 148
❖ أثر الحضارة العربية ـ الإسلامية على الحضارة الأوروبية في مجال الفنون	د.إيهاب أحمد ابراهيم	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	134 ـ 152
❖ الإرهاب بين الدلالة والإطلاق	د. عبد الماجد القاضي	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	106 ـ 114
قضايا وآراء				
❖ أكبر وأجدى من الاعتذار	التحرير	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	80
❖ في الرد على البابا	محمد السماك	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	81 ـ 84
❖ ملاحظات على محاضرة البابا وتعديلاتها	د. عبد الحميد عبد الله الهرامة	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	85 ـ 88
❖ الجذور الفكرية العقدية لموقف البابا من الإسلام	نبيل شبيب	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	89 ـ 94

قضايا وآراء

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ الإيمان والعقل والجامعة .. ذكريات وتأملات	د. عارف علي النايض	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	95 ـ 113
❖ البابا وجحيم دانتي .. وحوار الحضارات	إبراهيم الحلبي	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	114 ـ 115
❖ بنديكت السادس عشر وإمانويل الثاني	عبد الرحمن فروجا	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	116 ـ 120
❖ حقيقة الدين اللاعقلاني .	عمر لطفي العالم	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	121 ـ 124
❖ بيان منظمة المؤتمر الإسلامي		العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	88
❖ بيان القيادة الشعبية الإسلامية العالمية		العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	92 ـ 94
❖ خيال أم حقيقة ؟	التحرير	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	125
❖ رجال دين مسيحيون .. ماذا قالوا عن إساءة بنديكت للإسلام ؟	التحرير	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374ور/سبتمبر 2006	127 ـ 132

ملفـــات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
القراءة الغربية للقرآن الكريم	أعد الملف: محمد حسن جحا			
❖ منهجية التعامل الغربي مع الإسلام والقرآن الكريم	د. محمد السماك	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	49 ـ 55
❖ من أجل فهم واضح لكل الثقافات	أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	51 ـ 73
❖ العالم الإسلامي وتحديات المرحلة	د. محمد البشاري	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	56 ـ 67
❖ قراءة في موقف بعض علماء الاجتماع وبعض المقررات الدراسية في الغرب	أ.د. نبيل السمالوطي	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	68 ـ 87
❖ مخاطبة ذوي العقول السليمة في المجتمعات الغربية	عميد كلية الدعوة الإسلامية	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	75 ـ 79
❖ تحصين الأمة ورد الشبهات والأباطيل عنها	عبد الرحمن سعيدي	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	81 ـ 89
❖ ست طبعات جديدة من ترجمات القرآن إلى اللغة الإسبانية	د. عبد الله الزيات	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	88 ـ 104
❖ نحو شكل جديد من البروتستانتية!!	د. محمد عبد السلام لودوزا	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	91 ـ 99
❖ نحاسب أنفسنا قبل الآخرين ونصحح أخطاءنا!!	د. السائح علي حسين	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	101 ـ 107
❖ رؤية تاريخية لمنهجية التعامل الغربي مع القرآن الكريم	د. فوزية العشماوي	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	105 ـ 113
❖ الغرب يركز على معرفة تراثنا وحضاراتنا	د. مسعود عبد الله الوزاني	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	107 ـ 109
❖ تقريب فهم القرآن لغير الناطقين بالعربية	د. محمد مسعود جبران	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	109 ـ 111
❖ مضامين وأبعاد ندوة القراءة الغربية للقرآن الكريم	د. جعفر عبد السلام	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	113 ـ 119
❖ القراءة الجديدة للقرآن الكريم: عرض للإصدارات والأطروحات	محمد صلاح الدين المستاوي	العدد التاسع	الصيف 1374ور/يونيو 2006	114 ـ 118
❖ البيان الختامي وتوصيات الندوة				119 ـ 122

ملفـــات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
أبعد من تمبكتو	إعداد: التحرير			
❖ تمبكتو.. أبعد من الزمان والمكان	أ. د. محمد أحمد الشريف	العدد العاشر	الصيف 1374اور/يونيو 2006	83 ـ 63
❖ تظاهرة التحدي الإسلامي الكبرى.. التاريخ.. المنهج	-	العدد العاشر	الصيف 1374اور/يونيو 2006	95 ـ 63
❖ رؤية الغرب للإسلام.. معالجة التحريفات والتشويه	د. حسن مصطفى	العدد العاشر	الصيف 1374اور/يونيو 2006	101 ـ 84
❖ ميثاق رابطة قبائل الصحراء الكبرى	-	العدد العاشر	الصيف 1374اور/يونيو 2006	101 ـ 95
❖ الإعلان عن ميثاق تمبكتو خطوة تاريخية	-	العدد العاشر	الصيف 1374اور/يونيو 2006	117 ـ 101
❖ خطاب تمبكتو: رؤية موضوعية معاصرة لقضايا المسلمين	عبد الرحمن شيو علاوي	العدد العاشر	الصيف 1374اور/يونيو 2006	109 ـ 102
❖ نحو استراتيجية أكثر تأثيراً وفاعلية	علي محمد الأحمر	العدد العاشر	الصيف 1374اور/يونيو 2006	113 ـ 110
❖ منطلقات لتعزيز حضور الأمة وتأكيد مكانتها	الحاج موسى الفال	العدد العاشر	الصيف 1374اور/يونيو 2006	118 ـ 114
داروين يموت مرة أخرى	إعداد وترجمة : د. الصديق بشير نصر			
❖ أصل الإنسان بين الخلق والتطور		العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	46 ـ 43
❖ المناخ الإلحادي في أوروبا في القرن الثامن عشر يمهد لمذهب التطور				47
❖ الجانب الإلحادي في نظرية التطور				50 ـ 48
❖ الداروينية من العلم إلى الأيديولوجيا				51
❖ أجنحة نظرية التطور الثلاثة				55 ـ 52
❖ النزعة الإلحادية عند التطوريين المحدثين				58 ـ 56
❖ قوانين التطور عن داروين				60 ـ 59
❖ معضلة التخمين والحدس في نظرية التطور				62 ـ 61
❖ داروينيون جدد يعترفون بتصدّع الداروينية				64 ـ 63
❖ بطلان قانون المصادفة				66 ـ 64
❖ من أعلام مدرسة التطور الحديثة				70 ـ 67
❖ نظرية التصميم الذكي				74 ـ 70
❖ التطور علم أم خرافة؟				77 ـ 75
❖ الحسابات الجديدة لعمر الأرض تهدّد الداروينية				79 ـ 78
❖ حفريات الإنسان القديم وأكاذيب الداروينية				85 ـ 80
❖ النزاع بين أنصار التطور وأنصار التصميم الذكي أمام المحاكم الأمريكية				88 ـ 86
❖ نظرية التطور ونظرية التصميم الذكي في الرسوم الكاريكاتورية				90 ـ 88
❖ نظرية التطور في الفكر العربي الحديث				91
❖ صدى نظرية التطور في الشرق العربي والإسلامي				98 ـ 91
❖ هارون يحيى أكبر عالم مسلم ينتقد الداروينية				99 ـ 98
❖ مقابلة مع البروفيسور هارون يحيى				102ـ 100

محاضرات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ القرآن الكريم: آفاق علمية	أ. علي الهاشمي	العدد التاسع	الربيع 1374و.ر/مارس 2006	164 ـ 168
❖ التطور التاريخي لإنتشار الإسلام في كندا	د. إبراهيم حياني	العدد العاشر	الصيف 1374و.ر/يونيو 2006	150 ـ 162
❖ العلاقات المسيحية ـ اليهودية والعلاقات المسيحية ـ الإسلامية تاريخياً ولاهوتياً	د. عبد الرحمن عطبة	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374و.ر/سبتمبر 2006	154 ـ 170
❖ الحكم الرشيد والنظام العالمي الجديد في القرن الحادي والعشرين	فرانسيس فوكوياما	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	116 ـ 138

استطلاعات

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ جوري جزيرة الألم.. وبوابة اللاعودة	محمد حسن جحا	العدد التاسع	الربيع 1374و.ر/مارس 2006	164 ـ 168
❖ ليبيا بعيون إسبانية	خوليو هرنان	العدد العاشر	الصيف 1374و.ر/يونيو 2006	150 ـ 162
❖ مساجد من أرض الإبتسام	د. عبد العاطي محمد عبد الجليل	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374و.ر/سبتمبر 2006	154 ـ 170
❖ بنين.. مزيج من العقائد والأعراق	محمد حسن جحا	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	140 ـ 164

تقارير

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ يوم حافل في بانجي	أحمد البكوش	العدد التاسع	الربيع 1374و.ر/مارس 2006	186 ـ 192
❖ العاصمة البريطانية لندن تشهد اجتماعات المجلس العالمي للدعوة الإسلامية	محمد حسن جحا	العدد التاسع	الربيع 1374و.ر/مارس 2006	186 ـ 187
❖ لماذا تمبكتو؟	محمد عبد السلام شاهين	العدد العاشر	الصيف 1374و.ر/يونيو 2006	188 ـ 196
❖ حركية التحديث في عالم الإسلام اليوم	د. جمعة محمود الزريقي	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374و.ر/سبتمبر 2006	192 ـ 200
❖ حلب .. عين على الماضي وأخرى على المستقبل	عزيزة السميني	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	166 ـ 176

الواحـــة

الموضوع	الكاتب	رقم العدد	تاريخ صدوره	الصفحة
❖ ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾	التحرير	العدد التاسع	الربيع 1374و.ر/مارس 2006	194 ـ 206
❖ أطباء ومهندسون.. ولكنهم شعراء	التحرير	العدد العاشر	الصيف 1374و.ر/يونيو 2006	198 ـ 206
❖ الأرملة المرضع	معروف الرصافي	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374و.ر/سبتمبر 2006	202 ـ 203
❖ غرفة الشاعر	عبد الحميد الديب	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374و.ر/سبتمبر 2006	206 ـ 207
❖ خيام العصر في غرفة البؤس	أحمد الصافي النجفي	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374و.ر/سبتمبر 2006	207 ـ 208
❖ المجانين العقلاء	د. الصديق بشير نصر	العدد الحادي عشر	الفاتح 1374و.ر/سبتمبر 2006	208 ـ 210
❖ وصية شاعر	إيليا أبو ماضي	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	178
❖ عظماء ومشاهير معاقون غيروا مجرى التاريخ	التحرير	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	179 ـ 181
❖ الإفطار (وماريا دل مار) لوحتان لـ (فالفاس)	التحرير	العدد الثاني عشر	الكانون 1374 و.ر/ ديسمبر 2006	182



الأخ أمين هيئة التحرير لمجلة التواصل..

تحية إسلامية صادقة..

أودّ أن أتوجه لكم ولجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بأصدق عبارات الشكر والتقدير، على المجهودات الجبارة التي تبذلونها في مجال نشر الدعوة الإسلامية، وتعميق وتوسيع وانتشار مبادئها وأهدافها في مختلف أرجاء العالم.

وأودّ إفادتكم بأنني توصّلت للمرة الأولى بالعدد التاسع من مجلتكم الموقرة (التواصل)، وهو أول عدد أتوصل به خلافاً لجريدة (الدعوة الإسلامية) التي أستفيد منها ويستفيد منها غيري.

ولهذا، وحرصاً مني على التوصّل دائماً بمطبوعاتكم وإصداراتكم ؛ أرجو أن ترسلوا إليَّ مجلة (التواصل).

وتقبلوا أسمى عبارات الشكر والدعاء بالتوفيق والنجاح..

د. زكي مبارك

مدير مجلة ملفات / الرباط / المغرب

المحرر: نشكرك على مبادرتك بالكتابة إلينا، ونبادلك التحية بمثلها. كما نفيدك بأننا سنرسل إلى مكتبة مجلتكم (ملفات) نسختين من كل عدد يصدر بداية من هذا العدد نظراً لنفاد الأعداد السابقة. كما نرجو منكم تزويدنا بما يصدر من مجلة (ملفات) لنكون على تواصل على طريق الكلمة الهادفة.

الأخ أمين هيئة التحرير لمجلة التواصل..

تحية طيبة وبعد..

فقد اطلعت على عددين من مجلتكم الغراء (التواصل) أهداهما إليَّ أحد الدبلوماسيين الليبيين في الهند، وقد قرأت المقالات المنشورة ببالغ الشوق والاهتمام، وسُعدت جدا باستكشاف هذه المجلة القيمة، وكانت هذه المجلة أول ما عهدت به من المنشورات الليبية في بلادنا، وكانت المقالات والدراسات وكل الموضوعات التي تضمنتها غاية في الأهمية بمواضيعها الساخنة ومعالجتها الموضوعية، وخاصة فيما يتعلق بـ (الإسلاموفوبيا)، والخطاب الإسلامي بين الأصالة والتنظير، والحملة الإعلامية الغربية على الإسلام... وما إلى ذلك.

وقد كتبت بحثاً حول (الإرهاب بين الدلالة والإطلاق في ضوء الاحتكاك الثقافي) وأفيدكم بأن التحضير له قد استغرق سنة أو أكثر، وذلك لكي أتأكد بأنه استوفى المقاييس العلمية، وهأنذا أرسله إليكم لتتكرموا بنشره على صفحات مجلتكم الغراء في أقرب وقت ممكن.

بارك الله في جهودكم من أجل نشر الثقافة والوعي الصحيح.

وأنا إذ أنتظر جوابكم المرضي؛ تقبلوا مني فائق التقدير والشكر.

د. عبد الماجد القاضي / الجامعة الملية الإسلامية

نيو دلهي / الهند

المحرر :

نشكرك على ما تفضلت به من كلمات طيبة عبّرت عن شعورك الصادق تجاه التواصل وما ينشر على صفحاتها، وقد سررنا كثيراً بالموضوع الذي أرسلت به والذي تجده منشوراً على صفحات هذا العدد. ونفيدك بأن صفحات التواصل مفتوحة لكل من يود المساهمة فيها بالكلمة الطيبة والرأي السديد. ونرجو أن تكون على تواصل دائم معنا. ونحن في انتظار مساهماتك القادمة.

وفقنا الله جميعاً لما يحقق التواصل بكل أبعاده بين الإنسانية في كل مكان.

الإخوة بمجلة التواصل..

تحية طيبة..

في الوقت الذي أحيي وأقدر فيه جهودكم المستمرة، في سبيل نشر الثقافة الإسلامية ومبادئ الدين الإسلامي القويم، عبر المقالات القيمة التي تخطها أقلام أساتذة أجلاء، وباحثين أفاضل؛ أتقدم إليكم بهذه الرسالة لأهنئكم على هذه الخطوات المباركة الطيبة، وعلى المنهج الذي تلتزمون السير عليه..

وأودّ أن أفيدكم بأنني من قراء صحيفة (الدعوة الإسلامية)، التي تصلني كل أسبوع بنسختيها العربية والفرنسية منذ أكثر من سنة، وإنني لست المستفيدة الوحيدة منها، بل هناك آخرون وأخريات يقرؤون ما تنشره من مقالات قيمة.

وإنني أغتنم هذه الفرصة لأطلب إليكم تزويدي بالمجلة الفصلية التي تصدرونها (التواصل)، والتي اطلعتُ على بعض أعدادها وسررت بها وأعجبتني كثيراً..

وأكون شاكرة لكم لو تكرمتم وقبلتم طلبي ولبيتموه.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ديياو رحمة / بوركينا فاسو

المحرر:

نبادلك التحية بمثلها، وقد نقلنا كلماتك الطيبة، وشعورك نحو صحيفة الدعوة الإسلامية إلى أسرة تحريرها. ونحن بدورنا نغتنم هذه الفرصة لنكبر فيك حرصك على متابعة إصدارات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والاستفادة منها..

كما نفيدك بأننا قد قبلنا طلبك، وسنزودك بنسخة من كل عدد يصدر من (التواصل) بداية من هذا العدد. ونرجو منك الكتابة إلينا وإفادتنا بوصول العدد من عدمه.

وفقنا الله جميعاً لخدمة ديننا الحنيف وثقافتنا الإنسانية الأصيلة.

الأخ أمين هيئة تحرير مجلة التواصل، وكل الإخوة الذين يقفون وراء إصدار هذه المجلة الثقافية الفكرية الرائعة..

السلام عليكم ورحمة الله

لقد وقعت بين يديَّ ـ صدفة ـ إحدى نسخ مجلة التواصل، وأبهرني ما فيها من مقالات مفيدة تستند إلى الحقائق ونفائس العلوم والثقافة الباهرة، وتقدم الرؤية التحليلية الجادة..

وللأسف الشديد فإن مجلتكم هذه (التواصل) لا تباع هنا لا في الأكشاك ولا في مراكز بيع المطبوعات، لذلك أرجو أن ترسلوا إليَّ نسخة من كل عدد من مجلتكم (التواصل) بانتظام، مع العلم بأنني لا أستطيع إرسال قيمة الاشتراك لأنني غير قادر على ذلك حالياً، لأنني ما زلت طالباً على مقاعد الدراسة..

جزاكم الله خيراً ووفقكم وسدد خطاكم..

إبراهيم جيريل كورييل / ولاية جوب / نيجيريا

المحرر:

نرحب بك قارئاً حريصاً على متابعة مجلة (التواصل)، ونشكرك على مبادرتك بالكتابة إلينا، ونفيدك بأننا سنعمل على إرسال نسخة إليك من كل عدد إن شاء الله. ونرجو منك الكتابة إلينا وإفادتنا بوصول العدد من عدمه.



إبراهيم علي الربو (*)

قطيعة من أجل التواصل !!

مسكينة أنت أيتها الديمقراطية..!! نعم والله إنك لمسكينة..!! لكنك لست وحدك المحشورة اليوم في زمرة المساكين ، ولست وحدي الذي يرق لحالك ويرأف بك .. فعزاؤك أنك في عالم كثر فيه المساكين ، وعزائي أن الملايين الذين لم أعرفهم ولم يعرفوني ؛ يقاسمونني الرقة لحالك والرأفة لمآلك ..!!!

مسكينة ، نعم مسكينة أنت أيتها الديمقراطية ، فكم علقت عليك من أدران ، وكم ارتكبت باسمك من فظائع ، وكم قاسى الأبرياء - بحجة إشاعتك - من مآس وتجرعوا من أحزان .. ورجائي ألا تتذمري إذا ما كررت على مسامعك آناء الليل وأطراف النهار بأنك مسكينة ، فالحقّ والحق أقول إنك فعلا مسكينة ، لكنني وإياك في الهواء سواء ، فأنا مسكين أيضًا مغرر بي ومضحوك علي ، ولكن باسمك أنت أيتها الديمقراطية ، وتحت شعاراتك الظاهر منها والخفي .. لقد خلتك حبلاً حضاريًا للتواصل يقدمني للناس رأيًا ورؤية ، فكرًا وهوية ، فإذا بك في جيدي حبل من مسد ، يجرني تارة ذات اليمين ، وذات اليسار تارة أخرى ، وبين اليمين واليسار تناثر ريشي وزغبي ، وبقيت مجرد رقم لا طعم له ولا لون ولا رائحة .. فتبت يداك أيتها الديمقراطية .

لقد ظننتك - وظنك المغرّر بهم مثلي - جسرًا للتواصل وصلة للموصول ، حتى رأيت الذين يدّعون ملكيتك ملكية رقبة يعصبون عينيك ويضعونك على ظهر دبابة تارة ، وفي قلب قنبلة ذكية تارة أخرى ، قاطعين بك المحيطات والبحار إلى بلد ما كنت لتبلغيه إلا بشق الأنفس ، لولا خيانات العرب العاربة والعرب المستعربة على حد سواء ، وفي ذلك المكان الذي يسمى عراقًا تم باسمك وتحت شعارك قطع كل ما أمر الله به أن يوصل ، حيث حلّت القطيعة محل التواصل ، وتحول الدين تحت ظلك أديانًا ، وصارت الأديان أحزابًا .. كل حزب بما لديهم فرحون !! وانقلب النسيج الاجتماعي المتداخل والمتراص في شعوبه وقبائله جماعات وطوائف فرّخت عصابات وفرقًا يضرب بعضها رقاب بعض ، وكأن الله خلق الناس هناك شعوبًا وقبائل ليتعاركوا لا ليتعارفوا ..!!! كم سمعت عنك أيتها الديمقراطية ، وكم كنت مشتاقا إلى حزمة شعاع من شمسك المشرقة في بلاد العم سام ومن على شاكلتها لتنير ليلنا البهيم المدلهم ، وتزحزح عن صدورنا ديكتاتوريات سحنتنا تحت كلكلها عقودًا إن لم تكن قرونًا .. كنت أتمنى ذلك لأعزز تواصلي مع الناس فينطلق لساني دون أن يضيق صدري ، ويمرح قلمي حرًا في البراري والأدغال في اتصال وتواصل دون أن ينال منه ناب أو مخلب ، ودون أن تتابع صريره على القرطاس العيون والآذان ..!!

نعم كنت أتمناك أيتها الديمقراطية الغربية ، لكنني كنت أدرك تمامًا أن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .. كنت أتمناك في حياتنا لأنني سمعت عنك قبل أن أراك ، لكنني اليوم أتذكر المثل القائل (أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه).. لقد سمعت عنك هناك وراء المحيط في نسختك الأمريكية المنقحة والمزيدة ، فانبهرت بك من المنبهرين ، وكنت باسمك مع المنادين لتنيري حجراتنا المظلمة التي ناديناك من ورائها ، مباشرة تارة ومن وراء حجاب تارة أخرى ، لكنني أدركت اليوم أن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا - وكنت أنا معهم من الصابرين - حتى ظهرت لنا على حقيقتك في أبو غريب وغوانتنامو ولبنان وفلسطين ؛ لقلنا قولة رجل واحد : ألا ليت بيننا وبينك بُعْدَ الخافقين ، وكنا قبل ذلك ننعتك بقول العدوية :

ألا ليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب ..!!

مسكينة أنت أيتها الديمقراطية المستوردة ، واسمحي لي أن أقول بعد أن رأيت نموذجك في العراق بأن أدرانك أكبر من أن يمحُها حج ، لأن اسمك ارتبط في ديارنا بالرفث والفسوق والجدال ، وآثامك أقسى من أن تذيبها مياه نهر الجانج .. لأن مياهه لا تذيب الكبائر .. وصورتك التي أفسدها الدهر سيظل قبحها عصيا على أمهر العطارين ، فلن يصلح العطار ما أفسد الدهر، وصوتك الذي ما فتئت تخدعيننا بحلاوته صار في آذاننا ، وسيظل ، أنكر من أصوات الحمير ، فلماذا بعد كل ذلك تخفين في نفسك ما الله مبديه ..؟!!!

ومع كل ذلك .. فإنني أعترف لك أيتها الديمقراطية بأنك مظلومة ، فقد حولك مدّعوك من السفهاء مشجبا يعلقون عليه مظالمهم ، ويمارسون باسمه العدوان والتعذيب والاغتصاب ؛ لكنني لن أؤاخذك بما فعل السفهاء منا ، فستظلين في جوهرك مطلبَ كل الشعوب ، من أجل تواصل يكرس الحق والفضيلة ، ويعزز استخلاف الإنسان في الأرض ، ليصلحها لا ليفسد فيها ويسفك الدماء كما يفعل مصدّروك والمتشدقون بملكيتك ملكية رقبة..

أنت مظلومة أيتها الديمقراطية ، جميلة ، لكنك جئتنا من منبت السوء ، فكنت في عيوننا خضراء الدِّمَن التي حذرنا منها رسولنا الكريم ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا ، ولأنك في جوهرك جميلة فستبقين جميلة في عيون كل الناس ، ولأنك في حقيقتك رائعة فستظلين مطلبًا أساسًا في منهج كل المناضلين والثوار ، ولأنك هدف نبيل فإنني والملايين معي نقدر كل إبداعات العقل الإنساني من أجلك ..من مدينة أفلاطون الفاضلة إلى كتاب القذافي الأخضر.

واسمحي لي أيتها الديمقراطية المستوردة أن أقاطعك حتى تعودين إلى رشدك وتكفّري عن ذنوبك ، وتتبرئي من هؤلاء الذين جعلوا (أبوغريب) أحد مظاهرك في بلاد الرافدين .. وهي مقاطعة قد تصل إلى القطيعة إن استمروا هم في غيهم وعدوانهم باسمك ، لكنها في كل الأحوال قطيعة من أجل التواصل الذي تمثله هذه المطبوعة المتواضعة .

---

* كاتب / ليبيا